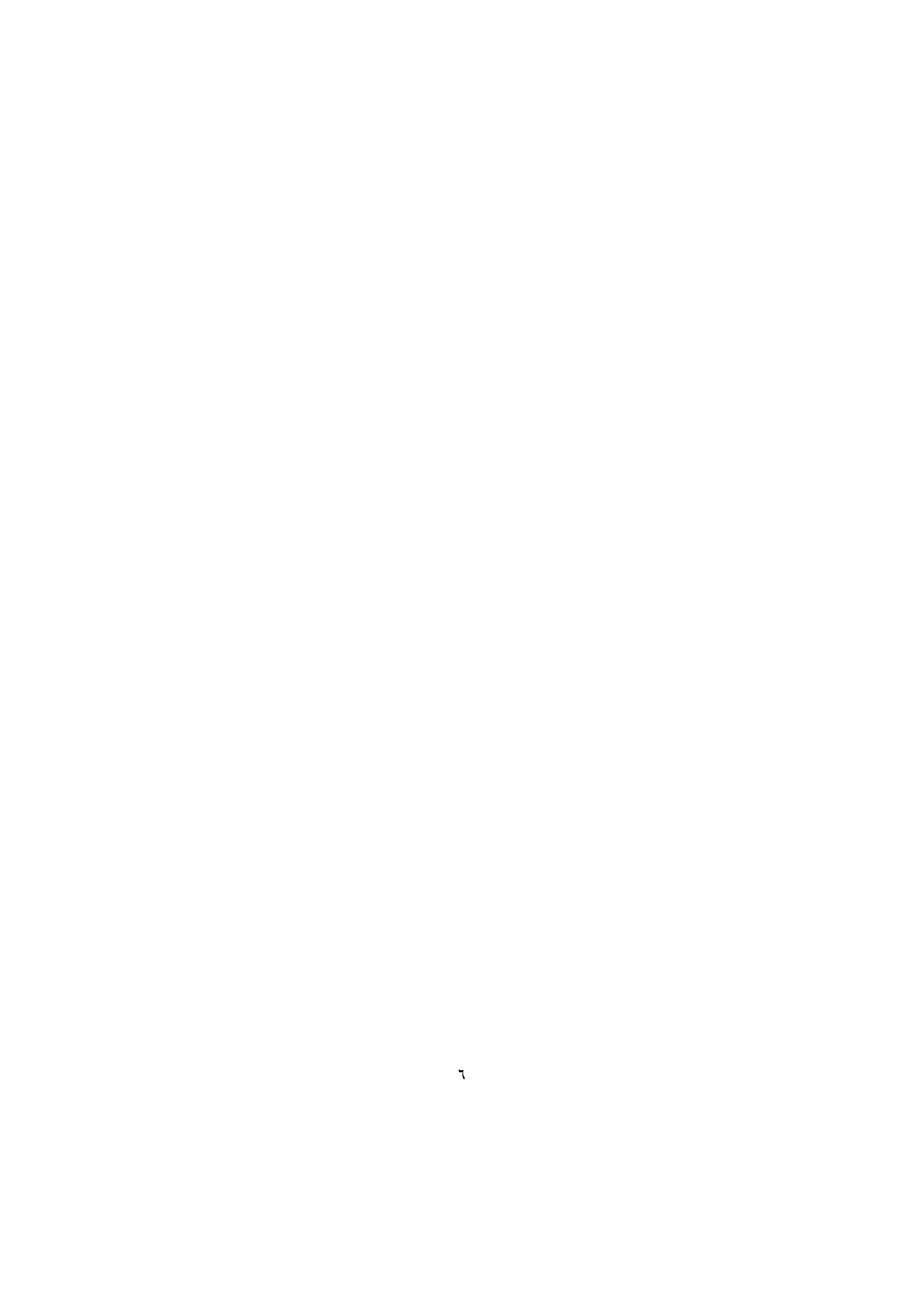
















الفصل الرابع

العلم الحضوري عند أئمة آل البيت

عليهم السلام



تقسيم العلم:

ينقسم العلم إلى قسمين: أحدهما حضوري وثانيهما حصولي .

فالأوّل: عبارة عن تعلّق العلم بذات المعلوم من دون واسطة مفهوم أو صورة ذهنيّة.

والثاني: عبارة عن تعلّق العلم بذات المعلوم بواسطة الصّورة الذّهنيّة أو المفهوم . ويعتبر في الحضوري أن يكون الوجود الواقعي والعينيّ للمعلوم منكشِفاً للعالِم والشّخص المدرِك، بخلاف الحصولي فلا بدّ له من واسطة حتى يعلّق شهود العالِم بالوجود الخارجي للمعلوم، وهذه الواسطة هي الصّورة الذّهنيّة حسبما ذكرنا آنفاً .

وبعبارة أخرى:

إنّ العلم الحضوري هو عين المعلوم، والحصولي هو صورة عنه . والحضوري غير قابل للخطأ والإشتباه بخلاف الحصولي حيث هو مظنّة الإشتباه في بعض الأحيان بسبب تصوّراتٍ خاطئة تؤدّي إلى نتيجةٍ خاطئة إذ النتيجة تتبع أخسَّ المقدّمات، **وبعبارة ثالثة** : إنّ المفاهيم والصّور الذّهنيّة هي جسور ومقدِّمات للوصول إلى المعلوم الخارجي، هذه الجّسور هي وسائط بين ا لمدرِك والمدرَك، فقد لا تتطابق بشكل كامل مع الأشخاص والأشياء الخارجيّة . والعلوم الحضوريّة متفاوتة شدّةً وضعفاً، فقد يتمتع العلم الحضوري أحياناً بقوّة

وشدّة تجعله يتمّ بصورة واعية، ولكنّه يحصل أحياناً أخرى بصورة ضعيفة وباهتة، فيظهر بصورة نصف واعية .

وهذا التفاوت والإختلاف في درجات العلم الحضوري يعود أحياناً إلى اختلاف درجات وجود الشّخص المدرِك، فكلّما كانت النّفس ضعيفة من حيث المرتبة الوجوديّة كانت علومها الحضوريّة ضعيفة وباهتة، وكلّما ارتفعت مرتبتها الوجوديّة تكاملت علومها الحضوريّة وأصبحت أشدّ وعياً، و هذا يتوقّف على مراتب الوجود ومراتب تكامل النّفس، وهي أمور يتمّ إثباتها في علوم فلسفيّة وأخلاقيّة أخرى، لذا قيل إنّ للإنسان عِلْماً حضوريّاً بخالقه، ولكنّه نتيجةً لضعف مرتبته الوجوديّة ولزيادة إلتفاته إلى البدن والأمور الماديّة؛ فإنّ ذلك العلم ينزوي في اللاّوعي، ولكنه بتكامل النّفس والحدّ من الإلتفات للجسم والأمور الماديّة وتنمية التوجّ هات القلبيّة لله سبحانه وتعالى فإنّ ذلك العلم يصعد إلى مراتب من الوضوح والوعي بحيث يُؤَهّل صاحبه لأنْ يكون مصداقاً حقيقيّاً لقوله عزّ وجلّ في القدسي : " ما يزال العبد يتقرّ ب إليّ بالنّافلة حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت عينه التي يرى بها وأذنه التي يسمع بها ..." وفي الحديث: "مَن أخلَصَ لله أربعين يوماً تفجّرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه " .

وبالجملة: فإنّ العلوم الحضوريّة هي التي تحصل بالبداهة والإرتجال من دون إمعانِ نظرٍ أو فكرٍ، وفيه تتفاوت قوّة الحدس الناتجة عن قوّة الرّوح وشدّة التوجّه، وعكسها العلوم الحصوليّة أو ما تُسمَّى بالكسبيّة وهي التي يحتاج حصولها إلى كسبٍ ونظرٍ وفكرٍ .

وللحضوري مصاديقٌ مشكّكة له، أوسطها العلم اللّدني الّذي ليس للأسباب العاديّة كالحسِّ والفكرِ نصيب في تحصيله بل هو فيضٌ ربّانيٌّ مختصٌّ بأولياء الله تعالى وقد وهبه عزّ وجلّ لبعض أوليائه، ومنهم الخضر عليه السلام بقوله: ﴿**آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنّا علماً**﴾(الكهف/٦٥)؟

وأدناها القذف في القلوب، وأعلاها الاطّلاع على حقائق الأشياء دفعةً واحدة من دون حاجةٍ إلى تكرارٍ وسماعٍ .

وبعبارة أخرى: إلقاء العلوم كلّها في القلب بحيث لا يغيب عن صاحبها مثقال حبّةٍ في الأرضِ ولا في السّماءِ .

ولرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم والأئمّة الأطهار عليهم السَّلام الدّرجة العُليا في هذا العلم بحيث تكون الأشياء منكشفة عندهم فعلاً في مقابل انكشافها الشّأني عليهم بالقوّة والإرادة المعبَّر عنها بقولهم : " لو شاء أن يعلم لعَلِم " .

تحرير الخلاف في علم الإمام عليه السلام:

لا شبهة بين فقهاء الإماميّة بأنّ أئمّةأهل البيت عليهم السَّلام ساسةُ البلاد وحججُ الله على العباد، لم يلحقهم لاحق ولن يسبقهم سابق؛ وإنما الشّبهة والخلاف في ماهيّة علمهم ومقدار سعته، فهل هو حضوري أو إرادي وإشائي؟ وهل يتعلّق علمهم بجميع الأشياء من الذرّة إلى المجرّة أو يقتصر على بعض الأشياء؟ .

هذا كلّه مع اتّفاقهم على عصمة الخليفة واستحالة غفلته وزلّته في تلقّي الأحكام الشّرعيّة وحفظها وتبليغها، وكذا لا شبهة في عصمتهم عليهم

السَّلام في الموضوعات المترتّب عليها حكم كلّي، فيلزم تعميم عِلْمه لتلك الموضوعات؛ لأنّ الجهل بها يؤدي إلى الجهل بحكمها، وقد قامت الأدلّة على خلافه، وهذا أيضاً لا نزاع عليه؛ لكنّ الخلاف وقع على العلم في الموضوعات الخارجيّة الجزئيّة الصّرفة، بل تجرّأ الحشويّة من المدرسة الأصوليّة والأخباريّة بأنّ علم الخليفة عليه السلام لا يشمل العلم بالسّاعة والآجال والمنايا وغيرها مما ظاهره استئثاره به تعالى شأنه، والتي يجمعها جلّ وعزّ : ﴿**إنّ الله عنده علم السّاع ة وينزّل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً وما تدري نفسٌ بأيّ أرضٍ تموت إنّ الله عليم خبير** ﴾ (لقمان /٣٤) .

إذن الخلاف في العلم الحضوري، لا الحاصل من الإمارات والحواس الظاهريّة والصّنايع الإكتسابيّة، ضرورة أنّ العلم الظّ اهري لدى الإ مام كالعلم الظاهري الحاصل لغيره تنبع أسبابه من حواسه الظّاهريّة في الكمّيّة والكيفيّة، فالإمام والنّاس يشتركان في تحصيل هذا العلم لكونه تابعاً لأسبابه الإعتياديّة، وهذا لا يختصّ بأحد، بخلاف الحضوري إذ لا يمنحه علاّم الغيوب إلاّ لمن أراد واصطفى .

- **وهمٌ ودفع:**

نفى بعض المتوهّمين علم الإمام الحضوري بدعوى أنّ القول بالحضوري يستلزم مشاركتهم عليهم السَّلام لله تعالى في هذه الصّفة، فالقول بالحضوري يستتبع الشّرك والغلوّ .

● **وهو مندفعٌ:**

بأنّ إحاطة علمهم بالمعلومات ليس على وجه العلّيّة والمعلوليّة، ضرورة ا نّ العلم بهذا المعنى من خصائص ذات الواجب المتعال التي لا يشاركها الممكن فيه قطعاً .

وبتعبيرٍ آخر:

إنّ علم الله تبارك اسمه قديم وسابق على المعلومات، وهو عين ذاته وعلّة للمعلومات، وأمّا علم الأئمّة عليهم السَّلام وما أحاطوا به لم يكن إلاّ بتعليم الله لهم آناً فآناً، لأنه حادثٌ ومسبوقٌ بالمعلومات، وهو غير الذّات فيهم، وليس بعلّةٍ للمعلومات لكونه حالاًّ فيهم، فهو عارض على ذواتهم وليس عينها لاستحالة وجوده فيهم قبل وجود ذواتهم الشّريفة، فحضوره عندهم بمعنى انكشاف المعلومات لديهم فعلاً .

فعلومهم الحضوريّة في طول علم الله وإرادته وليست عرضيّة بمعنى كونها في مقابل علم الله عزّ وجلّ، فهم الفقراء ذاتاً إليه عزّ اسمه، ومعنى الفقر الذّاتي أنه دائماً يحتاج إلى إفاضة الوجود من الغني بالذّات إليه آناً فآناً، فكلُّ آنٍ يكون وجوده ووجود الفيض المفاض عليه غير السّابق عليه كما لا يخفى.

وعليه؛ فإنّ ما علموه وأحاطوا به إنما هو فيض الله تبارك وتعالى نزل عليهم، فهو عزّ اسمه يفيض في كل آن على ذواتهم المقدَّسة من القدرة على العلم بما لا يمكن تصوُّرُه أو الخوض فيه، ولم يكن تعليمه تعالى لهم مرحليّاً بمعنى أنه أعلمهم ورفع يده عنهم بحيث يكونون غير محتاجين إليه تعالى في فترة زمنيّة محدودة؛ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً . بل ما علموه إنما هو بتعليم

الله لهم عليهم السَّلام في كل لحظةٍ وآنٍ، فإنّ المحتاج والفقير الذّاتي دائماً هو بحاجة إلى من يفيض عليه، فكما أنّ أصل حدوث الفيض ف يه يحتاج إلى إفاضة الغنيّ بالذّات، فكذلك بقاؤه آناً فآناً .

وذلك التعليم الدّائم القائم حين يكون في اللّحظات هو مصداق ما شاء الله أنْ يحيطوا بعلمه ﴿**ولا يحيطون بشيء من علمه إلاّ بما شاء**﴾ وهذا هو الّذي ملكوه من العلم، وهذا جارٍ في جميع أنحاء علومهم، ومصدا ق قوله عليه السلام: " إنما العلم يحدث ساعةً بعد ساعة " أي لحظة بعد لحظة، أو ما ورد من أنه: "ما يحدث باللّيل والنّهار، الأمر بعد الامر، والشّيء بعد الشّيء إلى يوم القيامة"، كل ذلك بتعليمه الدّائم القائم، وهذا أيضاً أحد معاني قوله عليه السلام: " إنّ لهم في كلّ ليلة جمعة علماً مستفاداً وإلاّ لنفد ما عندهم" .

فلا ينبغي أن يتوهّم ذو بصيرةٍ بأنهم مشاركون له تعالى في هذه الصّفة وأنّ القول بالحضوري من الشّرك أو الغلوّ، لاختلاف العلمين في الصّفة، فإنّ علمه تعالى ذاتيٌّ، وعلمهم عرضيٌّ موهوب من عند علاّم الغيوب، فلا مجال لدعوى اتّحاد العِلْمَيْن أصلاً، وبه يظهر الفرق بين علمه تعالى وعلم الإمام الحضوري من وجوه عديدة، من جهة القِدَمْ والحدوث، والسّبق والعدم، والعليّة والمعلوليّة، وعينيّته مع الذّات وعدمه، إلى غير ذلك من وجوه الفرق التي لا يبقى معها مجالٌ لتوهُّم الإتحاد بين العِلْمَيْن ولزوم الشّرك والغلوّ .

بيان منشأ الخلاف:

وأمّا منشأ الخلاف في علم الإمام عليه السلام بكِلاَ قسميه الحضوري والكمّي فيرجع في الواقع إلى وجود تعارض بدوي بين الآيات والأخبار بالنّفي والإثبات، والعمومات والتخصيصات وأخبار التقيّة والمفتريات .

ثمرة البحث:

لا ريب أنّ نصب الإمام واجبٌ على الله جلّ شأنه من باب اللّطف، ولما كانت معرفته بعد وجوب وجوده واجبةً أيضاً عقلاً ونقلاً، فلا بدّ من تشخيص تلك المعرفة، وتحصل بأمرين:

أحدهما: معرفة شخص الإمام باسمه ونسبه .

وثانيهما: معرفة صفاته وخصائصه التي يمتاز بها عن غيره .

وهذان الأمران يشكّلان الدّعامة الأساسيّة في وجوب الإعتقاد بالإمام المفترض الطّاعة، ولا يمكن دعوى معرفته بدونهما، ونستدلّ على ذلك بالعقل والنّقل:

أمّا الأوّل:

فالعقل يحكم بأنّ العلّة التي استدعت وجود رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هي بنفسها داعية إلى وجود الأوصياء من بعده، كما انّ الجّهة الموجبة للرجوع إلى النبيّ هي بعينها توجب الرجوع إلى الوصيّ، فيجب على الله تعالى نصبه، وعلى الناس معرفته لتوقف إتّباعه على معرفته .

مضافاً إلى أنّ الإمام مفترَض الطّاعة، وكل من يفترض طاعته يجب معرفة صفاته، فالإمام يجب معرفة صفاته لئلاّ يُشتبه بغيره ممّن يدّعي مقامه كذباً

وبهتاناً، إذ إنّ معرفته بما ذكرنا تكون سبباً لنجاتنا من شبهات المنافقين والملحدين، وسلامةً لنا من إضلال المفترين المضلِّين .

وأمّا الثاني:

فالأخبار لإثباته متواترة، منها:

❁ الخبر الأوّل:

ما ورد في صحيحة معاوية بن عمّار عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلاّ بمعرفتنا[1].

❁ الخبر الثاني: ما ورد في المستفيض منها:

موثقة داود الرقّي عن العبد الصّالح عليه السلام قال: إنّ الحجّة لا تقوم لله على خلقه إلاّ بإمام حتى يُعْرَف[2].

ودلالة الخبر واضحة على أنّ انحصار المعرفة بالله تعالى . والتي هي حجّته على خلقه . إنما هو بواسطة الإمام، فتجب معرفته تماماً كوجوب نصبه .

❁ الخبر الثالث:

خبر زرارة . وهي صحيحة على مسلكنا[*] . عن أحدهما عليهما السَّلام أنه قال: لا يكون العبد مؤمناً حتى يعرف الله ورسوله والأئمّة كلّهم وإمام زمانه، ويردّ إليه ويسلّم له، ثمّ قال: كيف يعرف الآخر وهو يجهل الأوّل؟[3].

❁ الخبر الرّابع:

---

[*] على مسلك المتأخرين من فقهاء الإماميّة، يعتبر الخبر الصحيح هو ما كان راويه في كلّ طبقة عدلاً إماميّاً، وأما المتقدمون منهم فالصحيح عندهم هو: ما حصل الإطمئنان بصدوره عن المعصوم .

موثقة الفضيل عن أبي حمزة قال:

قال لي أبو جعفر عليه السلام: إنما يعبد الله من يعرف الله، فأمّا من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالاً، قلت : جُعِلْتُ فداك فما معرفة الله؟ قال : تصديق الله عزّ وجلّ وتصديق رسوله صلّى الله عليه وآله وسلَّم وموالاة عليّ عليه السلام والإئتمام به وبأئمّة ا لهدى عليهم السَّلام والبراءة إلى الله عزّ وجلّ من عدوّهم، هكذا يُعرف الله عزّ وجلّ [٤].

ملاحظة:

ربط الخبر الشّريف معرفته عزّ وجلّ بتصديق رسوله والأئمّة الأطهار عليهم السَّلام، ولا يخفى وجود الملازمة بين تصديقهم ومعرفتهم، إذ لا يُعْقَل تصديقهم بدون معرفهم .

❁ الخبر الخامس:

صحيحة محمّد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كلُّ من دان الله عزّ وجلّ بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول، وهو ضالٌّ متحيّر والله شانئٌ لأعماله، ومثله كمثل شاة ضلّت عن راعيها وقطيعها، فهجمت ذاهبة وجائية يومها، فلمّا جنّها الليل بصرت بقطيع غنمٍ مع راعيها، فحنّت إليها واغترَّت بها، فباتت معها في مربضها فلمّا أن ساق الرّاعي قطيعه أنكرت راعيها وقطيعها، فهجمت متحيّرة تطلب راعيها وقطيعها، فبصرت بغنم مع راعيها فحنّت إليها واغترَّت بها فصاح بها الرّاعي: إلحقي براعيك وقطيعك فأنت تائهة متحيّرة عن راعيك وقطيعك، فهجمت ذعرة، متحيّرة، تائهة، لا راعي لها يرشدها إلى مرعاها أو يردّها،

فبينا هي كذلك إذ اغتنم الذّئب ضيعتها، فأكلها، وكذلك والله يا محمّد من أصبح من هذه الأمّة لا إمام له من الله عزّ وجلّ ظاهر عادل، أصبح ضالاًّ تائهاً، وإنْ مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق، واعلم يا محمّد أنّ أئمّة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله قد ضلّوا وأضلّوا فأعمالهم التي يعملونها كرمادٍ اشتدّت به الرّيح في يومٍ عاصفٍ، لا يقدرون ممّا كسبوا على شيء، ذلك هو الضلال البعيد(٥).

❁ الخبر السّادس:

صحيحة جابر بن يزيد الجعفي قال:

سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنما يعرف الله ويعبده مَنْ عرف الله وعرف إمامه منّا أهل البيت، ومَنْ لا يعرف الله عزّ وجلّ ولا يعرف الإمام منّا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله هكذا والله ضلالاً(٦).

❁ الخبر السّابع:

صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال:

ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرّحمان تبارك وتعالى الطّاعة للإمام بعد معرفته، إنّ الله تبارك وتعالى يقول : ﴿**من يطع الرّسول فقد أطاع الله ومن تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظاً** ﴾، أمَا لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدَّق بجميع مالِهِ وحجَّ جميع دهره ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله حقّ في ثوابه من أهل الإيمان(٧) .

❁ الخبر الثامن:

صحيحة الحارث بن المغيرة قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قال رسول الله : مَن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة؟

قال: نعم.

قلت: جاهليّة جهلاء أوجاهليّة لا يعرف إمامه؟

قال: جاهليّة كفر ونفاق وضلال(٨).

❁ الخبر التاسع:

صحيحة زرارة قال:

قال أبو عبد الله عليه السلام: إعْرِفْ إِمَامَكَ، فإنكَ إذا عَرَفْتَ إِمَامَكَ لم يضرّك، تقدّم هذا الأمر أو تأخّر (٩).

❁ الخبر العاشر:

صحيحة الفضيل بن يسار قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿**يوم ندعو كلّ أناسٍ بإمامهم**﴾ فقال: يا فضيل إعْرِفْ إمامك، فإنك إذا عرفت إمامك لم يضرّك، تقدّم هذا الأمر أو تأخّر، ومَن عرف إمامه ثمّ ما ت قبل أنْ يقوم صاحب هذا الأمر، كان بمنزلة مَنْ كان قاعداً في عسكره، لا بل بمنزلة من قعد تحت لوائه، قال: وقال بعض أصحابه: بمنزلة من استشهد مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم (١٠).

❁ الخبر الحادي عشر:

عن إسماعيل بن محمّد الخزاعي قال : سأل أبو بصير أبا عبد الله عليه السلام وأنا أسمع، فقال : تراني أُدْرِكُ القائم عليه السلام؟ فقال : يا أبا بصير ألست تعرف إمامك؟ فقال: إي والله وأنت هو . وتناول يده . فقال: والله ما تبالي يا أبا بصير ألاّ تكون محتبياً بسيفك في ظلّ رواق القائم صلوات الله عليه(١١).

الخبر الثاني عشر:

صحيحة الفضيل بن يسار قال:

سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: مَنْ مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهليّة، ومَنْ مات وهو عارف لإمامه لم يضرّه، تقدّم هذا الأمر أو تأخّر ومَنْ مات وهو عارف لإمامه، كان كمن هو مع القائم في فسطاطه (١٢).

وكذلك ما ورد عن عمر بن أبان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إعرِفْ العلامة فإذا عرَفْتهُ لم يضرَّك، تقدَّم هذا الأمر أو تأخَّر، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿**يوم ندعو كلّ أناسٍ بإمامهم** ﴾، فمن عرف إمامه كان كمن كان في فسطاط المنتظر عليه السلام (١٣).

ملاحظة:

لا يخفى بلاغة قوله عليه السلام في الخبر الأخير : " إعْرِفْ العلامة " فإنّ معرفة العلامة تستلزم معرفة كل ما يتعلَّق بالإمام عليه السلام سواء ما تعلَّق بنسّبِهِ أو ببدنه أو بعلمه وأخلاقه أو بخصائصه ومميّزاته، كما إنّ من مصاديق العلامة ما يتعلَّق بمقدِّمات ظهور الإمام الحجّة بن الحسن المهديّ المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشرّيف حتى لا يُشتبه الإمام عليه السلام بغيره ممّن يدّعي مقامه الشّريف .

الخبر الثالث عشر:

صحيحة إبن أبي يعفور قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل يتوالاكم ويتبرأ من عدوّكم ويحلّ حلالكم ويحرّم حرامكم ويزعم أنّ الأمر فيكم لم يخرج منكم إلى غيركم، إلاّ إنه يقول أنهم قد اختلفوا فيما بينهم وهم الأئمّة القادة، وإذا اجتمعوا على رجل فقالوا : هذا، قلنا هذا، فقال عليه السلام: إنْ مات على هذا فقد مات ميتة جاهليّة[١٤] .

ومثله ما رُوي من طريق حمران بن أعين وسماعة بن مهران فراجع[١٥] .

فليتأمّل المؤمن كيف أوجب الله معرفة شخص الإمام باسمه ونسبِهِ وصفتِهِ ولم يكتفِ بما دون ذلك .

وبالجملة: فإذا كان نصب الإمام ومعرفته واجباً عقلاً ونقلاً، وجب أيضاً أن يكون أفضل النّاس في جميع الصّفات الحميدة، ولا بدّ للقائل من أنْ يعتقد بأنّ الإمام عليه السلام جامع لصفات الفضل ممتازاً بها على العالم بأسره.

ولا ريب أنّ من تلك الصّفات "العِلْم" وقد أطال علماء الكلام [١٦] من الإماميّة في تفصيل الصّفات التي يجب أن يتحلّى بها الإمام، وهذا لا خلاف فيه أصلاً إلاّ في بعض التفاصيل، وقد أشرت سابقاً فلا أعيد. والّذي يستحقّ البحث في هذا المقام أمران:

الأوّل: هل أنّ علم الإمام يجب الإعتقاد به على نحو التفصيل أو يكفي الإجمال .

وبمعنى آخر : هل يجب على كلّ فرد أنْ يعتقد تفصيلاً بعلم الإمام وحقيقته أم لا ؟ .

الثاني: هل أنّ هذا الإعتقاد ضروريٌّ، بحيث يكون مَنْ لا يعتقد ذلك منكِراً لضروري من الضّروريّات الدّينيّة، أو ليس الأمر كذلك؟ .

● **أمّا الأمر الأوّل**: ففيه قولان:

أحدهما: وجوب المعرفة المطلقة، بمعنى أنّ الإعتقاد بماهيّة علم الإمام ومقداره واجب مطلقاً على كلّ الأفراد دون فرق بين الخاصّة والعامّة من النّاس .

ثانيهما: وجوب المعرفة القهريّة، بمعنى أنّ وجوب الإعتقاد بماهيّة عِلْمِ الإمام ومقدارِهِ متوقّف على الخواص من أهل العلم الباحثين في علم الإمام عليه السلام، بحيث يستلزم ذلك المعرفة التفصيليّة قهراً .

القول الأوّل هو الأرجح، وسيأتي بيان دليله .

وأمّا القول الثاني: فادّعى أصحابه عدم صحّته بوجهين:

الوجه الأوّل: عدم وجود دليل يرشد إلى وجوب الإعتقاد التفصيلي .

الوجه الثاني: إنّ أقصى ما يدلّ عليه العقل، هو أنّ الإمام يجب أن يكون أعلم الناس، فإذا وجب هذا، وجب على القائل بالإمامة الإعتقاد بذلك، لأن ذلك من شؤون الإمامة ولوازمها، ومَن أرشَدَه الدّليل إلى التفصيل وجب عليه الإعتقاد بما وَضُحَ لديه، لأنه من شؤون الإمامة عند ذاك .. وكيف نستطيع أن نقول بوجوب الإعتقاد بالتفصيل، والمعرفة التفصيليّة متعذّرة لمثل النّساء والأطفال، بل وعامّة النّاس؟!.

وبالجملة:

إنّ دعوى المستشكِل هي : إنصراف الإطلاقات إلى المعرفة التفصيليّة، وهي خاصّة بفئة معيّنة من الناس وهم الرّجال، لا سيّما المتخصّصون من أهل العلم .

يرد عليه:

(١) . إنّ احتمال انصراف معرفة الإمام في تلك الإطلاقات إلى معرفته الإجماليّة لفئة معيّنة دون المعرفة التّفصيليّة بجميع خصائصه الكماليّة خلاف الأصل والظّاهر، إذ الأصل في المعرفة كونها تفصيليّة حتى يرد دليل على العكس، وهو الظاهر من كلمات اللّغويّين في الفرق بين العلم والمعرفة، **فالعلم**:الإطّلاع على الكلّيات **.والمعرفة**:الإطّلاع على الجزئيّات، فالإطلاقات الواردة مثل قوله عليه السلام: " مَنْ مات لا يعرف إمامه مات ميتةً جاهليّة " و"إعْرِف إمامك " لا يُفهَم منها بحسب التبادر إلاّ التفصيل في نعته وصفته وسائر حالاته، والعجز عن التحصيل لا يُسْقِط الوجوب المذكور وإلاّ لأدّى ذلك . أي العجز . إلى سقوط كثير من الأجزاء والشّرائط في الأحكام الفرعيّة، فكما أنّ تعلّم الأحكام كالعبادات بأجزائها وشرائطها واجبٌ عيناً، كذا لا بدّ أنْ تكون معرفة صفات الإمام التفصيليّة واجبةً أيضاً بطريق أولى لتوقف صحّة العبادات بأجزائها وشرائطها على لزوم الإعتقاد بالإمامة؛ بل إنّ الإشتغال بالعلم المتكفّل لمعرفة الله ومعرفة خلفائه أهمّ من الإشتغال بعلم المسائل العمليّة؛ بل هو المتعيَّن لأنّ العمل يصحّ عن تقليد، فلا يكون الإشتغال بعلمه إلاّ كفائيّاً دفعاً لمحذور العُسْرِ والحرَج بخلاف المعرفة، إذ البحث التفصيلي بها لا يستلزم المحذور المذكور .

(٢) . لا شكّ أنّ البحث في معرفة علم الإمام هو من ضمن مسائل الإعتقاد التي يجب تحصيلها بالنّظر والإستدلال، والجاهل بها عن نظر خارج عن ربقة الإيمان، فتخصيص النّظر والإستدلال حينئذٍ ببعض دون بعض يُعْتَبَرُ ترجيحاً بلا مرجِّح وهو قبيحٌ .

وعدم تصوّر أو إدراك النّساء والصّبيان لها لا يستلزم القول بعدم وجوبها، كما لا ملازمة في المعرفة وعدم ها بين النّساء والرّجال، فلو فرضنا سقوط وجوبها عن النساء فلا ينسحب ذلك على الرّجال قطعاً .

● **وأمّا الأمر الثاني:**

فقد يُقال إنّ فيه تفصيلاً، من ناحية أنّ مثل الصبية والنسوة بل والسواد العام لا يتعقَّلون أنّ علم الإمام ضروريٌّ بحيث يُعدُّ منكره خارجاً من ا لدّين، فإنّ من يتعذّر في شأنه فهم الشّيء وإدراكه والوصول إلى كنهه كيف يكون اعتقاده به ضروريّاً؟ نعم، إنّ ذلك إنما يأتي في شأن الخواص من أهل العلم، ومَن قام لديه الدّليل على وجوب اتّصاف الإمام بتلك الخِصَال الكريمة، فإنّ العلم بالنسبة إليه ضروريٌّ، وإنكاره شأن إنكار الضّروريّات في الدّين .

والخلاصة:

إنّ أصحاب هذا الرّأي إستبعدوا المعرفة التفصيليّة بحجّة أنّ المعرفة المذكورة متعذّرة على النّساء، وكلّ متعذّر لا يجب الإعتقاد به، فمعرفته التفصيليّة لا يجب تحصيلها والإعتقاد بها .

ولكن يرد عليه:

أمّا الصغرى المنطقيّة فغير مسلَّمة، لِمَا مرَّ في الأمر الأوّل مناقشتها وعدم تماميّة دليلها، إذ كيف تكون معرفته التفصيليّة متعذّرة وقد دلّت الإطلاقات على وجوبها كغيرها من سائر الإعتقادات التي يجب تحصيلها عيناً .

وأمّا الكبرى فغير صحيحة، إذ نرى بالوجدا ن خلافها، فمن منّا لم يؤمن بذات الواحد القهّار وبصفاته التي يتعذّر بشكل كامل معرفته بها، مع هذا كلّه فإننا مأمورون بمعرفتها كاملاً وإنْ قصّرنا في تحصيلها، وكذا الحال في معرفة الإمام، فإذا لم تكن متعذِّرة على الخواص فلِمَ هي متعذِّرة على النّساء؟ وما علاقة الصّبيان بأصل التكليف حتى يقحمه صاحب الدّعوى مع النّساء؟!!.

فالصّحيح أنّ الإعتقاد بعلم الإمام عليه السلام واجبٌ وضروريٌّ على نهج الإعتقاد بسائر صفاته، بل هو أظهرها، وذلك لأنّ لطف الإمامة إنما هو بما يتحمّله الإمام من مسؤوليّة الهداية والإرشاد، ولا يتحمَّل تلك ا لمسؤوليّة ما لم يكن بتلك الصّفات الجميلة، فإنكار بعض صفاته التي بها امتيازه، يُعتبر إنكاراً للطفِ الإمامةِ .

وعليه: فإنّ العلم من ضروريّات الدّين، وإنكاره إنكار للضّروري، إذ كما إنّ إنكار فرع من الأحكام الشّرعيّة يَخرُجُ بصاحبه من الإيمان، كذا منكر علم الإمام بطريق أَوْلى لكون معرفته أصلاً تتوقّف عليه بقيّة الأحكام الفرعيّة، وإذا كان إنكاره للخواص وأهل المعرفة إنكاراً للطف الإمامة، فإنّ إنكار العامّة له يُعتَبَرُ إنكاراً للطف الإمامة، لذا فإنّ الإعتقاد به يُصبِحُ ضروريّاً بلا إشكال .

- **بيان أدلّة القول الأوّل:**

أشرنا آنفاً إلى حصول خلاف في معرفة علم الإمام وهل أنّ حكمها التكليفي هو وجوب تحصيل الإعتقاد التفصيلي فيها أو لا شيء من هذا القبيل بل يكفي المعرفة الإجماليّة؟ وهل للمعرفة التفصيليّة مدخليّة في تحقّق الإيمان والعدالة أم لا؟ .

وقد اختار بعض المتكلّمين كونها واجبة بالوجوب المشروط بحصول المعرفة بها قهراً، حتى إنه لا يجب تحصيلها مقدّمةً، ويعذر فيها الجاهل والمعتقد بها إجمالاً كما هو شأن سائر الواجبات المشروطة، وهو تفريط عند أصحاب هذا القول، كما إنّ الإعتقاد بكونها من قبيل العقائد الضّروريّة في عدم معذوريّة المخطئ والجاهل فيها عن قصور في الإدراك يُعْتَبَرُ إفراطاً، والنمرقة الوسطى أنْ يُقال:

إنّ معرفة ماهيّة علم الإمام من حيث الكميّة والكيفيّة لا بدّ أن تكون كمعرفة شخص الإمام بنَسَبهِ المعروف المختص به، وكوصفه بالعصمة والإمامة، ومعرفته عليه السلام بما أشرنا هي من لوازم وصفه بالعصمة والإمامة، بل هي كمعرفة الله وسائر الواجبات المطلقة من أصول العقائد التي قامت الأدلّة الأربعة على وجوب تحصيل الإعتقاد التفصيلي بها باطناً، والتديّن بها ظاهراً بالوجوب المطلق لا المشروط بحصول المعرفة قهراً، فيجب تحصيلها مقدّمةً .

ولا ريب أيضاً في مدخليّة ذلك الإعتقاد في العدالة، بل الإيمان، وجوداً وعدماً على وجه لا يُعذَر فيه الجاهل التارك لتحصيل المعرفة بها مقدّمةً، كما لا يُعذَر المعتقد بها إجمالاً، وإنْ عُذر المحصّل المخطئ فيها والجاهل قصوراً لا سيّما المستضعفين من النساء البُله في الإدراك .

• **دليل الكتاب:**

الآية الأولى : الإطلاق في قوله تعالى :﴿**وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون**﴾ (الذاريات/٥٦) .

نظراً إلى أنّ من مقدّمات العبادة؛ بل من أعظم أفرادها معرفة المعبود، ومعرفة خلفائه الميامين، لذا جاء بالصّحيح من أنه لا عبادة من دو ن سبق المعرفة، فعن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال: "خرج الحسين بن عليّ عليهما السَّلام على أصحابه فقال : أيها الناس إنّ الله عزّ وجلّ ما خلق العباد إلاّ ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه..." [١٧].

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿...**فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدّين وليُنذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون** ﴾ (التوبة/١٢٢) .

ودلالتها على إطلاق وجوب التفقّه في الدّين لم تقتصر على تعلّم مسائل الحلال والحرام فحسب بل تشمل مطلق المعارف الإلهيّة بقرينتين:

الأولى: ما ورد في المتواتر[١٨] من أنّ معرفة الإمام من تمام الدّين وكماله لما نصب الله تعالى ذكره عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام على الأمّة، فالجّاحد له خارج من دين رسول الله محمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم .

ولما كمُل الدّين بأمير المؤمنين عليه السلام وأبنائه المعصومين عليهم السَّلام، وتمّت بهم النّعمة ورضي لنا اللهُ الإسلامَ من خلالهم ديناً، كان من الواجب علينا

أنْ نسعى لمعرفة مَنْ به تمّت هذه النّعمة، وصار الإسلام مرضيّاً وإلاّ لكان الإمتنان عبثاً يتنزّه عنه المولى عزّ ذكره .

الثانية:

إستشهاد الإمام بالآية المتقدِّمة لوجوب النفر لمعرفة الإمام بعد موت الإمام السّابق .

فقد جاء في موثقة يعقوب بن شعيب عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إذا هلك الإمام فبلغ قوماً ليسوا بحضرته .

قال عليه السلام: يخرجون في الطّلب فإنّهم لا يزالون في عذر ما داموا في الطّلب

قلت: يخرجون كلّهم أو يكفيهم أنْ يخرج بعضهم؟ .

قال عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿**فلولا نفر من كلّ فرقة منهم** ..﴾ هؤلاء المقيمون في السّعة حتى يرجع إليهم أصحابهم[19].

فلمّا كان النّفر لمعرفة الإمام عليه السلام واجباً على طائفة، كان الإنذار للباقين واجباً أيضاً .

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿**لتسئلنّ يومئذٍ عن النّعيم**﴾ (التكاثر/٨).

وليس النعيم مقتصراً على الملذّات الماديّة كالطعام والشَّراب وما شاكلهما، بل يعمّ كل الكمالات الرّوحيّة التي تلعب دوراً في صقل الشخصيّة المؤمنة، ولا ريب أنّ منها نعمة الإمام والإمامة، والتي هي من أعظم النعم؛ وذلك لأمرين:

أحدهما: عموم الجمع المحلّي باللام، **وثانيهما:** لما ورد في تفسيره بنعمة الإمامة، منها:

(١) . ما رواه عطا عن جميل عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال:

قلت قول الله: ﴿**لتسئلنّ يومئذٍ عن النّعيم**﴾؟، قال: قال تُسأل هذه الأمّة عمّا أنعم الله عليهم برسو ل الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ بأهل بيته المعصومين عليهم السّلام[٢٠] .

(٢) . ما ورد إبن بابويه عن إبن زكريّا القاسم بن إسماعيل بسرّ مَن رأى سنة خمس وثمانين ومأتين قال: حدَّثني إبراهيم بن العبّاس الصَّولي الكاتب بالأهواز سنة سبع وعشرين ومائة، قا ل: كنّا يوماً بين يدي الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام وقال: ليس في الدنيا نعيم حقيقي، فقال بعض الفقهاء ممن بحضرته قول الله عزّ وجل: ﴿ **لتسئلنّ يومئذٍ عن النّعيم** ﴾ أمّا هذا النعيم في الدنيا وهو الماء البارد، فقال له الإمام الرّضا عليه السلام وعلاً صوته: كذا فسَّرتموه أنتم وجعلتموه على ضروب؟ فقال طائفة : هو البارد من الماء وقال غيرهم هو الطّعام الطيب وقال آخرون هو النوم الطيب، ولقد حدّثني أبي، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ أقوالكم هذه ذكرت عنده، في قول الله تعالى : ﴿**لتسئلنّ يومئذٍ عن النّعيم** ﴾ فغضب فقال: إنّ الله تعالى لا يس أل عباده عما تفضّل عليهم به، ولا يمتنّ عليهم والإمتنان مستقبح من المخلوقين، فكيف يُضاف إلى الخالق عزّ وجلّ ما لا يرضى به للمخلوقين ولكن النعيم حبّنا أهل البيت وموالاتنا يسأل الله عنه بعد التوحيد والنبوة لأنّ العبد إذا وافى بذلك أدّاه إلى نعيم الجنّة الّذي لا يزول ولقد حدّثني أبي، عن أبيه (جعفر بن محمّد، عن أبيه) محمّد بن عليّ، (عن أبيه عليّ بن الحسين) عن أبيه حسين بن علي، عن أبيه، أنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله

وسلَّم: يا عليّ إنّ أوّل ما يُسأل عنه العبد بعد موته لشهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمَّداً رسول الله وأنك وليّ المؤمنين بما جعله الله وجعلته لك، فمن أقرّ بذلك وكان يعتقده صار إلى النعيم الّذي لا زوال له[٢١] .

الآية الرابعة : قوله تعالى : ﴿**يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم**﴾ (النساء/٥٩).

فالآية واضحة الدّلالة على وجوب إطاعة الأمّة فرداً فرداً لله سبحانه وتعالى ولرسوله ولأولي الأمر الّذين أشار إليهم الرّسول في عدّة مناسبات، ولا يصحّ أن يأمر الله تعالى بطاعته وطاعة من ذكرتهم الآية المباركة من دون معرفته عزّ وجلّ ومعرفة حججه الطاهرين عليهم السَّلام، إذ الطّاعة فرع المعرفة، فما لم يُعْرَف الله سبحانه وحججه كيف يمكن أن يتوجّه الخطاب للعباد بوجوب طاعته وطاعتهم، إذ يكون باب التعليق على الشّرط المستحيل تحقّقه .

وقد أشارت الأخبار الصّحيحة إلى ما أشرنا آنفاً، ففي تفسير عليّ بن إبراهيم عن إبن أذينة عن أبان بن أبي عيّاش عن سليم بن قيس قال:

سمعت عليّاً عليه السلام يقول وأتاه رجل فقال له : أدنى ما يكون به العبد مؤمناً وأدنى ما يكون به العبد كافراً، وأدنى ما يكون به العبد ضالاًّ؟ فقال له : سألْتَ فافْهم الجواب:

أمّا أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أن يعرِّفه الله تبارك وتعالى نفسَه فيقرّ له بالطّاعة ويعرِّفه نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم فيقرّ له بالطّاعة ويعرِّفه إمامه وحجّته في أرضه وشاهدَه على خلقه فيقرّ له بالطّاعة .

فقلت: يا أمير المؤمنين وإنْ جهل جميع الأشياء إلاّ ما وَصَفْتَ؟.

قال (عليه السلام): نعم إذا أمر أطاع، وإذا نهى انتهى، وأدنى ما يكون به العبد كافراً مَنْ زَعَمَ أنّ شيئاً نهى الله عنه إنْ الله أمر به، ونصبه ديناً يتولّى عليه ويزعم أنه الذي أمره به، وإنما يعبد الشَّيطان، وأدنى ما يكون به العبد ضالاًّ أنْ لا يعرفَ حجّةَ الله تبارك وتعالى وشاهده على عباده الّذين [لعلّه تصحيف: الّذي] أمر الله عزّ وجلّ بطاعته وفرض ولايته .

قلت: يا أمير المؤمنين صفهم لي .

قال (عليه السلام): الّذين قرنهم الله تعالى بنفسه ونبيّه فقال: ﴿**يا أيها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم**﴾ .

فقلت: يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك أوضح لي؟.

فقال (عليه السلام): الّذين قال رسول الله في آخر خطبة يوم قبضه عزّ وجلّ إليه: " إني قد تركت فيكم أمرين، لن تضلّوا بعدي، إنْ تمسّكتم بهما كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي أهل بيتي، فإنّ اللطيف الخبير قد عهد إليَّ أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض وجمع بين مسبحتيه ولا أقول كهاتين، وجمع بين المسبحة والوسطى فيسبق أحديهما الأخرى، فتمسّكوا بهما لا تزلّوا ولا تضلّوا ولا تتقدّموهم فتضلّوا [٢٢].

❁ وفي موثقة عيسى بن السري قال:

قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): حدّثني عمّا تثبت عليه دعائم الإسلام إذا أخذت بها زكى عملي، ولم يضرني جهل ما جهلت بعده .

فقال (عليه السلام): شهادة أنْ لا إله إلاّ الله وأنّ محمَّداً رسول الله والإقرار بما جاء به من عند الله وحق في الأموال من الزكاة والولاية التي أمر الله بها ولاية آل

محمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم قال : قال رسول الله : مَن مات ولا يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهل يّة قال الله عزّ وجلّ : ﴿**وأطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم** ﴾ فكان عليّ عليه السلام ثم صار من بعده حسن عليه السلام، ثم حسين عليه السلام، ثم من بعده علي بن الحسين عليه السلام، ثم من بعده محمّد بن عليّ عليه السلام، وهكذا يكون الأمر، إنّ الأرض لا يصلح إلاّ بإمام ومن مات لا يعرف إمامه مات موتة جاهليّة وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه هيهنا قال : وأهوى بيده إلى صدره يقول حينئذٍ لقد كنت على أمرٍ حسن(٢٣) .

وقد توهّم العامّة وبعض العلماء من الشيعة من أنّ المراد من أولي الأمر هم الفقهاء تمسكاً بالإطلاق فيها، لكنه مردود من ناحيتين:

الناحية ا لأولى: دلالة الأخبار وحصرها الإطاعة بأفراد معيَّنين، منها الأخبار المتقدّمة، ومنها ما ورد من أنّ المعنيّ بها آل البيت عليهم السَّلام خاصّةً (٢٤).

الناحية الثانية : دلالة الآية على عصمة أولي الأمر حيث قرنت طاعتهم بطاعة الله ورسوله، ولا ريب أنّ الله تعالى معصومٌ لا يصدر منه جهل أو نسيانٌ أو سهوٌ وما شابه ذلك، وكذا رسوله، ولا أحد يمكنه أن يصوّر لنا عصمة الفقهاء عن الخطأ والنسيان والجهل، ولا يدّعي ذلك إلاّ مكابر على الحقيقة ومتجاسر على الحقّ المتعال .

وعليه؛ فلمّا كان الفقهاء في معرض الخطأ لا يصحّ حينئذٍ د عوى وجوب إطاعتهم فيه، لكونه تغريراً بالقبيح وأمراً باتباعه وقد نهى عنه سبحانه في آيات أخر بقوله تعالى:

﴿**كلوا ممّا في الأرض حلالاً طيّباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾(البقرة/١٦٨)

﴿**أدخلوا في السّلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشّيطان**﴾(البقرة/٢٠٨).

﴿**ولا تتبعوا الهوى أن تعدلوا**﴾ (النساء/١٣٥).

﴿**ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيراً**﴾(المائدة/٧٧).

﴿**ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾ (النساء/١٥٣).

﴿**اتبعوا ما أنزل إليكم من ربّكم ولا تتبعوا من دونه أولياء** ﴾ (الأعراف/٣).

والخلاصة: إنّ الآية أمر ت بطاعة أولي الأمر عليهم السَّلام ، والأمر بالإطاعة يستلزم المعرفة .

الآية الخامسة:

قوله تعالى:﴿ **إنّا عرضنا الأمانة على السّماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً** ﴾ (الأحزاب/ ٧٢).

ودلالتها على المدَّعى من وجهين:

الأوّل: إنّ التكليف بحفظ الأمانة واجب على كل فرد، والإمامة من المصاديق الكبرى للأمانة، فكما أنّ الأمانة مكلّف بحفظها الإنسانُ، كذا

الإمامة بطريق أَوْلَى، والتكليف بحفظها متوقّف على معرفة صاحبها واللوازم التي لا تنفك عنه كالعِلْم والعصمة وما شابهما .

الثاني: ورود الأخبار بتفسير الأمانة بالإمامة؛ منها:

(**١**) . ما رواه عليّ بن إبراهيم في تفسير الآية، قال : الأمانة هي الإمامة والأمر والنهي، والدّليل على أنّ الأمانة هي الإمامة : ﴿**إنّ الله يأمركم أنْ تؤدّوا الأمانات إلى أهلها** ﴾ يعني: الإمامة، هي الإما مة، عُرِضَت على السماوات والأرض والجبال فأبين أنْ يحملنها، قال : أبين أنْ يدّعوها أو يغصبوها أهلها، و﴿**وأشفقن منها وحملها الإنسان**﴾ أي: فلان ﴿**إنه كان ظلوماً جهولاً ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً**﴾[٢٥] .

(**٢**) . ما رواه العلاّمة المجلسي عن الحسين بن عامر عن محمّد بن الحسين عن الحكم بن مسكين عن إسحاق بن عمّار عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ : ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض** ﴾ قال: يعني ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[٢٦].

(**٣**) . عن الهمداني عن عليّ عن أبيه، عن عليّ بن معبد عن الحسيين بن خالد، قال : سألت الرّضا عليه السلام عن قول الله : ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض**﴾ قال: الأمانة الولاية، مَن ادّعاها بغير حقّ فقدكفر[٢٧].

(**٤**) . ما رواه عن إبن المتوكل عن الحميري عن إبن عيسى عن الحسن بن عليّ عن إبن فضال عن مروان بن مسلم عن أبي بصير قال : سألتُ أبا عبد

الله عليه السلام عن الآية: ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أنْ يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً**﴾قال عليه السلام:الأمانة الولاية، والإنسان أبو الشرور(٢٨).

(٥) . ما رواه عن أحمد بن محمّد عن الحسين بن سعيد عن المفضل بن صالح عن جابر عن مولانا أبي جعفر في قول الله تبارك وتعالى : **إنا عرضنا الأمانة...**﴾ قال عليه السلام: الولاية أبين أنْ يحملنها كفراً بها ﴿**وحملها الإنسان**﴾ والإنسان الّذي حملها أبو فلان (٢٩).

بيان هامّ: هذه الأخبار المتواترة بضميمة ما جاء في تفسير الأمانة بالإمامة بقوله تعالى : ﴿**إنّ الله يأمركم أنْ تؤدّوا الأمانات إلى أهلها** ﴾ يتوضّح أنّ مغتصب الخلافة هو نفسه الظلوم الجهول، والتعبير بالظلوم الجهول مبالغةً في الظلم والجهل يدلّ بالدلالة المطابقيّة والإلتزاميّة أنّ الّذين اغتصبوا الخلافة من أمير المؤمنين عليّ عليه السلام هم الّذين عنتهم الآية المبارَكة وليس الحجب الظلمانيّة الملازِمة للخليفة كما يصوِّر ذلك بعض الحمقى من بعض رجال الدين الشيعة الّذين تأثروا بأفكار عامّية لا علاقة لها بدين آل محمّد عليهم السَّلام، بل ما نفثوه ما هو إلاّ إيحاءات شيطانيّة يوسوسون بها إلى عقول السذَّج من الشيعة .

وما فعلوه ما هو إلاّ تفسيرٌ لكلام الله بآرائهم، ومَن فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده في النار، حسبما جاء في الأخبار الصحيحة .

وإني لأعْجَبُ من هؤلاء المتمشيخين كيف فسّروا الآية بالحجب الظلم انيّة مع أنها واضحة الدّلالة بحسب ألفاظها وطبقاً لقواعد اللغة العربيّة من أنّ

اللاّم في الإنسان الواردة في الآية هي للعهد، أي أنّ الّذي تحمّل الخلافة واغتصبها من أهلها رجلٌ معهودٌ معروفٌ ومشهورٌ بين القاصي والدّاني قديماً وحديثاً، عنيت به أبا الشرور أبا ب كر، حيث ادّعى الخلافة لنفسه ظلماً لأهلها وعتواً على الله تعالى وعلى أوليائه الكرام الميامين عليهم السَّلام، فما ادّعاه أولئك الحمقى لا يصلح لأنْ يُرَدَّ عليه؛ لكن حتى لا تسري الشبهة إلى السذّج من الشيعة، أحببتُ الإيراد عليها بالإجمال، وإلاّ ما جاء في أخبار نا في تفسيرها كافٍ ووافٍ بحمد الله، ولله الشّكر، ولأوليائه المِنّة، وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون، والعاقبة للمتقين .

- **دليل السنّة:**

ونستدل على المدَّعى بالإطلاق في الخبر المتواتر بين الفريقين المرويّ عن أئمّة آل البيت عليهم السَّلام عن جدّهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم قال: " مَن مات وهو لا يعرف إمامه، مات ميتةً جاهليّة ..." (٣٠).

۞ وفي صحيحة الحارث بن المغيرة قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: مَن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة؟

قال عليه السلام: نعم

قلت: جاهليّة جهلاء أو جاهليّة لا يعرف إمامه؟

قال: جاهليّة كفر ونفاق وضلال(٣١) .

والعامة رووا عن رسول الله أنّه قال:

"مَن مات وليس عليه طاعة مات ميتة جاهليّة [٣٢]" .

"مَن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة[٣٣]".

"مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة [٣٤]".

" من مات ولا إمام له مات ميتة جاهليّة[٣٥] ".

إنْ قيل: إنّ هذه الأحاديث غاية ما تدلّ على وجوب طاعة إمام الجماعة حسبما رووا عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم:

" مَن مات وليس لإمام جماعة عليه طاعة مات ميتة جاهليّة[٣٦] ".

قلنا: يجب . بحسب هذه الشّبهة . مبايعة إمام جماعة المسلمين بالإنصياع والركون إليه حتى لو كان معاوية ويزيد والشمر اللعين، وقد نهى عزّ وجلّ عن الرّكون إلى الظالمين وإنْ كانوا من المصلّين، مضافاً إلى أنّ لسان هذا الخبر تفوح منه رائحة أمويّة، أرادت من المسلمين أنْ يكونوا إمّ عة ودوابّاً يركب عليها معاوية وأتباعه . وهل في مخالفة الظالمين مشكلة إيمانيّة تُخرج الفرد المسلم من الإيمان لمجرَّد عدم الإذعان لسطوات الجبارين والمنافقين؟، وقد مدح الله عزّ وجلّ المجاهدين لهم بالأنفس والمال والبنين، ورغَّبَت السنّة المطهَّرة بفضحهم وتعريتهم أمام جموع المسلمين حتى لا يغترّوا بهم فيقتدوا بأفعالهم أو يصيروا من أتباعهم فيزداد الظلم ويكثر الفساد في الدنيا والدين .

وصفوة القول:

إنّ معرفة إمام الزمان ليست مقتصرة على معرفة شكله وشمائله بالرّؤية، بل معرفة شخصه بالنّسب المعروف المختص به ووصفه بـالإمامة والعصمة، التي من لوازمها عموم علمه وفعليّته .

مضافاً إلى أنّ الخبر الشريف يدلّ على أنّ لكل زمان إماماً في الحقيقة يصحّ أن يصدر منه الأمر، ويلزم اتباعُهُ، وهذا واضح لمن طلب الصّواب، وهو ما أشار إليه خبر عمر بن يزيد عن مولانا أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال:

سمعته يقول: مَن مات بغير إمام مات ميتةً جاهليّة، إمام حيّ يعرفه، قلت : لم اسمع أباك يذكر هذا، يعني إماماً حيّاً، فقال : قد والله قال ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، قال : وقال رسول الله : مَن مات وليس له إمام يسمع له ويطيع مات ميتةً جاهليّة[٣٧] .

وورد مثله عن أبي الجارود عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام [٣٨].

وبمقارنة صدر الحديث " إمام حيّ يعرفه " وذيله " يسمع له ويطيع " تتضح لنا دلالة الحديث على وجوب المعرفة بإمامته ولوازمها، إذ كيف يسمع ويطيع وهو جاهلٌ بإمامه، مضافاً إلى أنّ السّمع والإطاعة فرع ص دور الأمر منه، وهو من لوازم الهداية على يديه الشريفتين مما يستتبع الإعتقاد بسعة علمه وفعليّته، وما أشرنا إليه هو من المعاني الدّقيقة التي قلّما تفطَّن إليها الفقهاء، فتأمّل .

وأيضاً إطلاق قوله في المأثور في الجامعة الكبيرة وغيرها : " مَن عرفنا فقد عرف الله ومَن أنكرنا فقد أنكر الله [٣٩]".وكذا قوله في الزيارة الجامعة أيضاً : "مَن والاكم فقد والى الله...".

وأيضاً عموم قوله: " ما أعرف شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصّلاة [٤٠] بناءً على أنّ الأفضليّة من الواجب المطلَق . خصوصاً من مثل الصَّلاة . يستلزم الوجوب المطلَق.

مضافاً إلى أنه إذا وجبت معرفة الصَّلاة بشرائطها وأجزائها فمعرفة الإمامة ولوازمها من العصمة وعموم عِلْمه وفعليّته تكون بطريق أَوْلَى .

إلى غير ذلك من العمومات والإطلاقات في الآيات والأخبار الدالة على وجوب الإيمان والتفقّه والمعرفة والتصديق، وعدم الرّخصة والمعذوريّة في الشكّ والجهل بمعرفة الله عزّ وجلّ ومعرفة خلفائه ومراتب سفرائه مع تيسّر العِلْم بها لأحد من المكلَّفين إلاّ المستضْعَفين البُلَّه من النساء والرجال والأطفال، حسبما جاء في الأخبار الصّحيحة، والتي منها:

معتبرة زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن المستضعَف؟، فقال: هو الّذي لا يستطيع حيلة يدفع بها عنه الكفر ولا يهتدي بها إلى سبيل الإيمان، لا يستطيع أنْ يؤمن ولا يكفر، قال : والصّبيان ومَن كان من الرّجال والنساء على مثل عقول الصبيان [٤١].

دعوى وردّ:

مفاد الدّعوى: إنه من المحتمل انصرا ف معرفة الإمام في تلك الإطلاقات إلى معرفته الإجماليّة بأظهر خواصه وخصائصه، وهي الرّياسة العامّة الإلهيّة دون معرفته التفصيليّة بجميع خصائصه الكماليّة، كاحتمال كون المراد وجوب الإعتقاد والتديّن مشروطاً بحصول المعرفة قهراً لا مطلَقاً ليجبَ تحصيلها مقدّمةً .

هذه الدّعوى مردودة لكونها خلاف الأصل والظاهر، بل قد يُقال : إنّ الإشتغال بالعلم المتكفّل لمعرفة الله ومعرفة خلفائه أهمّ من الإشتغال بعِلْم المسائل العمليّة، بل هو المتعيّن، لأنّ العمل يصحّ عن تقليد، فلا يكون الإشتغال بعلمه إلاّ كفائيّاً، بخلاف المعرفة فلا تصحّ إلاّ عن استدلال وبرهان، فتأمّل .

- **دليل الإجماع:**

وأمّا الإستدلال على المسألة من الإجماع فهو الظاهر من إطلاق ما استدلّ به العلاّمة والفاضل المقداد في الباب الحادي عشر من إجماع العلماء كافّة على وجوب تحصيل المعارف بالنظر والإجتهاد، وأنّ الجاهل بها عن نظر واستدلال خارج عن ربقة الإيمان، ومستحقّ للعذاب الدّائم .

- **دليل العقل:**

وأمّا من العقل، فيكفي أيضاً ما استدلّ به متكلّمو الإماميّة قاطبةً على وجوب تحصيل المعرفة . والتي من مصاديقها معرفة الإمام بخصائصه التي جعلها الله سبحانه فيه . وكذا النظر في المعجزة، بقاعدة وجوب شكر المنعم، بتقرير هو الآتي:

"إنّ شكر المنعم واجبٌ، ولا يتمّ إلاّ بالمعرفة ".

أما انه واجب، فلأنه تقرّر عند العقلاء، وجوب شكر كلّ من أنعم على آخر، فترْك شكره يُعتبر قبيحاً، يوجب التوبيخ واللّوم عندهم .

وأما أنه لا يتمّ الشكر إلاّ بالمعرفة، فلأنّ الشّكر إنما يكون بما يناسب حال المشكور، فالشّكر مسبوق بمعرفة المشكور، وإلاّ لم يكن شكراً، والباري تعالى

منعم، فيجب شكره، فتجب معرفته، وكذا الأئمة عليهم السَّلام بالنسبة إلى سائر الخلق أولياء النعم بالعقل والنقل، فتجب معرفتهم للنكتة المتقدّمة، ولما تقرّر من توقّف شكر المنعِم الّذي هو عبارة عن تعظيمه باللسان وتنزيهه عمّا يوجب النقص عليه، وما يصحّ منه وما يمتنع عليه، حذراً من اتصافه في مقام الشكر بما لا يليق بحاله من الجهل والنقص .

كما يستدلّ على وجوب المعرفة بقاعدة وجوب دفع الضّرر المحتمل، حي ث إنّ الجاهل بشيء من المعارف يحتمل في نفسه أن يفوته من مصالح العِلْم، ويصيبه من مفاسد الجهل ما يتضرّر به، وهو ألم نفساني، يجب بإلزام العقل دفعه، بل وبقاعدة دفع الضرر المظنون بل المعلوم .

وعليه؛ فمن المعلوم بالضّرورة، أنّ وصف الإمام عليه السلام كما أشرنا من اتصافه بالعلم الحضوري، وتنزيهه عمّا يوجب تنزيله ودفعه عن مقامه الّذي رتّبه الله تعالى فيه، أكمل وأحسن من وصفه بضدّه، فيجب المصير إليه، لِمَا فيه من الإحتراز عن الضَّرر المعلوم .

فلا غرابة إذاً لو قلنا بوجوب الإعتقاد بعلم الإمام عليه السلام على نهج الإعتقاد بسائر صفاته، بل هو أظهرها، كما أنّ إنكاره للخواص وأهل المعرفة إنكار للطف الإمامة، لأنّ لطف الإمامة إنما هو بما يتحمّله الإمام من مسؤولية الهداية والإرشاد، ولا يتحمّل تلك المسؤوليّة ما لم يكن متقمّصاً بتلك الصّفات الجميلة، فإنكار بعض صفاته التي بها امتيازه إنكار لل طف الإمامة مما يستلزم إنكار الضروري وهو على حدّ الشّرك بالله .

وبهذا يتضح أنّ الإعتقاد بعِلْمهم الحضوري وعمومه المتعلّق بكلّ شيء من لوازم الإيمان، لتعلّقه بمقاماتهم وكراماتهم ومعاجزهم وفضائلهم التي حباهم بها مولاهم الحقّ، فحرمة إنكار ما ورد في عموم علمه م وحضوريّته وسائر شؤونهم يفضي إلى إنكار فضائلهم ومراتبهم التي رتّبهم الله فيها، وعليه؛ كيف لا يكون العلم حينئذٍ ضروريّاً لهم خاصّة؟!!.

الآراء في علم الإمام عليه السلام:

قلنا فيما سبق أنّ ثمة خلافاً بين محقّقي الإماميّة على عموم علم الإمام وفعليته، فالمشهور أثبت عمومه وفعليته، وفي مقابله دعوى للشيخ الصّدوق على ثبوت السهو من المعصوم عليه السلام في التبليغ وغيره، وقد أصبغ على مدّعاه أدلّة واهية، هي في الواقع زخارف وأماني . إنْ صحّت نسبتها إليه . وسنتعرّض إلى دعاويه وإبرامها بإذن الله تعالى .

وقد وافقه جماعة في نسبة السهو إلى المعصوم في غير الأحكام التبليغيّة كالطبرسي في "مجمع البيان" في ذيل الآية ٦٨ من سورة الانعام، وكذا السيد المرتضى في كتابه " الإنتصار صفحة ٢٤٢ " في مقام نقل إستدلال الإسكافي في باب القضاء على عدم جواز قضاء الإمام بعلمه، بل لعلّه صريح صاحب الجواهر [٤٢] وصاحب القوانين [٤٣] والكراجكي[٤٤]، والشيخ المفيد[٤٥] والعلاّمة حسبما حكاه عنه العلاّمة المجلسي[٤٦].

وبالجملة: فالأمّة على رأيين، واحد للمشهور ونحن نؤيّده، والآخر للصدوق وأنصاره .

أمّا الأوّل؛ فلا شكّ أنّ القول به يستلزم براءة الذمّة، وأقرب إلى كيان المعصوم من حيث نسبة الكمال إليه دون الرّأي الآخر، ولو دار الإحتمال بين القول الأوّل والثاني، فلا بدّ للعقل أنْ يختار القول الأوّل، لأنّ وصف الإمام بعموم العلم وفعليته، أكمل وأحسن من وصفه بضدّها، فيجب المصير إليه، لما فيه من الإحتراز عن الضرر المظنون بل المعلوم، حسبما أشرنا سابقاً .

الرّأي الرّاجح:

بعد الفحص والتتبع في الآيات والأخبار، وردّ العام إلى الخاصّ، والمطلَق إلى المقَيَّد، والمحكم إلى المتشابه، دلّت البراهين . وأخذت بعنقي . إلى أنّ علم الإمام حضوري وفعلي، ولا يستلزم القول بذلك مشاركتهم لله تعالى . حسبما توهّم السذَّج من بعض أهل العلم . وذلك لانّ علم الله تعالى قديم وسابق على المعلومات، وهو عين ذاته وعلّة للمعلومات، وأمّا علم الأئمّة . وعلى رأسهم رسول الله . بخلاف ذلك، حيث إنّه حادث ومسبوق بالمعلومات، وهو غير الذات فيهم، وليس بعلّة للمعلومات، وإنّما حضوره عندهم بمعنى انكشاف المعلومات لديهم فعلاً . فدعوى أنهم مشاركون له تعالى بهذه الصّفة دونها خرط القتاد، ومردودة جملةً وتفصيلاً، وذلك لاختلاف العلمين في الصّفة، على أنّ علمه تعالى ذاتي، وعلمهم عرضيّ موهوبٌ وممنوحٌ منه جلّ شأنه فلم يبق مجال لدعوى اتحاد العلمين ذاتاً .

ولا أحسب مَن قال بعدم عموم علمه وحضوريّته إلاّ كمن قال بسهو الإمام الحجّة عليه السلام وذلك لاستلزامه الجهل في ذات الإمام، والجهل رجس نزّهه الله تعالى عنه بقوله : ﴿**ويطهركم تطهيراً**﴾، إذ كلّ ما احتُمِلَ في حقّه

ﷺ من نسبة النقص والجهل إليه، يكون مردود اً بما أشرنا، ولما يأتي من البراهين الساطعة العقليّة والنقليّة على عموم علمه وفعليّته وهي كثيرة جدّاً نبحثها ضمن نقطتين:

النقطة الأولى: البراهين العقليّة.

البرهان الأوّل: قاعدة اللطف .

إنّ مقتضى قاعدة اللطف العميم الواجب على الله عقلاً أنْ يتصف الأكمل من الذوات وهو الإمام بالأكمل من الصفات، وهو فعليّة العلم وعموم كميته، فلو لم يكن أكمل الذوات ومتصفاً بأكمل الصفات . أي العلم التام . لكان ناقضاً لغرضه، وهو خلاف مقتضى اللطف الواجب على الحقّ المتعال عزّ شأنه .

وبعبارة اخرى : إنّ الأكمل في الرسالة والإم امة أنْ تكون الصفات في الرسول والإمام أتمّ الصفات، ولا تكون كذلك ما لم يكن علمه حضوريّاً غير معلَّقٍ على الإشاءة والإرادة لأنّ العلم المعلّق على الإشاءة كمالٌ لا أكمل، وفضيلة لا أفضل، فتدبّر .

البرهان الثاني: قاعدة الأقربيّة .

إنّ عموم علم الإمام بأفعال الأنام وإطلاعه فعلاً بها، أقرب إلى طاعتهم، وأبعد عن معصيتهم، فيجب على الحكيم أنْ يطلعه على عموم العلوم من دون استثناء للنكتة المزبورة، ولأنّ على الواجب نصب الإمام وجعله حجّة على الناس، يجب أنْ يعطيه العلم التام بما يحتاج إليه الأنام .

ووجه الأقربيّة، أنّ العاصي في السّر أكثر منه في العلانية، وامتناع المكلَّف عن العصيان مع وجود المطّلع أكثر منه مع عدم وجوده، فإعطاء العلم الحضوري الدفعي التام للإمام يكون أقرب إلى طاعة العباد للرب المتعال، وأتمّ لسوقهم إلى الرّشاد، فيجب على الحكيم الواجب بمقتضى الملاك في قاعدة اللطف، وحيث وجب بقاعدة اللطف أصل الإمامة وعصمة صاحبها وتنزيهه من جميع المناقص الخَلْقيّة والخُلُقيّة والنَّسَبيّة، فليثبت ما نحن بصدده من فعليته وعموم كميته بها بل وبأولويّتها .

البرهان الثالث: قاعدة المقتضي وعدم المانع.

إنّ عموم علمهم الفعلي من الفيوضات الداخلة تحت عموم قدرة المبدأ الفيّاض، فثبت المقتضي، وامّا قابليّة محلّ الإمامة الكبرى لتلك الفيوضات المقدَّسة العظمى من أعلى مراتب القابليّات، لانّه أشرف الممكنات، وأتمّ المخلوقات للتجليات، فيثبت فُقْدان المانع أيضاً .

وبتعبير آخر: إنه تعالى قادر على تعميم علم الإمام لقدرته عزّ وجلّ على كل مقدور، والحاجة داعية إليه لكونه أقرب للطاعة، ولا مفسدة فيه، فيجب على الحكيم إيجاده في الإمام عليه السلام .

البرهان الرابع: قاعدة الإحتياج .

لا ريب أنّ العباد محتاجون إلى العلّة بقاءاً كما احتاجوا إليها حدوثاً ، واحتياجهم للعلّة بقاءً يستلزم افتقارهم في المعرفة إليها، فلا بدّ من إيجاد إمام ليكون الواسطة في المعرفة، وهذا الإمام لا بدّ له من علم إلهي تامٍّ لتتمّ به الحجّة أكثر، وحيث لا مفسدة فيه ولا منقصة، يجب حينئذٍ فِعْله على القادر

الحكيم، إذ لا بخل في المبدأ الفياض، ولا ضيق في القابليّة التي هي واسطة في إيجاد المعرفة، فثبت المطلوب .

البرهان الخامس: قاعدة الأتمّ الأصلح .

إنّ وصف الإمام عليه السلام بالعلم الدفعي الحضوري أتمّ من وصفه بضدّه، فيجب المصير إليه، لأنّ فيه دفع الضّرر المظنون بل المقطوع، إذ لو كان الإمام غير متصف بالعلم الدفعي الحضوري لكان متصفاً بضدّه وهو الجهل المظنون بل المقطوع الضّرر، بمعنى أننا نظنّ أنّ الله تعالى يعاقبنا في حال نسَبْنا إلى وليّه عدم اتصافه بالعلوم الدّفعيّة، فيجب دفع هذا الضرر المظنون بل المقطوع . لعدم إمكان ترجيح أخبار العلم الإشائي على العلم الحضوري، لمخالفة الأول للآيات ولموافقته لقضاة العامّة؛ ولأنّ الثاني موافق للكتاب الكريم ومخالف للعامّة . بحكم ضرورة العقل والشرع، فيجب حينئذٍ المصير إلى ما ذهبنا إليه، فيثبت المطلوب .

البرهان السادس: قاعدة الإمكان الذاتي والوقوع .

العلم الإلهي التام وحضوريّته لدى الإمام عليه السلام أمرٌ ممكن، وكلُّ ممكن أخبر به الصادقون من آل محمَّد فهو حقٌّ، فيجب الإعتقاد به، ويحرم التكذيب به أو الإعتقاد بخلافه.

أمّا إمكانه فمسلَّم، مضافاً إلى أنّ وقوعه في الجملة . على أقلّ التقادير . دليل إمكانه بالجملة .

وأمّا إخبار الصادقين به فمعلوم تواتره بأبلغ وجه، بل دلالة هذا الدليل على عموم علم الإمام أدلّ من دلالته على صحّة الرّجعة أو المعاد بعد الموت

الذي استدلّ به المتكلّمون على صحّة أحدهما، وذلك لأكثريّة علم الإمام مما هو محلّ الكلام، بخلاف الرجعة بعد الموت، فإنه وإنْ اتّفق وقوعه في الأمم السابقة بل وفي هذه الأمّة، إلاّ إنه أقل قليل، كما انّ دلالته على صحّة الرّجعة أدلّ من دلالته على صحّة المعاد لوقوع مثل الرّجعة ولو قليلاً بخلاف المعاد فإنه لم يقع مثله قط بعد .

فوقوع العلم الحضوري وعمومه أكثر وقوعاً عند أولي الرشاد من الرجعة والمعاد، فدليله أظهر من دليلهما .

البرهان السابع: قاعدة الأولويّة .

وجه الأولويّة أنّ المعاد أمرٌ لم يقع قط ولكنّه ممكن وواقعٌ تحت قدرة الله عزّ شأنه، وقد أخبر به الصادق الأمين، وأمّا العلم الحضوري الإحاطي التام للنبي والإمام عليهما السَّلا م فأمرٌ قد وقع ودلّت عليه الآيات والأخبار فظهور برهان المتكلّمين لإثبات العلم الحضوري الدفعي، أَوْلَى وأقوى من إثبات المعاد.

والفرق بين دليل الوقوع والأولويّة، أنّ دليل الوقوع أُخِذَ في موضوعه أصل الوقوع، وأمّا دليل الأولويّة، فأُخِذَ في موضوعه جانب تر جيح الوجود على العدم بواسطة المرجّح .

البرهان الثامن: قاعدة الحُبّ .

إنه عزّ شأنه أحبَّ أنْ يُعرف فخلق الخلق لكي يُعرف لقوله تعالى : ﴿**وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون** ﴾ (الذاريات/٥٦)، وقوله في الحديث القدسيّ: (كنتُ كنزاً مخفيّاً فأحببتُ أنْ أُعْرَف فخ لقت الخلق لكي أُعْرَف)،

ومعرفته بالأسماء والصّفات العُليا، تحتاج إلى إعطاء العلم الحضوري الدفعي لأحبّ خلقه من المعصومين الأئمّة الأطهار عليهم السَّلام، فإنه تعالى خلقهم لانّه أحبّهم لا بما هم فقط بل لما يصدر منهم، فالحيثية تعليليّة قطعيّة لا تقييديّة، فالعلم الموهوبي واجبٌ لازمٌ وإلاّ لأخلّ بغرضه، فإنّ الغرض المفروض هو المعرفة التامّة، ولا يحصل إلاّ بالعلم الإلهي الموهوب كما أشرنا .

البرهان التاسع: قاعدة المظهريّة .

إنّ علّة خلقه عزّ وجلّ للخلق إنما هو معرفته حسبما أشرنا آنفاً، والمفروض أنّ معرفته موقوفة بعبادته ونصوصيّته على خلق الخلفاء مظهراً لجميع صفاته الجلاليّة، ومرآةً لتجلّي معارفه الخفيّة، وظلاًّ ظليلاً لأوصافه الكماليّة، بحيث يكون النقص في المظهر والمرآة والظلّ نقصاً في المظهِر المرئي وذي الظلّ، وهو نقضٌ لغرض الحكيم وحكمته، ومستحيلٌ عقلاً، فلا بدّ حينئذٍ من وجوب إظهار العلم الإلهي الدفعي في بعض النفوس المقدَّسة الكاملة لتصديق العقل وجزمه بصفاته العليا وأسمائه الحسنى لأجل حكاية المظهر عن الظاهر مما في مظهره .

البرهان العاشر: قاعدة الأعلمية .

لو لم يكن علم الإمام فعليّاً بالموضوعات الصّرفة لكان جاهلاً بها، وكان في الأمّة مَنْ يعرفها يستلزم أعلميّة مَنْ فُرض علمه فعلاً بشيء من الموضوعات الصّرفة من الإمام المفروض جهله أو سهوه بذلك الموضوع وأفضليّته من الإمام بالنّسبة إلى ذلك ولوكان كافراً من كفرة العرب والعجم، وسحرة الإفرنج والأفارقة وحزب الشيطان، فيلزم تقديم المفضول على الفاضل،

وهو باطل، مع أنّ الإمام منصوبٌ لإرشاد الخلق، فجهله او سهوه بالموضوعات الصرفة يوجب النفرة والنقصان وهما غير لائقين بمراتب خلفاء الرّحمان، ولا يلتزم به أحد من أهل الإيمان، ومنافٍ لقضاء العقل والبرهان، ومناقض لجميع أغرا ض الحكيم والطافه، وحكمه ومصالحه الموجبة لنصب الإمام وبعث الرّسُل، ووجوب عصمتهم واصطفائهم من جميع المناقص والمعايب الخلْقيّة والخُلُقيّة، حتى مثل التثآؤب والتماطي والإحتلام وغير ذلك، لأجل تقريب العباد إلى الطاعة، وتبعيدهم عن المعصية، وحفظ الشريعة عن الزيادة والنقصان، وإيجاب طاعتهم، والأمر باتباعهم والتسليم لأمرهم، والتحذير عن مخالفتهم والإعتراض عليهم، وجعلهم شهداء على الناس وخلفاءه عليهم، إلى غير ذلك من الشواهد العقليّة والنقليّة، والمرجّحات الدلالية والسنديّة، المعتضدة بكلٍّ من الأدلّة الأربعة القطعيّة القائ مة على ترجيح نصوص فعليّة علم الإمام وعمومه على نصوص العلم الإرادي أو الإشائي .

البرهان الحادي عشر:

إنّ العقل السليم يقطع باستحالة توافق رواة العلم الحضوري الثابت على الكذب أو لغرض آخر غير الصّدق، فكما أنّ العقل يجزم باستحالة تواطؤ الرواة في ساير ا لمتواترات على الكذب، كذلك يجزم باستحالة تواطؤ الرواة في هذه المرويات على الكذب .

البرهان الثاني عشر:

قد تواتر في الأخبار في الجملة، من أنه لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها، فلو لم يكن الحجّة عالماً بالعلم الإلهي الحضوري الدفعي لكان جاهلاً، والجهل ينافي الحجيّة ويعاندها، فيجب عقلاً على جاعل الحجّة أنْ يعطيها لمستحقّها على نحو الهبة الدّفعيّة، لكي لا يكون للناس على الله حجّة، بل لله على الناس الحجّة البالغة .

البرهان الثالث عشر:

إنّ أعظم مقدّمات العبادة هي معرفة المعبود الودود ومعرفة خلفائه وأوليائه، فتجب معرفة الإمام بما هو شأنه ووصفه من العلم الحضوري التام وعدم اتّصافه بضدّه من السّهو والنسيان، وإذا ثبت الوجوب ثبت المطلوب.

البرهان الرابع عشر:

إنّ قاعدة وجوب دفع الضّرر المحتمل أو المظنون بل المعلوم، تقتضي وجوب الإعتقاد الصحيح لدفع ما يصيبه من مفا سد الإعتقاد السخيف أو إنكار علم إمامه بالفكر الضعيف، والضرر المحتمل كالمظنون والمقطوع ألم نفساني يجب دفعه بحكم العقل الإنساني .

البرهان الخامس عشر:

إنّ الرسول الامين وخلفاءه الأمناء، أدلاّء على الموجد سبحانه، المتفضّل بسوابغ النعم التي تفوق حدّ الإحصاء .والدليل يجب . بحكم العقل . أنْ يكون صالحاً للقيام بوظيفته، وهل الأبلغ في الدلالة، والأمثل في الإشارة أنْ يكون

الدليل على احسن سمة وأفضل صفة، أو يكفي فيه أن يتحلّى بمحاسن الخصال وإن كان ثمّة ما هو ارفع مقاماً وأعلى منزلة؟ .

ولا يشكّ العقل في أنّ الاجدر في الدليل أنْ يكون أعلى منزلة، إذا كان المدلول عليه لا يحيط به الوصف، ولا يصل إلى كنهه الحسن، ليكون أقرب إلى الإشارة في تعريفه، واقدر على البيان في وصفه .

البرهان السادس عشر:

إذا كان الإمام ذا علم حضوري لا شكّ أنّه يكون أسلم عن الإنخداع، وذلك أنّه إذا لم تكن الضمائر متجليّة للإمام، ولا الدفائن منكشفة له، جاز أنْ لا يُعرَف المؤمن من المنافق، والسّليم من السقيم، حينما يتساوى الجميع في المظاهر الجميلة، ويتنافسون في الاعمال الجليلة .

وما الذي . عند ذلك . يحجز عن انخداعه بذلك الجمال البارز، فيمنعه عن الوقوع في الأخطار وإيقاع سواه في المهالك، كل ذلك ركوناً إلى تلك الصور الجميلة، واعتماداً على ذلك الحُسْن الفاتن .

وأمّا إذا كان علمه حضوريّاً فلا تخفى عليه دخائل الصّدور وخبايا الزوايا، فكيف يغترّ بالجمال الظاهر، أو يُفتتن بالبيان السّاحر؟ فصاحب العلم الحاضر أسلم عن الإنخداع، وأبعد عن الإفتتان .

البرهان السابع عشر:

بعد ثبوت أنّ الإمام عليه السلام سفير الله في الناس وأمينه على خلقه، والشهيد عليهم، كيف يمكن تصور أن يكون الشهيد على الناس والسفير فيهم والأمين عليهم، من لا يعلم شيئاً من حالهم، ولا يدري ماذا كان عليهم و لا يكون خبيراً بما تكنّه ضمائرهم وتطويه سرائرهم ...؟ .

أمّا لو كان علمه حضوريّاً، لكان حقيقاً أنْ يكون الشهيد على الأمّة، المخبّر عمّا تعمله والأمين على العالمَ الناصح لهم، والسفير فيهم، والوسيط بينه تعالى وبينهم، والمبلغ عنه أحكامه وتعاليمه .

هذه بعض البراهين العقليّة الدالّة على ثبوت العلم الحضوري، وتقديمه على الإشائي، ولو أردنا الإستفاضة، لكانت الأدلّة أكثر ...، وبما سبق كفاية لمن اعتبر .

دعوى وردّ:

هذا وقد ادُّعي وجود أحكام عقليّة تعارض الأحكام السابقة، مع أنّنا لو أطلنا التفكير في هذا الشأن، وأجلنا النّظر في أطرافه، لم نجد برهاناً عقلياً يدفع ما سلف، ويهدم أساس ذلك البناء الرّصين .

وأقصى ما يمكن أنّ يُدَّعى نهوضه للمقاومة او المعارضة، أمور ثلاثة:

الأمر الأوّل:

إنّ اتّصاف الأئمّة عليهم السَّلام بالعلم الحضوري التام يستلزم مشاركتهم لله تعالى في هذه الصّفة، وهو عين الشّرك أو الغلوّ، وقد قام الدليل العقلي على بطلانه واستعظامه .

يرد عليه:

(١) . متى كان الإستعظام أو الإستبعاد دليلاً على نفي المقدورات الممكنة؟ فما لم يكن المورد المستَبْعَد من المستحيلات العقليّة فلا معنى لأنْ يكون معارضاً لحكم ما سلف، على أنّ استعظام أو استكبار العقل على مثل ما تقدَّم، لو فرض وقوعه من العقل، فهو عند أوّل نظرة، وحين عروض هذه الخلّة، قبل الروية والسبر لما سجّله العقل من الحجج، واتى به من الشواهد المقرّبة، ولو فُطِن إلى أن الحضوري ممكنٌ بنفسه لا مانع من اتّصافهم به، بل وكان الأجدر بهم والأنسب لمقامهم، لما وجد مجالاً للاستبعاد ومحلاًّ للاستعظام.

(٢) . إنّ دعوى الغلوّ في المقام لا مورد لها، لما قد أسلفنا بيانه من وجوه الفرق بين علمه تعالى الذاتي وعلمهم العرضي .

الأمر الثاني:

لم نشاهد من الآثار ما يدلّ على حض وريّة علومهم عليهم السَّلام وتماميّتها، وقد كانوا كغيرهم من المسلمين يعملون بالظّاهر، ويسألون الآخرين لاستعلام الأمور، فلو كان علمهم كما تدّعون لانتشر صيته وسُمِعَت أخباره، وكيف تخفى مثل هذه الخلّة العظيمة؟.

يرد عليه:

أولاً: إنّ مشاهدة الأثر لذلك العلم الحضوري لا يختلف فيه أهل الولاء إلاّ من يريد الحطّ من مقام الأئمّة الأطهار عليهم السَّلام، ودفع تلك المن.زلة من العصمة .

ومثل هؤلاء يكون الجدال معهم كحاطب ليل، لا تزيده المجادلة إلاّ كفراً وطغياناً، مع أنّ المسألة يُفرَض أنْ تكون من البديهيّات عند المؤ منين بقدرة الله الملك العلاّم، لا سيّما وأنّ قرب آل البيت عليهم السَّلام من الله تعالى لا يختلف عليه اثنان، وكراماتهم ومعاجزهم ملأ ذِكْرُهَا الخافقين، فإنكار حضوريّة علمهم يساوق إنكار معاجزهم الواضحة، وعلومهم اللايحة، فنكران ما شُوهد منها مكابرة محضة .

ومن أين ذهب بعض الضعاف من البصائر إلى القول بألوهيّتهم، لو لم يكن هناك ما يشاهدون من الآثار التي لم تتحمّلها عقولهم؟ ، وهذه كتب الفضائل والمعاجز تعطي القارئ مثالاً صالحاً لذلك العلم، فكم اخبروا عمّا فات وعمّا هو آتٍ، وكم حدَّثوا رجلاً عمّا ارتكب من فعلٍ، وعمّا نوى في نفسه، واختلج في صدره ؟ .

ثانياً: كونهم عليهم السَّلام كغيرهم يعملون بالأسباب ويأخذون بظاهر الأشياء، لا يقدح بفعليّة علومهم وتماميتها، وذلك لأنّهم مأمورون بالتعبّد بالأسباب رحمةً بالعباد من أنْ يتّخذوهم أرباباً من دون الله أو ينسبوا إلي هم السحر والكفر بحيث يؤدّي إلى ما لا تُحْمَد عقباه، وعليه؛ فكيف يسعهم حينئذٍ أنْ يُظهروا ما عندهم مع عدم وجود من يتحمّل، وقد ورد عنهم أنهم قالوا: " إنا معشر الأنبياء أُمِرْنا أنْ نكلّم النّاس على قدر عقولهم " و" أمرنا صعبٌ مستصعب " و" إنّ عندنا سرّاً من سرّ الله، وعلماً من علم الله ... فلم نجد له موضعاً ولا اهلاً ولا حمّالة يحتملونه حتى خلق الله لذلك أقواماً،

خُلِقوا من طينة خُلِقَ منها محمَّد وآله وذريّته، ومن نور خلق الله منه محمَّداً وذريّته، وصنعهم بفضل صنع رحمته التي صنع منها محمَّداً وذريّته...".

الأمر الثالث:

لو كانت لهم تلك الملكة النفسيّة، وهم لا يقوون على إعمالها؟ وأيّة فائدة محسوسة إذا كانوا على تلك الصفة، وهم لا يستطيعون أنْ يتظاهروا بها؟.

يرد عليه:

إنّ تلبّسهم بتلك الخصال الكريمة وإنْ كان لنفع البشر، إلاّ أنّ الناس إذا انصرفوا عن نور ا لحقّ، وتسكّعوا في وهدة الباطل، بسوء اختيارهم، فأيّ تقصير يكون لمن تقمّص بذلك الخُلُق الكريم، إذا لم يجد مساغاً لإظهار علمه، وإبراز ما يحمل من الهدى والرّشاد؟.

ولو صحّ مثل هذا النقص لبطلت النبوّات والشرائع، لصفح الناس عن أولئك الهداة، وإعراضهم عن هاتيك الأ حكام الإلهيّة، بل لبطُلَ خلق الخلق، لأنّهم لم يعرفوا الحقّ كما يحقّ، ولم يعبدوه كما يجب .

نعم لو ثُنِيَت الوسادة لأولئك المرشدين لعرف الناس منازلهم حقّاً، ولظهرت آثارهم واضحة، ولكن كيف يمكنهم أنْ يعلنوا بما تضمّ جوانحهم، والناس مصرّة على الإعراض عنهم، وعدم الإهتداء بنورهم والإنتفاع بعلمهم، بل والسيوف مجرَّدة فوق رؤوسهم،إن فاه أحدهم بمكنون علمه أو أظهر كرامة، أو أقام حجّة، لم يجد ما يشيم عنه ذلك الصّارم أو يقف دون حدّه.

من هنا استدعى الإمام الباقر (عليه السلام) أنْ يقول: " لو كانت لألسنتكم أوكية لحدّثتُ كلّ امرئ بما له وعليه ..."، وقال الإمام الصَّادق (عليه السلام) لمؤمن الطّاق:

" يابن النعمان إنّ العالم لا يقدر أن يخبرك بكل ما يعلم ..."، وقال الإمام الجواد عليه السلام لعسكر مولاه لما دخل عليه في وسط أيوان له وحدثته نفسه بشيء عن الإمام فصاح به : "... يا عسكر كم تشكّون فينا وتضعف قلوبكم، والله لا وصل إلى حقيقة معرفتنا إلاّ مَنْ مَنَّ الله بنا عليه، وارتضاه لنا وليّاً ، قال عسكر: " فآليت ألاّ أفكّر في نفسي إلاّ بما ينطق به لساني(٤٧) ".

إلى كثير من أمثال هذا، فكانت المخاوف من جهة، وعدم تحمّل الناس ذلك من جهة أخرى، إلى ما سوى هذه الجهات، صوارفاً لهم في إبداء ما مُنِحوا من تلك الكرامات .

النقطة الثانية: البراهين النقليّة:

بعد الفراغ من استعراض البراهين العقليّة على إثبات عموم علم الأئمّة عليهم السَّلام وحضوريّته، يأتي دور البراهين النقليّة، وهي بقسميها من الآيات والأخبار مؤكِّدة لحكم العقل الدّال على ضرورة اتّصاف خليفة الله بالعلوم الحضوريّة لكون الخليفة حجّةً من الله عزّ وجلّ على خلقه، ويُفرَض بالحجّة أنْ لا يترك منفذاً للخصم للإستنكار أو الإستعلاء، مضافاً إلى أنّ نسبة عدم حضوريّة العلم إلى الخليفة تستلزم القول بالجهل المنزَّه عنه بالأدلّة والبراهين السَّاطعة من أحكام العقل والنقل، فدور النقل التّأكيد على مبدأ عصمة الخليفة في كلّ شيء، وإنْ كانت هذه العصمة التي يجب أنْ يتّصف بها الأولياء والمرسلون بالقياس إلى آل محمّد هي نسبة النهر إلى البحر، إذ لا يُقاس بآل محمّد أحدٌ من الناس على الإطلاق لا نبيّ ولا رسول ولا ملَك،

فهم عليهم صلوات الله أجمعين أفضل الخلق، وأوّل خلق الله، بهم فتح وبهم يختم .

ومع وضوح الأدلّة العقليّة وسطوع نورها إلاّ مَنْ كان في عينيه غِشَاوة، فإنّ الأدلّة النقليّة ألطافٌ في العقليّات،أي إنّ الأحكام العقليّة و حدها لا تقرّب العبد من الطاعة وتبعده عن المعصية، لما قد يغلب على العقل في أكثر الأحيان من الاهواء وتطغى عليه المصالح والشهوات، ولا يُطاع له حكم، فاحتاج إلى مَنْ يؤازره ويناصره بالتّأكيد والتوكيد تارةً، وبالوعد والوعيد تارةً أخرى، فكان الدّين مع شريعته هو هذا المؤازر والمناصر، وبيانه الحجّة الكافية على مَنْ شاكس وعاكس، مضافاً إلى أنّ هناك أموراً كثيرة لا يدرك العقل أحكامها بل يترك الحكم فيها إلى خالق العقل، وليس معنى هذا أنّ علم الإمام عليه السلام من التعبديّات التي لا مسرح للعقل فيها، بل العكس هو الصحيح، إذ إنّه من أ عظم وظائف ومهام الخليفة الذي يجب أن تتوافر فيه مواصفات علميّة كاملة لئلاّ تختل ثقته في نفوس الناس، فتنتفي فائدة نصبه وبعثته، وشيء من هذا غير مراد للباري عزّ وجلّ .

وعليه؛ فإنّ النقل " كتاباً وسنّةً " لا يعارض حكم العقل الدال على أنّ علم رسول الله وأهل بي ته الميامين حضوريّ وتامّ، بل هو أصرح في الدّلالة، وأظهر في المطلوب .

آيات الكتاب الكريم:

لقد دلّت آيات القرآن المجيد على عموم علم الإمام عليه السلام وحضوريّته، وهي كثيرة:

الآية الأولى: قوله تعالى:﴿...**وعلَّمَ آدم الأسماء كلّها**...﴾ (البقرة:٣٠).

تشير الآية المباركة إلى تحلّي سيّدنا وأبينا آدم عليه السلام بالأسماء سواء أكانت هذه الأسماء هي الألفاظ ومفاهيمها الذّهنيّة أم الأعيان الخارجيّة التي تحكي عنه عزّ وجلّ!، وسواء أكانت هذه الأعيان خاصّة أم عامّة، فإنّ سيّدنا آدم عليه السلام قد علِمها علماً حضوريّاً وليس شكليّاً ظاهريّاً، ومن القريب جدّاً أنْ تكون هذه الأسماء هي أسماء الله من جهة، وأسماء لما سواه من الذوات المطهَّرة لآل البيت عليهم السَّلام من جهةٍ أخرى، من حيث إنّ هؤلاء يتّصفون تارةً بأنّهم مظاهر لصفاته العليا، وأخرى خزّان كمالات المخلوقات على وجه أتمّ وأعلى .. ولعلّ ما يؤيّد هذا التقريب، الإطلاق الموجود في لفظ " الأسماء ".

وبهذا يمكن الجمع بين الروايات الدالّة على أنها . أي الأسماء . أسماء الأشياء كالجبال والأودية ،وبين ما دلّ على أنّ المعروض على الملائكة هو أنوار المعصومين وأرواحهم الطاهرة عليهم صلوات الله الملك الحنان، وقد ورد في الصحيح أنهم الأسماء الحسنى التي يجب أنْ يُدعى الله تعالى بها مما يستلزم وجوب التوسّل بهم لاستجابة الدعاء .

ففي صحيحة معاوية بن عمّار عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام في تفسير قوله عزّ وجلّ : ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾، قال: نحن الأسماء الحسنى التي لايقبل الله من العباد عملاً إلاّ بمعرفتنا[٤٨] .

والسرّ في تعلّم الأسماء إنّما هو الخلافة الإلهيّة، ولا بدّ للخليفة من أنْ يكون معبّراً عن المستخلِف فيما استُخلِفَ فيه، لذا فإنّ الخلافة المطلقة تقتضي كونها

شاملة لمختلف الشؤون وكافة الأمور من جهة، واستيعابها لكل ما استُخْلِفَ عليه الخليفة من جهة أخرى .

ولهذا كان من اللازم أنْ يكون الخليفة المطلَق عالماً بصفات المستَخْلِف وشؤون ما يستخلفه عليه، كما يجب أنْ تكون له القدرة الضروريّة للتصرّف فيه، وهكذا فإنّ الخلافة الإلهيّة تدور مدار العلم الشهودي الح ضوري . لا الكسبي الحصولي أو الشّأني كما يتصوّر مَنْ لا تحصيل له . علماً يتلقّاه الخليفة من الله تعالى بغير واسطة كما لا يخفى .

فإذا كان آدم عليه السلام عالماً بجميع الأسماء بالعلم الدفعي، فالنبي وعترته الطاهرة ومَنْ كان **بمنزلة** نفسه أولَى به في علم اليقين، لا سيّم ا إذا قلنا إنّ خلافة آدم غير مقصورةٍ على شخصه الكريم بل يشاركه فيها بنوه المطهَّرون من آل إبراهيم سيّدنا محمَّد وعترته الطاهرة، ويكون معنى تعليم الأسماء إيداع هذا العلم في الإنسان بحيث تظهر منه آثاره تدريجيّاً وبشكلٍ دائم، ولو اهتدى إلى السبيل أمكنه أنْ يخرجه من القوة إلى الفعل .

الآية الثانية:

قوله تعالى :﴿**وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعلٌ في الأرض خليفة** ﴾ (البقرة:٣٠)، وكما أشرنا سابقاً من أنّ ملاك الخلافة الإلهيّة هو العلم الإلهي والذي عبّرت عنه الآية السابقة : بـ "الأسماء" التي تعلّمَها آدم الخليفة، وه ي كشف حقائق الموجودات وأعيانها له، لا مجرّد ما يتكفّله الوضع اللّغوي، من إعطاء المفهوم، فالمعلوم له حينئذٍ هو الحقائق الخارجيّة والوجودات العينيّة، مع أنها مستورة تحت ستر الغيب، والعلم بها على ما هي عليه كان أوّلاً ميسوراً

ممكن الوجود وهو خاصّ بالمخلوق ا لآدمي دون سواه من الملائكة والجن، وذلك لمحدوديّة خلق الملك مع ما له من السّعة المختصّة به، فإنّه وإنْ كان مجرَّدَاً إلاّ إنّه في أمرٍ دون آخر، وهذا بخلاف الإنسان، فإنّ فيه بالقوّة الشّأنيّة الوصول إلى أيّ أمرٍ وأيّ كمال بالفعل والإحاطة به، وهذه الجهة الكائنة في الإنسان هي دخيلة في الخلافة الإلهيّة والملك، حيث إنّ فاقدها يكون غَيْرَ قابِلٍ لها كما لا يخفى .

وهبة الله الأسماء لآدم بكل ما يرتبط بها من أسرار وخواص إنّما كانت من أجل أنْ يستثمر المواهب المادّية والمعنويّة في الكون، ليتكامل الآخرون من خلال تكامله .

ويظهر أنّ التعليم الذي ناله آدم عليه السلام إنّما كان دفعيّاً من الله على سيّدنا آدم عليه السلام، وهو تعليم تكويني، بمقتضى الإطلاق في قوله تعالى :﴿**وعلّم آدم الأسماء كلّها** ...﴾ نظير قوله عزّ وجلّ :﴿**علّمه البيان** ﴾، وبحسب الوضع اللغوي لكلمة " علّمه " يستظهر أنّ قوّة العلم م ودعة عند الإنسان كما كانت مودَعة عند أبينا آدم عليه السلام قبل أنْ يُعَلِّم الملائكة الأسماء، ثمّ يمكن للآدمي أنْ يستخرجها من القوّة إلى الفعل إذا رجعت نفسه إلى حيث مبدئها ومستقرّها من الأخلاف الحميدة والإعتقاد الصحيح .

وبهذا تتّضح الإشارة إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿**علّمهـ البيان**﴾ أي منحَه الكفاءة والخصائص الفطريّة اللازمة للبيان والكلام، كما أنّ الله منح نبيّه آدم عليه السلام قابليّة التّسمية، ليستطيع أنْ يضع للأشياء أسماءً، وبذلك يتحدّث عن هذه الأشياء بذكر اسمها لا بإحضار عينها، وهذه نعمة أخرى عظيمة نفهمها لو

عرفنا أنّ علوم البشريّة تنتقل عن طريق الكسب والمدوّنات، وما كان هذا التّدوين مقدوراً لولا وضع الأسماء للأشياء وخواصها .

ولما كان البيان عامّاً يشمل كلّ الأفراد من دون استثناء بمعنى أنّ الله أودَعَ العلم في كينونة كلّ آدميّ، فإنّ ذلك يشمل رسول الله سيّد الخلق . بل هو القَدَر المتيَقَّن . وعليه؛ فكيف يُنسَب إلى رسول الله محمَّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم الجهل بالقراءة والكتابة اعتماداً على نصوص مرسَلَة وضعيفة تخالف الإطلاقات والعمومات في القرآن الكريم، والتي دلّت كما أشرنا إلى وجود تلك القوّة العلميّة في الذّات الآدميّة؟!.

وصفوة القول:

إنّ الخلافة الإلهيّة هي قيام شيء مقام آخر، ولا يتمّ القيام إلاّ بأنْ يكون الخليفة حاكياً للمستخلِف في جميع شؤونه الوجوديّة وآثاره وأحكامه وتدابيره بما هو مستخلَف، والله سبحانه في وجوده مسمّى بالأسماء الحسنى، متّصفٌ بالصّفات العليا من أوصاف الجمال والجلال، منزَّه في نفسه عن النَّقص، ومقدَّس في فعله عن الشّر والفساد، ويُفرَض بالضرورة أنْ يكون الخليفة الحاكي عن المستخلِف، متّصِفاً بنفس ما اتّصف به المستخلِف، إذ لو لم يكن الخليفة متّصفاً بما اشرنا إليه لَمَا صحّ وصفه بالخليفة الإلهي، بل هو حينئذٍ خليفة للأهواء والشهوات، فما دام غير متّصف بصفات الكمال والجلال، لا يليق أنْ يكون خليفةً، بل لا يحكي بوجوده المشوب بكلّ نقص وشين، الوجودَ الإلهيّ المقدَّس المنزَّه عن جميع النّقائص والمعايب.

وعليه؛ فإنّ خلفاء الله تعالى لا بدّ أنْ يكونوا متَّصِفين بال علم الحضوري التّام، حتى يصحّ أنْ يحكوا عن المستخلِف وهو الله جلّت عظمته، فنسبة النقص إليهم في هذا المجال يستلزم نسبة النقص إلى الذات الإلهيّة ، وقد قامت الأدلّة على بطلانها.

الآية الثالثة :

قوله تعالى: ﴿**اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً**﴾ (المائدة/٣).

دلّت الأخبار المتواترة أنّ ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام هي تمام النعمة ورضى الرّب، فقبل إعلان تنصيبه إماماً على الأمّة لم يكن الدّين مكتمِلاً ولا النعمة تامّة؛ ولا الإسلام مرضياً، مع أنّ النبيّ كان موجوداً، فم ا السرّ يا تُرى؟.

والجواب:

واضحٌ إذ إنّ الله تعالى رَبَطَ النبوّات والشرائع بالإمامة، فمحمّد كرسول لم يكن دينه مرضياً من دون الإمامة التي تحلّى واتّصف بها، قال تعالى : ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾ (الأحزاب:٦)، وإمامة رسول الله هي إمامة أمير المؤ منين عليّ عليه السلام لكونه نفسه؛ ﴿**وأنفسنا وأنفسكم**﴾ (آل عمران:٦١) فما ثَبُتَ لأمير المؤمنين عليه السلام من الإمامة الإلهيّة، ثَبُتَ لنظيره الرّسول الأكرَم محمَّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم .

فإذا كانت معرفة حجّة الله الإمام عليّ عليه السلام هي كمال الدّين وإتمام النعمة ورضى الرّب، في كون الجهل به وبخصائصه نقصاناً فيه وفي النعمة والدّين، مضافاً إلى أنّنا لو قلنا بعدم فعليّة علوم الإمام نكون قد نسبنا النقص إلى النعمة الإلهيّة التامّة، وذلك لأنّ الله صرَّح بالآية الشريفة بأنّه عزّ وجلّ أكمَلَ لنا نعمته بواسطة الولاية، وهل تكون العلوم عند ذي النعمة حصوليّة؟! أم لا بدّ وأنْ تتّصف بالعلوم التي يتّصف بها خالق النعمة وهو الله جلَّت عظمته؟!، لا شكّ أنّ الثاني هو الأصحّ، لأنّ القول بعدم فعليّة علوم الإمام خلاف الإتمام والإكمال ورضا الرّحمان، إذ كيف يقول : ﴿...**وأتممت عليكم نعمتي**..﴾ ثمّ لا يجعل فيه ما يستوجب ارتفاعه في العلوم والمعارف، وصيرورته آيةً عظمى للوصول إلى المعالي والكمالات النفسيّة والرّوحيّة والعقليّة؟!.

الآية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿**يا أيّها الرّسول بلِّغ ما أُنْزِلَ إليك من ربّك وإنْ لم تفعل فما بلَّغتَ رسالته والله يعصمك من الناس** ﴾ (المائدة/٦٧)، قام الإجماع بكلّ اقسامه، وتواترت الأخبار على أنّ الآية المباركة نزلت في غدير خمّ تنويهاً بإمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأنّه الأولَى بالمؤمنين من أنفسهم كموقع رسول الله في الأمّة، من هنا أكّد النّبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم بقوله: " ألست أولَى بكم من أنفسكم؟، قالوا : بلى، قال: اللّهم مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فهَذا عليٌّ مولاَهُ، اللّهمَّ والِ مَنْ والاَهُ، وعادِ مَنْ عَاداهُ، وأعِنْ

مَنْ أَعَانَه، واخذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، وانصُر مَنْ نَصَرَهُ، وأَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ، وأَبْغِضْ مَنْ أَبْغَضَهُ ".

كل هذا واضح لا لبس فيه ولا جدال، ولكنّ النقاش إنّما وَقَع على مفهوم الولاية، هل هو بمعنى النُّصْرَة أو بمعنى الحاكميّة والتصرُّف؟ فالشيعة ذهبوا إلى الثاني، والعامّة ذهبوا إلى الأوّل(٤٩).

والآية المباركة بنظرنا واضحة الدلالة على إمامة أمير المؤ منين عليّ عليه السلام وأولادَه المعصومين المطهَّرين، كما أنها واضحة الدلالة على حضوريّة علومهم عليهم السَّلام وذلك لأنّ التعبير بلفظ ﴿**ما أُنْزِلَ إليك**﴾ فيه دلالة على كمال المنْزَل من الناحية العلميّة والعمليّة وهو مقتضى العصمة المطلَقة في كلّ شيء، ولو أراد بعضَ الجوانب لكان من المناسب التعبير عنه بـ " بلّغ بما أُنْزِلَ إليك " فتكون الباء تبعيضيّة، ولما لم يفعل ذلك بل أتى باللفظ مجرَّداً عن الباء، دلّ على كمال مَنْ أُنزلتْ لأجله الآية بل دلَّتْ على نزاهته وإحاطته بإذن الله تعالى لكلّ الجوانب العلميّة المقرَّرة دون استثناء .

الآية الخامسة:

قوله تعالى: ﴿**لتسئلنّ يومئذٍ عن النعيم**﴾ (التكاثر/٨).

ورد في الأخبار المتضافرة من طرقنا، وأورد الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل أخباراً بعدّة طرق، أنّ النعيم المسؤول عنه في الآية المباركة هو ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

وعليه؛ فلا يكون الإمام ساهياً أو جاهلاً غافلاً، كما لا يكون ناقصَ العِلْم، فكلّ ذلك من لوازم عدم حضوريّة علمه، ومنافٍ للجمع المحلّي

باللام، والذي يفيد العموم باتفاق الأصوليين، والعموم بدوره يشمل جميع النعم ومن أهمّها وأعلاها وأولاها نعمة الإمامة التي لو كُفِر بها أو نُسِب إلى صاحبها ما لا يليق به لعُدَّ مضيِّعاً للنعمة، مما يستوجب أليم العذاب .

الآية السّادسة: ﴿ **إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبَيْن أنْ يحمِلْنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً** ﴾ (الأحزاب/٧٢).

ورد في أخبار متعدّدة أنّ الأمانة هي الإمامة والولاية، والإنسان الّذي حملها وادّعاها بهتاناً وزوراً إنّما هو أبو بكر ، حسبما أسلفنا سابقاً.

ولما كانت الأمانة هي الإمامة، فيجب حينئذٍ أنْ يُعتقَد بلوازمها من ثبوت العلم الوهبي التام للإمام عليه السلام وعدم إلصاق الجه ل والسّهو والعصيان به، كما أنّ وصفه عليه السلام بما يوجب نسبة النقص في فعليّة علمه يستلزم إلصاقه بالجهل والغفلة وهو منزّه عنهما قطعاً.

الآية السّابعة:﴿**إهدنا الصراط المستقيم** ﴾ (الحمد/٦).

ورد من طرق العامّة بأسانيد متعدّدة أخبارٌ كثيرة بشأن آل محمّد، وأحبُّ هنا أنْ أذكر بعضاً منها وهي بحسب ما أورده الحاكم الحسكاني في كتابه : " الشواهد " :

١. ما ورد عن أبي بريدة [٥٠] في قول الله : ﴿**إهدنا الصّراط المستقيم** ﴾ قال: صراط آل محمّد .

٢. وعن وكيع بن الجرّاح عن سفيان الثوري عن أسباط ومجاهد عن إبن عبّاس في قوله تعالى: ﴿**إهدنا الصّراط المستقيم**﴾ قال: يقول: قولوا معاشِرَ العباد: إهدنا إلى حبّ النبي وأهل بيته(٥١).

٣. وبسندٍ معنعن إلى إبن عبّاس قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب : أنتَ الطريق الواضح، وأنت الصراط المستقيم، وأنتَ يعسوب المؤمنين(٥٢).

٤. وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله : إنّ الله جعل عليّاً وزوجته وإبناه حجج الله على خلقه وهم أبواب العلم في أمّتي مَن اهتدى بهم هدي إلى صراطٍ مستقيم(٥٣) .

٥. وعن سلام بن المستنير الجُعُفي قال : دخلت على أبي جعفر، فقلتُ : جعلني الله فداك إنّي اكره أنْ اشقّ عليك فإنْ أذِنْتَ لي أنْ أسألَك [كذا] فقال: سلني عمّا شئت، فقلت : اسألُك عن القرآن؟ قال : نعم، قلت: قول الله تعالى في كتابه : ﴿**هذا صراط عليّ مستقيم**﴾ (الحجر/١٥)؟ قال: صراط عليّ بن أبي طالب، فقلت : صراط عليّ بن أبي طالب؟ فقال : صراط عليّ بن أبي طالب(٥٤) .

٦. وعن عبد الله بن سليمان قال: قلت لأبي عبد الله: ﴿**قد جاءكم برهان من ربّكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً** ﴾ (النساء/١٧٤) قال: البرهان محمّد، والنور عليٌّ، والصراط المستقيم عليٌّ .

٧. وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الصّراط الّذي قال إبليس: ﴿**لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم**﴾ (الأعراف/١٦) فهو عليٌّ.

. ولا يخفى دلالة الآية الشريفة على المطلوب من حيث سعة مفهوم الإستقامة المختصّة بأمير المؤمنين عليّ وزوجته وأولادهما الطاهرين، ولا أظنّ متفقّهاً عدا عن فقيه يعتقد بأنّ من الإستقامة عدم تماميّة علومم وعدم حضوريّتها؛ إذ كيف تجتمع الإستقامة مع صدور الجهل أو عدم حضوريّة علمه عليه السلام؟! ألا يُعَدّ عدم الحضور إعوجاجاً في الإستقامة؟!، سبحانك ربّنا هذا بهتانٌ عظيمٌ، أجارنا الله منه ومن أتباعه بحقّ الصراط المستقيم عليّ المرتضى أمير المؤمنين .

الآية الثامنة: قوله تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى إنْ هو إلاّ وحيٌ يوحَى، علَّمَه شديد القوى ذو مِرَّةٍ فاستوى وهو بالأفق الأعلى، ثمّ دنا فتدلّى، فكان قاب قوسين او أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾(النجم/ ١٠).

تتحدّث هذه الآيات كلّها عن معراج رسول الله محمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم إلى عوالم الملكوت و الجبروت وسدرة المنتهى، وأنّه أُوحِيَ إليه، وأنّ الله علّمه وليس جبرائيل . كما يتوهّم الحشويّة من العلماء الّذين يركَبون مراكب العامّة . ويشهد لِمَا قلنا سياق الآيات والضمائر المتّحدة فيها، إذ كلّها تشير إلى رسول الله، إذ هو مَن لا ينطق عن الهوى، وهو مَنْ أُوْحِيَ إليه، وهو مَنْ كان بالأفق الأعلى . عوالم الجبروت التي لم يقدر على اجتيازها جبرائيل . ثمّ هو مَنْ دنا من ربّه بروحه فتدلّى . أي فَهِمَ عنه . وهو مَنْ كان مِن ربّه بالقرب

الرّوحي كقاب قوسين أو أدنى، فأوحى إليه ما لا نعلم الكثير الكثير عنه صلّى الله عليه وآله المطهَّرين .

قال عليّ بن إبراهيم:

﴿**والنّجم إذا هوى** ﴾ قال: النجم رسول الله إذا هوى لما أُسرِيَ به إلى السّماء وهو في الهواء، وهذا ردُّ على مَنْ أنكر المعراج وهو قسم برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم وهو فضل له على الأنبياء وجواب القَسَم **ما ضلّ صاحبك وما غوى وما ينطق عن الهوى** ﴾ أي: لا يتكلّم بالهوى ﴿**إنْ هو**﴾ يعني القرآن ﴿**إلاّ وحيٌ يُوحَى علَّمَه شديد القوى** ﴾ يعني الله عزّ وجلّ ﴿**ذو مرّة فاستوى** ﴾ يعني: رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، قال : وحدّثني ياسر عن أبي الحسن الرِّضا عليه السلام قال: ما بعث الله نبيّاً إلاّ صاحب مرّة سوداء صافية وقوله : ﴿**وهو بالأفق الأعلى**﴾ يعني: رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿**ثمّ دنا**﴾ يعني: رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم من ربّه عزّ وجلّ ﴿**فتدلّى**﴾ قال: إنّما نزلت هذه ثمّ دنا فتدانى ﴿**فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾ قال: كان من الله كما بين مقبض القوس إلى رأس السيّة ﴿**أو أدنى**﴾ أي: من نعمته ورحمته قال بلى أدنى من ذلك ﴿**فأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾ قال وحي مشافهة (٥٥).

وفي أمالي الشيخ الصدوق بإسناده إلى إبن عبّاس قال:

قال رسول الله : لما عرج بي إلى السّماء دنوت من ربّي عزّ وجلّ حتى كان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى فقال لي: يا محمّد من تحبّ من الخلق؟، قلت:

يا ربّ عليّاً . قال: إلتفت يا محمّد، فالتفتّ عن يساري فإذا عليّ بن ابي طالب عليه السلام .

وزبدة المخض: فقد دلّت الآية الكريمة على أنّ النبي لا ينطق عن الهوى بل هو لا ينطق إلاّ عن وحي وتعليم، من دون ان يذكر النبي لذلك التعليم حدّاً، وللوحي قيداً وأنّ الأئمّة عليهم السَّلام ورثة النبي في علمه وسائر فضائله؛ وإذا كان معلّمه هو الله شديدُ القوى فكيف يُنسَب إليه عدم العلم في الناسوت؟! كما أنّ كونه صلّى الله عليه وآله وسلّم ذا مرّة فاست وى، واضحٌ في أنّ النبي في حدٍّ من الإستواء لا يعرضه شيء من الجهل والسّهو وعدم الحضور، لأنّ ظاهر الإستواء هو الإستواء التامّ الحقيقي في الظاهر والباطن بل الغاية هي الباطن، وعليه؛ كيف يُتصَوَّر عدم حضوريّة علمه، أليس هذا مخالفاً لاستوائه الباطني،وقد أخبر سبحانه أنّه ذو مرّة فاستوى .

الآية التاسعة : وقوله تعالى : ﴿**ولا يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم** ﴾ (آل عمران/٧).

فالنبي وخلفاؤه الأئمّة هم الراسخون في العلم، وقد دلّت الأحاديث المتضافرة على ذلك، منها:

١. ما ورد في صحيحة بريد بن معاوية عن مولانا أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم أفضل الراسخين في العلم، فقد علم جميع ما أنزل الله من التنزيل وما كان الله لين .زل عليه شيئاً لم يعلمه التأويل، وأوصيائه من بعده يعلمونه، قال : قلت: جُعلت فداك : إنّ أبا الخطّاب كان يقول فيكم قولاً عظيماً، قال : وما كان يقول؟ قلت : قال: إنّكم تعلمون علم

الحلال والحرام والقرآن؟ قال : إنّ علم الحلال والحرام والقرآن يسير في جنب العلم الذي يحدث في الليل والنهار[٥٦] .

٢. وفي صحيحة أبي بصير عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال: نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله [٥٧].

وحيث إنّ الله تعالى قرن علمهم بالتأويل بعلمه، فعلمهم بالتّأويل في طول علمه جلّ شأنه، وعليه؛ فكيف يعلمون التأويل وعلمهم غائبٌ عنهم؟، وكيف يقرنهم جلّ شأنه . في العلم . بعلمه، وعلمهم غير حاضرٍ لديهم؟ .

الآية العاشرة: قوله تعالى: ﴿**ولا يُظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول فإنّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً** ﴾ (الجنّ/٣٦).

لا شكّ في أنّ النبي قد ارتضاه الله تعالى للإطّلاع على غيبه، كما لا شكّ أنّ أئمّتنا عليهم السَّلام قد ارتضاهم المولى لذلك، والأخبار صريحة بهذا، وهل العلم الحضوري إلاّ الإطّلا ع على الغيب؟، وهل المستبعِد المستعظَم لحضور علمهم إلاّ لكونه غيباً، والغيب مما استأثر به العلاّم جلّ شأنه، فأين هو عمّا نوّهت به هذه الآية الكريمة؟.

وإذا ما كان الغيب لله أصالةً واستقلالاً، ولغيره تبعاً وعَرَضَاً فما المانع من أنْ يحيط ذاك الرسول بما يم كن الإقدار عليه، وهل في ذلك استحالة عقليّة حتى يُدَّعى عدم حصوله لمن ارتضى؟! لا سيّما وأنّ الله تعالى يسلك من بين يدي هذا الرّسول ومن خلفه رصداً ورقابةً لأمره وحراسةً له، ومن كان الله رقيبَهُ وحارسَهُ هل يمكن انْ يسهو أو لا يحيط بما أوكله الله تعالى به وأق دره عليه، وفوّضه أمر رعايته؟!.

فإذا أمكن للإنسان الكامل أنْ يدرك الضماير ويطّلع على الأسرار بإيهاب مَنْ له الباطن والظّاهر، فأيّ إشكال أو نقيصة أنْ ننسب إلى هذا الرسول الإحاطة العلميّة اللائقة به بحسب ما نفهمه من الآية المباركة، مع التّأكيد على أنّ الضّمير في الآية اللاحقة بهذه الآية وهو قوله: ﴿**ليعلم أنْ قد أبلغوا رسالات ربّهم وأحاط بما لديهم وأحصى كلّ شيء عدداً** ﴾ يرجع إلى الرّسول الذي قد بلّغ رسالات ربّه ﴿**يا أيّها الرّسول بلّغ ما أُنزِلَ إليك من ربّك**﴾ كما أنّ الضمير في ﴿**ليعلمَ**﴾ يرجع أيضاً إليه، إذ لا معنى لقولنا ليعلم الله فإنّه عالمٌ بذاته لذاته لكلّ الأشياء بخلاف الرّسول المطلَق فإنّ علمه من الله تعالى، فالرسول المطلَق أحصى كل شيء عدداً، ويؤكّده قوله تعالى : ﴿**وكلّ شيء أحصيناه في إمامٍ مبين** ﴾ وهذا دليلُ علمه في الموضوعات ايضاً، وبهذا يندفع ما قاله العلاّمة الطباطبائي(٥٨) ونعت قائله بالسّخافة، أعاذنا الله من شطحات الأقلام وفلتات اللسان .

مضافاً إلى أنّه إنْ كان المراد بـ ﴿**ليعلم أنْ قد أبلغوا رسالات ربّهم** ﴾ هو العلم الفعلي لله وهو تحقّق الإبلاغ في الخارج على حدّ قوله : ﴿**فليعلمنّ الله الّذين صدقوا ول يعلمنّ الكاذبين** ﴾ (٥٩)، فلِمَ لا يكون للرسول ـ بنفس المناط ـ من حيث إنّ علمه من علم الله تعالى، وإحاطته من قدرة الله المتعال .

الآية الحادية عشرة : قوله تعالى : ﴿**لنجعلها لكم تذكرةً وتعيها أذنٌ واعية**﴾ (الحاقّة:١٢).

فقد جاء في تفسيرها بمصادر الفريقين انّ الأُذُن الواعية هي أذُن أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) وأنّها وعت ما كان وما يكون، ويؤكّد هذا فعل المضارع في﴿**تعيها**﴾ الدال على استمراريّة تحقّق عمليّة الحفظ والوعي بحيث لا يطرأ على هذه الأذُن الواعية أيُّ تغييرٍ أو تبدّلٍ وما شابه ذلك .

ودعوى أنّ الإمام (عليه السلام) ينسى أو يجهل في غير التبليغ وما شابه ذلك هي حكم في مقابل الآية الشريفة ودعوى بدون دليلٍ وبرهان، والقائل بها عن تقصير في المقدّمات يعتبر خارجاً من زمرة المؤمنين، لكونه ردّاً لمفهوم الآية وللأخبار المتواترة في ذلك،ولأحكام العقل السليم.

وأذن الإمام عليّ المرتضى (عليه السلام) هي المراد بقوله تعالى : ﴿**إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد** ﴾ . فهو صاحب القلب والأُذُن الواعية .

الآية الثانية عشرة : قوله تعالى: ﴿**وأُنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم إنّ في ذلك لآية لكم إنْ كنتم مؤمنين**﴾ (آل عمران:٤٩).

الآية الشريفة واضحة الدلالة على ولاية النّبي عيسى (عليه السلام) على عوالم التكوين، فلا يخفى عليه موضوع من الموضوعات التي يتلبّس بها بنو إسرائيل، فكلُّ ما يدّخرونه ويخفونه عن الأعين، يعلمه النبيّ عيسى (عليه السلام) بقدرة الله المتعال .

فالإنباء والإخبار بكلّ ما يدّخره ويأكله بنو إسرائيل لا يُعقَل بضرورة العقل إلاّ بإيهاب العلم الكامل له، وإذا ثبت للنبي عيسى (عليه السلام) ذلك، ثبت لنبيّنا

محمّد وآله الكرام بطريقٍ أوْلَى، لأشرفيّتهم وأفضليتهم على سائر الخلق أجمعين بإجماع الأمّة، ونصوص القرآن الكريم .

وبها يثبت ردّ مَن أنكر ثبوت العلم الحضوري التامّ لأئمّتنا الأطهار عليهم السَّلام .

الآية الثالثة عشرة : قوله تعالى : ﴿**فكيف إذا جئنا من كلّ أمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً**﴾ (النساء/٤١).

جاء في تفسيرها هو أنّ الشاهد من كل أمّة هو الإمام عليه السلام، والشاهد عليهم هو الرّسول صلّى الله عليهم أجمعين .

وبالغضّ عن ذلك، فإنّ مفراداتها تشهد بأنّ الشاهد من كلّ أمّة يُفرَض أنْ يكون على منزلة عظيمة حتى يمكنه الشهادة على الأمّة، لا سيّما وأنّ المراد من الشهادة لغةً هو الحضور مع المشاهدة بالبصر أو بالبصيرة، لذا يُقال : شهد المجلس : أي حضره واطّلع عليه، فيفيد موارد ا ستعمالها بمعنى الرقابة والنظارة، فيُسْتعمل مع لفظ "على" الإستعلائيّة، ومنه ما تكرّر في القرآن الكريم من إطلاق الشهيد عليه عزّ وجلّ بقوله الكريم: ﴿**والله على كلّ شيءٍ شهيد**﴾ (البروج/٩) .

فهذه الآية وغيرها من الآيات المصرّحة بوجود الشاهد على الأمّة في الدني ا والآخرة، ولا وجه لتخصيصه بيوم البعث والحساب، فها هو عيسى عليه السلام كان شاهداً على أمّته في الدنيا، بقوله : ﴿**وكنتُ شهيداً عليهم ما دمتُ فيهم فلمّا توفّيتني كنتَ أنتَ الرقيب عليهم وأنت على كلّ شيءٍ شهيد**﴾ (المائدة/١١٧) وكذا سيكون عيسى عليه السلام شهيداً عليهم في الآخرة

لقوله: ﴿**وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمننّ به قبل موته، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً**﴾ (النساء/١٥٩).

وصفوة القول: إنّ النبيّ وعترته الطاهرة، وعيسى بن مريم عليهم جميعاً صلوات الله الملك الحنّان، سيكونون الشهداء على الناس، فعيسى عليه السلام شهيد على أتباعه الذين غالوا به و بأمّه، ورسول الله والأئمّة شهداء على عيسى والأنبياء والمرسَلين وعامّة خلق الله من الملائكة والجنّ والإنس، إذ أنهم حجج الله وسفراؤه إلى خلقه من دون استثناء، وقد دلّت عليه الآية المباركة السابقة مورد البحث، والآية اللاحقة بقوله تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾ (البقرة:١٤٣).

وكيف يكونون شهداء على الناس، وهم لا يعلمون شيئاً من حالهم، ولا يدرون بما يعملون؟، وهل الشاهد إلاّ الحاضر المطّلع؟!.

تنبيه:

ليس المراد من "الأمّة الوسط" كلّ الناس، بل هي فئة خاصّة أ و طبقة خاصّة من الناس، وذلك لأنّ هؤلاء المخاطَبين بقوله: ﴿**وجعلناكم أمّة وسطاً**﴾ جُعلوا في حاقِ الوسط والإعتدال تكويناً ليقوموا بمهمّة الإشراف على الناس ومراقبة أعمالهم وأقوالهم، بل والإشراف على مبادئ نياتهم، وبذلك يتحمّلون الشهادة ليؤدوها يوم القيامة، ولو كان المراد من "الوسطية" كل الناس، لكان كل من انتحل الإسلام ديناً وهو لا يفهم منه إلاّ لماماً. بل

قد يكون أشقى من عبّاد الأوثان، بل أعتى من عاد وثمود . هو من الأمّة الوسط، مع أنّ الأمر خلاف ذلك، لأنّ وصف الأمّة بالوسطية يعني أنها تتصف بوصفٍ عالٍ فيها، وهو على حدّ قوله تعالى موجِّهاً الخطاب إلى بني إسرائيل﴿**وجعلكم ملوكاً** ﴾(المائدة/٢٠) وقوله تعالى :﴿**وأني فضّلتكم على العالمين**﴾ (البقرة/٤٧) رغم أنّ الملك كان واحداً في كل عصر، وأنّ الأفضليّة على العالمين كانت لخصوص فئة متفرّدة منهم، ومثله قوله تعالى:﴿**محمّد رسول الله والذين آمنوا معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم**﴾ (الفتح/٢٩) رغم أنّ فيهم المنافقين والفاسقين .

والآية الكريمة بعد التأمّل فيها وفيما يناسبها من الآيات تؤكّد على حقيقة قرآنيّة يتكرّر التعبير عنها في الكتاب المجيد، وهي موقف الشهادة يوم القيامة، وتنوّع الشهود فيه على أعمال العباد، فهناك الأعضاء والجوارح، والملائكة المكرَّمون والأولياء المقرَّبون فيقول تعالى: ﴿**وأشرقت الأرض بنور ربّها ووضع الكتاب وجيء بالنّبيّين والشهداء وقضي بينهم بالحقّ**﴾ (الزمر/٦٩).

﴿**ويوم نبعث في كل أمّة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء**﴾ (النحل/٨٩).

ومن الطبيعي أنْ لا تتحقّق الشهادة إلاّ بالحضور والإشراف على المشهود عليه ثمّ أداء الواقع بدقّة، كما أنّ الشهادة ليست على مجرّد شكل العمل وصورته الظاهرة المتقضّية وإنما تكون أيضاً على ما هو السرّ في كون العمل طاعة أو عصياناً ، أي النيّة والسريرة ونوعها كما أسلفنا سابقاً، فلا بدّ إذن من أنْ يكون مثل هذا الشاهد واقفاً على الضمائر ومطّلِعاً على السرائر في

النشأة الأولى، لكي تتحقّق مقدّمات الشهادة يوم القيامة وفي النشأة الأخرى.

وهذا المعنى يظهر من قوله سبحانه حكاية عن عيسى وجوا به لله عزّ وجلّ في ذلك الموقف العظيم يوم الحساب ﴿**وكنت شهيداً عليهم ما دمتُ فيهم فلمّا توفّيتني كنتَ أنتَ الرقيب عليهم وأنتَ على كلّ شيءٍ شهيد**﴾ ذلك أنّ اقتران شهادة المسيح عليه السلام على أمّته ورقابته عليهم، بشهادة الله ورقابته عليهم، يُظهر مدى التشابه بين الشهادتين ، رغم أنّ شهادة المسيح عليه السلام شعاع من تلك الشهادة، وهذا لا يتمّ إلاّ بالإشراف والإطّلاع على القلوب، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى :﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾ (التوبة/١٠٥) إذ جعلت رؤية الرسول والمؤمنين لأعمال العباد إلى جنب رؤية الله تعالى مما يشير إلى نوع مسانخة بينهما .

وبهذا يتضح أنّ المراد من الشهادة في الآية المبحوث عنها هي الشهادة على الأعمال، وأنّ هؤلاء الخواص من الأمّة جُعِلُوا وسطاً ومُنِحُوا هذه الكرامة لارتباط هذه الشهادة بهذا الوصف، مما يصبغ على الشاهد صفة العلم الحضوري التام دون غيره كالإشائي لكونه خلاف الحضور والتطلُّع اللّذين هما من لوازم الشهادة الحقيقيّة .

الآية الرابعة عشرة: قوله تعالى: ﴿**بل هو آياتٌ بيّنات في صدور الذين أُوتوا العلم...**﴾ (العنكبوت/٤٩).

وقد صحّ [٦٠] أنهم هم المقصودون بهذه الآية، فالقرآن الكريم محفوظٌ في تلك الصّدور الأمينة على وحي الله تعالى، قال تعالى: ﴿**إنّا نحن نزّلنا الذّكر**

وإنّا له لحافظون ﴾(الحجر/٩). فهو عزّ وجلّ حافظ للقرآن في أوعية آل محمّد، تلك الأوعية والخزائن الصافية المتينة .

وفي هذه الآية الشريفة أمران : **أحدهما:** ثبوت القرآن في صدور هؤلاء الأطهار، **وثانيهما:** العلم المطلَق .

والثاني أعمّ من الأوّل؛ إذ القرآن وإنْ كان فيه تبيان كلّ شيء لكن لا على وجه التفصيل، وإنما كليّات، يُرجَع في تفاصيلها إلى مَنْ أوتي العلم وهم أهل الذّكر حسبما أشرنا .

فالعلم المطلَق هو اللّوح المحفوظ والكتاب المكنون الذي تنـزل منه القرآن الكريم، قال تعالى : ﴿**إنه لقرآنٌ كريم في كتابٍ مكنون لا يمسّه إلاّ المطهَّرون**﴾ (الواقعة/٧٧)، ﴿**بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ** ﴾ (البروج/٢١).

كون القرآن في كتابٍ مكنون لا يمسّه إلاّ المطهَّرون من كل دنسٍ ورجسٍ، وهم الذين لا يشاركون الآخرين في العوارض الطارئة على النفوس، أو اللازمة لها بأصل جبلّتها بسبب ما يعلمه ربّها من سوء اختيارها، على نحوٍ لا يخرجها عن الإختيار .

الآية الخامسة عشرة : قوله تعالى : ﴿**ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء وهدىً ورحمة**﴾ (النحل/٨٩).

لا شكّ أنّ المراد من الكتاب هو ال قرآن الكريم، لكونه المنـزَل على رسول الله من اللوح المحفوظ؛ بل يمكن القول إنه اللوح المحفوظ؛ لأنّ القرآن من

اللّوح المحفوظ حسبما جاء في الآية ٢٢ من سورة البروج، والآية ٧٨ من سورة الواقعة، فيكون ما في اللّوح منزَّلاً على رسول الله محمّد وآله الأطهار.

ودعوى أنّ المراد "بكلّ شيء": كل ما يرجع إلى أمر الهداية ممّا يحتاج إليه الناس في اهتدائهم من المعارف الحقيقيّة المتعلّقة بالمبدأ والمعاد والأخلاق الفاضلة، والشرائع الإلهيّة والقصص والمواعظ، مردودة، من حيث إنّ ما ذكَرَته الدّعوى مبنيّاً على ما هو ظاهر التبيان من البيان المعهود من الكلام، وهو إظهار المقاصد من طريق الدلالة اللفظيّة، فإنا لا نهتدي من دلالة لفظ القرآن الكريم إلاّ على كليّات ما تقدَّم، لكنْ في الروايات ما يدلّ على أنّ القرآن الكريم فيه علم ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، ولو صحّت الروايات لكان من اللازم أنْ يكون المراد بالتبيان الأعمّ ممّا يكون من طريق الدلالة اللفظيّة، فلعلّ هناك إشارات من غير طريق الدلالة اللفظيّة تكشف عن أسرار وخبايا لا سبيل للفهم المتعارف إليها .

وعليه؛ فإنّ هذه الكليّات بحاجة إلى تفصيل بواسطة مَن أمَرَ اللهُ تعالى بالأخذ منه والنهي عمّا نهى عنه ﴿**ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾، ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم**﴾ .

فهؤلاء هم المفصِّلُون لتلك الكلّيّات القرآنيّة، والتفصيل فرع الإطّلاع على الجزئيّات في اللّوح المحفوظ، فبهذا نفهم أنّ النبي والعترة صلوات الله عليهم أجمعين عالمون بكلّ شيء، ولا يكون ذلك إلاّ بالحضوريّ .

ويشهد لِمَا قلنا ما ورد في الأخبار المتواترة من أنّ علم الكتاب كلّه عند هؤلاء، لا بأس بالإشارة إلى البعض منها:

(١) . صحيحة عبد الأعلى بن أعيُن قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قد ولدني رسول الله وأنا أعلمُ كتاب الله، وفيه بدء الخلق، وما هو كائن إلى يوم القيامة، وفيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر الجنة، وخبر النار، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن، أعلمُ ذلك، كما أنظرُ إلى كفّي إنّ الله عزّ وجلّ يقول:﴿ **فيه تبيان كلّ شيء**﴾ [٦١] .

(٢) . صحيحة عبد الأعلى بن أعيُن وأبو عبيدة وعبد الله بن بشير الخثعمي سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول: إني لأعلمُ ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون، ثمّ مكث هنيئة فرأى أنّ ذلك كَبُرَ على مَنْ سمعه منه فقال : علمتُ ذلك من كتاب الله عزّ وجلّ، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿**فيه تبيان كل شيء**﴾ [٦٢].

(٣) . ما ورد في صحيحة عبد الله بن الوليد السمّان قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا عبد الله ما تقول الشيعة في عليّ وموسى وعيسى، قلتُ : جعِلْتُ فداك، وعن أيّ حالات تسألني؟، قال : أسألُك عن العلم، قلتُ : يقولون: إنّ موسى وعيسى أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام، قال: هو والله أعلم منهما أليس يقولون إنَّ لعليّ ما لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم من العلم؟ قلت : نعم، قال :فخاصمهم فيه، إنَّ الله تبارك وتعالى قال لموسى : ﴿**وكتبنا له في الألواح من كلّ شيء** ﴾ فأعلَمَنا أنه لم يبيّن له الأمر كلّه، وقال تبارك وتعالى لمحمَّد : ﴿**وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾ ونزّلنا ﴿**عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء**﴾[٦٣] ..

(٤) . ما ورد في صحيحة عبد الله بن الوليد أنه قال : قال لي أبو عبد الله : أيّ شيء تقول الشيعة في عيسى وموسى وأمير المؤمنين؟، قلتُ: إنّ موسى وعيسى أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: أيزعَمُونَ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد عَلِمَ ما عَلِمَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم؟، قلتُ : نعم، ولكن لا يُقْدِّمون على أولي العزم من الرُّسُل أحداً، قال أبو عبد الله عليه السلام: فخاصِمْهُم بكتاب الله، قلتُ: وفي أيّ موضعٍ منه أخاصِمهم، قال: قال الله تبارك وتعالى لموسى: ﴿**وكتبنا له في الألواح من كلّ شيء** ﴾، فعَلِمْنا أنه لم يكتب لموسى كلّ شيء، وقال تبارك وتعالى لمحمَّد: ﴿**وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء**﴾(٦٤).

(٥) . ما ورد في موثقة الحسين بن علوان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تعالى خلق أولي العزم من الرُّسُل وفضَّلَهم بالعلم، وأورثنا علمهم، وفضَّلَنا عليهم في علمهم وعلم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم وعلِمَ رسول الله ما لم يعلموا وعلّمنا علم الرّسول وعلمهم (٦٥).

(٦) . ما ورد في صحيحة كُثَيْر بن حمران : قال: قال أبو جعفر عليه السلام: لقد سأل موسى العالِم مسألة لم يكن عنده جواب، ولقد سأل العالِمُ موسى لم يكن عنده جواب، ولو كنتُ بينهما لأخبرْتُ كلّ واحدٍ منهما بجواب مسألته، ولسألتهما عن مسألة لم يكن عندهما جوابها (٦٦).

(٧) . ما ورد في موثقة سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما لقى موسى العالِم كلَّمَه وسائله [الأصحّ: سأله]، نظر إلى خطاف يصفر ويرتفع في السماء ويسفل في البحر، فقال العالِم لموسى : أتدري ما يقول هذا

الخطّاف؟، قال: وما يقول؟، قال: يقول: وربّ السماء والأرض ما علمكما من علم ربّكما إلاّ ما أخذتُ بمنقاري من هذا البحر، فقال أبو جعفر عليه السلام: أمَا إني لو كنتُ عندهما لسألتُهُما عن مسألة لا يكون عندهما فيها علم[٦٧] .

الآية السادسة عشرة: قوله تعالى: ﴿**وما تشاؤون إلاّ أنْ يشاء الله**﴾ (الإنسان/٣٠).

فالإستثناء من النفي يفيد أنّ مشيّ ة العبد متوقّفة في وجودها على مشيّته تعالى، فلمشيّته تعالى تأثير في فعل العبد من طريق تعلّقها بمشيّة العبد، وليست متعلّقة بفعل العبد مستقّلاً وبلا واسطة حتى تستلزم بطلان تأثير إرادة العبد وكون الفعل جبريّاً، ولا أنّ العبد مستقلٌّ في إرادةٍ يفعل ما يشاء دون الإستمداد من الله عزّ وجلّ، فالفعل إختياري لاستناده إلى اختيار العبد .

والآية مسوقة لدفع توهُّم أنهم مستقلُّون في مشيئتهم، منقطعون من مشيئة ربّهم، كما أنها مسوقة لدفع تصوّر أنّ الله تعالى يشاء بعد إشاءة الأطهار من عباده حسبما جاء في ظاهر الأخبار ا لمتضافرة من « أنّ الله تعالى يغضب لغضب فاطمة ويسخط لسخطها، ويرضى لرضاها »، من حيث إنّ السّخط والرّضا من مبادئ الإرادة الإلهيّة .

ولكنّه تصوُّر فاسد، دلّت الآية المباركة على بطلانه، وأكّدَتْه النصوص الصحيحة الصّادرة عنهم عليهم السَّلام، منها:

ما ورد عن الصفّار . قدِّس سرّه . بإسناده إلى أحمد بن محمَّد السيّاري [٦٨] قال:

حدَّثني غير واحد من أصحابنا، قال : خرج عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنه قال: إنّ الله جعل قلوب الأئمّة مورداً لإرادته، فإذا شاء الله شيئاً شاؤه، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وما تشاؤن إلاّ أنْ يشاء الله**﴾ .

تنبيه: إنّ الخبر المستفيض من "إنّ الله يغضب لغضب فاطمة ..."، وإنْ كان ظاهره كما أفاد ذاك التصوّر؛ لكنه مندفعٌ بضمّ الأخبار إلى بعضها البعض، وتأويل الخبر بما يتناسب والأصول العقيديّة عند الشيعة الإماميّة؛ لأنّ عدم التأويل يؤدّي إلى الأخذ بظاهر الخبر ممّا يستلزم القول بأنّ الذّات الإلهيّة كانت خالية من الإرادة الجدية للغضب على أعداء الصّدّيقة الطاهرة حتى غضبت مولاتنا الصدّيقة، وهذا التصوّر يقتضي نسبة الفراغ في الذّات الإلهيّة من الإرادة الجديّة أو الحقيقية، وهو كما ترى عين الخطأ والضّلال .

* وممّا يشير إلى أنّ إرادتهم تعكس عن إرادة الله ما ورد في غيبة النعماني عن جعفر الفزاري عن محمّد بن جعفر بن عبد الله عن أبي نعيم محمّد بن أحمد الأنصاري قال: وجّه قوم من المفوّضة والمقصِّرة كامل بن إبراهيم المدنيّ إلى أبي محمّد عليه السلام قال كامل : فقلت في نفسي: أسألُهُ لا يدخل الجنّة إلاّ مَنْ عرف معرفتي وقال بمقالتي؟ قال : فلمّا دخلتُ على سيّدي أبي محمّد عليه السلام نظرتُ إلى ثياب بياض ناعمة عليه فقلتُ في نفسي : وليّ الله وحجّته يلبس النّاعم من الثياب ويأمرنا نحن بمواساة الأخوان وينهانا عن لبس مثله.

فقال عليه السلام متبَسِّماً: يا كامل وحَسَرَ ذراعيه فإذا مسح أسود خشن على جلده فقال : هذا لله، وهذا لكم، فسلّمتُ وجلستُ إلى باب عليه ستر مرخى فجاءت الريح فكشفت طرفه فإذا أنا بفتى كأنه فلقة قمر من أبناء أربع

سنين أو مثلها، فقال لي : يا كامل بن إبراهيم فاقشعررت من ذلك وأُلْهِمْتُ أنْ قلتُ: لبّيك يا سيّدي، فقال العليه السلام: جئتَ إلى وليّ الله وحجّته وبابه تسأله هل يدخل الجنّة مَنْ عرف معرفتك وقال بمقالتك؟ فقلتُ : أي والله، قال العليه السلام: إذن والله يقلّ داخلها، والله إنه ليدخلها قومٌ يُقال لهم: الحقّيّة .

قلتُ: يا سيّدي ومَنْ هم؟، قال العليه السلام: قومٌ مِنْ حبِّهم لعليّ العليه السلام يحلفون بحقّة ولا يدرون ما حقّه وفضله، ثمّ سكت صلوات الله عليه عنّي ساعة ثمّ قال العليه السلام: وجئتَ تسأله عن مقالة المفوّضة . كذبوا بل قلوبنا أوعية لمشيّة الله، فإذا شاء شئنا، والله يقول : ﴿**ما تشاؤن إلاّ أنْ يشاء الله** ﴾ ثمّ رجع السّتر إلى حالته فلم أستطع كشفه .

فنظر إليَّ أبو محمَّد العليه السلام فقال: يا كامل ما جلوسُك؟ قد أنبأك بحاجتك الحجّة من بعدي، فقمتُ وخرجت ولم أُعاينه بعد ذلك، قال أبو نعيم : فلقيتُ كاملاً فسألته عن هذا الحديث فحدَّثني به(٦٩) .

مضافاً إلى ما ورد في فقرات الزيارة الجامعة الصحيحة سنداً والقويّة دلالةً، المرويّة عن مولانا الإمام الهادي العليه السلام كقوله: « أشهَدُ أنّكم الأئمّة الراشدون المهديّون المعصومون ...القوّامون بأمره، العامِلُون بإرادته ...» وفي فِقْرة أخرى: « ونوره وبرهانه عندكم وأمره إليكم ...» .

وما ورد أيضاً في الزيارة المطلَقة للإمام العليه السلام كما في كامل الزيارا ت: « وبكم يمحو الله ما يشاء ويثبت ...وإرادة الرّبّ في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم ...» ، وما عن الخصال عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب العليه السلام قال: «وبنا يمحو الله ما يشاء وبنا يُثبتُ » .

ومن المعلوم أنّ جميع مقادير الأمور من مثبتاتها ومحوِ ها إنّما يكون بالمشيئة والإرادة منه تعالى، وهما يهبطان في قلوبهم عليهم السَّلام وهم صلوات الله عليهم في مقام القرب منه عزَّ وجل، وفي مقام مَنْ تلقَّى العلم منه عزّ وجلّ، بحيث لا تحيط به الأوهام، وهم مأمونون على أسرار الربّ، ولذا لا يحدِّثون إلاّ بما شاء الله، ولولا ذلك العلم والقرب لَمَا كان بهم المحو والإثبات.

هذا مضافاً إلى أنهم عليهم السَّلام مطَّلِعون على اللّوح المحفوظ المعَبَّر عنه بأمّ الكتاب، إنْ لم يكونوا أنفسهم أمّ الكتاب، لأنّ أمّ الكتاب هو ما فيه علمه عزّ وجلّ الّذي لا يتغيّر، فهو محفوظ عنده تعالى، وبهذا الإعتقاد يُسمَّى باللّوح المحفوظ. والأئمّة عليهم السَّلام مطَّلِعون على اللوح المحفوظ من حيث كونه معلوماً لله تعالى أصالةً، ولهم تبعاً، ولكنّهم لا يخبرون أصلاً لكونه متعلِّقاً بمهام سفارتهم، ولأقربيّتهم إلى المولى عزّ وجلّ اقتضى ذلك أنْ يُطلِعَهُم على تفاصيل الأمور، لذا أشارت فِقْرة الزيارة الجامعة إلى أنهم عليهم السَّلام «العامِلون بإرادته» بمعنى أنهم كانوا في أعلى مراتب القرب من جهة يقينهم بالله والتسليم لأمره وقضائه، ولقيامهم بالنوافل الموجبة لحبّه تعالى إيّاهم، المستلزِمة لأنْ يسمعوا بالله، ويبصروا به، ويبطشوا به، كما هو صريح الحديث القدسيّ: «ما زال العبد يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبُّه، فإذا أحببْتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها».

وبتعبير آخر: إنّ أئمّة آل البيت عليهم السَّلام يعملون ب إرادته تعالى لا بإرادتهم، كيف وقد فنوا في ذات المولى عزّ وجلّ فلا يشاءون إلاّ ما شاء الله، وحسبما جاء في قوله عليه السلام: «إرادة الربّ في مقادير أموره تهبط إليكم».

ومن المعلوم أنّها عامّة تشمل أعمالهم الفاضلة عليهم السَّلام، وكيف لا يعملون بإرادته تعالى وقلوبهم مهبط إرادته، فهم لا يفعلون شيئاً إلاّ بعهد من الله، ولا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .

فهم عليهم السَّلام ألسِنَةُ إرادته عزّ وجلّ، وقلوبهم محلّ مشيّته سبحانه، فليس لهم مشيئة لأنفسهم، ولا إرادة، لأنّهم عليهم السَّلام بالنسبة إليه كالميّت بين يديّ الغسّال، لذا رُوي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم قال : «مَنْ أراد أنْ ينظر إلى ميّت وهو يمشي، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام» فهم قد أماتوا أنفسهم وتركوا ملاحظتها واعتبارها بين يديه تعالى، وصارت مشِيْئَتُهُمْ مشيئة الله، وإرادتهم إرادة الله، فإنّ الله تعالى هو الفاعِل بهم ما يشاء، وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى : ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى**﴾ ففي الحقيقة ليس لهم إرادة وإنّما الإرادة أرادته تعالى، أو أنهم يصدرون عن إرادته تعالى، وإرادتهم تابعة لإرادته، بل مضمحلّة في إرادته، فقلوبهم أوعية لمشيّته عزّ وجلّ، ففعلهم داخل في مشيّته، لاستناد فعلهم إليه تعالى، وكما صحّ استناد فعلهم إليه، كذا يصحّ استناد فعله تعالى إليهم، إذ بعدما عُلِمَ أنهم لم يفعلوا إلاّ ما شاء بنحوٍ كان أصلاً في أفعالهم،ففي مقام التعبير لا يفرق في الإستناد إليهم أو إليه تعالى كما قال: ﴿**وما نقموا إلاّ أنْ أغناهم الله ورسوله من فضله**﴾ (التوبة/٧٤).

فإنّه عزَّ إسمه أسند فعل الإغناء إلى رسوله في قباله، مع أنّه لا ريب في أنّه لا يريد منه الإستقلال في الإستناد، وليس هذا إلاّ لأن فعل الرّسول فعله عزّ

وجل، وإنّما هو مظهر لفعله، فيصحّ إطلاق الإستناد إليه صلّى الله عليه وآله وسلَّم .

وسرّ ذلك الإستناد هو ما عرفتَ من أنّه لا استقلال ولا شراكة في الإستناد في قباله تعالى، ولأنّهم يقدمون على الفعل بإذنه،ومن المعلوم أنّ الإنسان لا يفعل شيئاً إلاّ بالمشيئة، فإذا كانت مشيئهم عليهم السَّلام عين مشيئه تعالى، فما صدر منهم إنّما هو صادر منه تعالى،فما شاءه يكون في الحقيقة وأوّلاً بالذات موجوداً بمشيئته عزّ اسمه،وبالعرض والصورة يكون بمشيئهم التي هي عين مشيّته تعالى، فالأفعال بصورتها صادرة منهم عليهم السَّلام بما شاءوا، ومشيئتهم هي بما لها من الأثر وهو الفعل صورة لمشيئته تعالى في عالم الملك، وإنّما صارت مشيئتهم بما لها من الآثار صورة لمشيئته تعالى، لأنه خلقهم على هيئة إرادته، وهيكل وحدته، وصورة كينونته في الخلق، وإليه يشير قوله عليه السلام لكميل رضي الله عنه: «نور يشرق من صبح الأزل، فيلوح على هياكل التوحيد آثاره » ، و قوله عليه السلام: « نحن صنايع الله » ؛ فإنّه بمناسبة الحكم والموضوع، هم صنايعه أي صور إرادته، وهو المراد من باطن قوله عليه السلام: «إنّ الله خلق آدم على صورته »أي على هيئة إرادته، لأنه تعالى منزَّه عن الصّور، وهذه الصورة التي تكون له عليهم السَّلام في واقع أنوارهم الذاتية والتي لا حدّ لها ولا نعت، كيف وهم حينئذٍ حقائق أسمائه الحسنى التي لا حدّ لها ولا نعت كما قال مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «وليس لصفته حدٌّ محدود، ولا نعتٌ موجود »وهو المراد من قوله عليه السلام: «إنّ أمرنا لا يُحَدّ »فهذه إشارات

للتجلّي الأعظم م نه تعالى بهم ولهم عليهم السَّلام، ولهذا قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ظاهري إمامة، وباطني غيبٌ لا يُدْرَك» .

وعليه؛ فإذا كانت ماهياتهم هيئة إرادته تعالى، ووجودهم نور المشيئة الإلهيّة وصورتها الإمكانيّة، فلا محالة تكون أفعالهم وأقوالهم على ما يوافق مراد الله عزّ شأنه، وإليه يشير قوله تعالى : ﴿**الله أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾ أي يعلم حيث يجعل رسالته في مظاهر صور إرادته ومشيئته كي ﴿**لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**﴾ .

لهذه العلّة، وبهذه الجهة كانت حقائقهم النورانيّة التي لا إنيّة لها هي لسان مشيئته تعالى، فأفعالهم كأقوالهم هي معاني المشيئة الإلهية، وترجمانٌ في عالَم الملك، لذا كانت افعالهم كأقوالهم وتقريراتهم حجّة لنا وتشريعاً كما هو ظاهر، وتكويناً حيث إنّ فعلهم فعله، أظهره تعالى بهم،كما أنّ كلامهم عليهم السَّلام كلامه عزّ وجلّ تكلّم بهم وهو أحد معاني قوله سبحانه وتعالى: ﴿**لا يسبقونه بالقول** ﴾ أي إنّ قولهم قوله لا قولهم، ثمّ لهذه الأمور كلّها فرّغَهُمْ لنفسه واصطنعهم لسرّه، ومشيّته وإرادته،فأخلى أفئدتهم وجميع مشاعرهم ممّا سواه وملأها من علمه وإرادته، لهذا قال تعالى لنبيّه : ﴿**لتحكم بين الناس بما أراك الله**﴾ ، وإليه يشير ما ورد في الصحيح

من الكافي عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام تعقيباً على هذه الآية بقوله : « والله، ما فوّض الله إلى أحد من خلقه إلاّ إلى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وإلى الأئمّة عليهم السَّلام »[٧٠]، وهل يفوَّض الدّينُ إلاّ لمن كان رأيه

محلّ إرادة ربّ العالمين؟ !، وهل يصحّ التفويض لمن كان في رأيه ضعفٌ أو احتاج إلى أبسط المكلَّفين؟ !، ولو لم يكن رأيهم صواباً، وأنّه مظهر إرادة الله تبارك وتعالى لَمَا صحَّ أنْ يفوّض إليهم علمه ودينه، للنكتة التي أشرنا إليها، وليس معنى التفويض أنّ الله عُزِلَ عن سلطنته وتأثيره، فإنّ ذلك شركٌ، بل بمعنى أنّ قلوبهم أوعية لمشيئة الله تعالى، ومَنْ كَذَّبَ هذا فقد صدق عليه قوله: ﴿**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه**﴾(يونس/٣٩)، فافهم وتدَبَّر .

الآية السابعة عشرة : قوله تعالى : ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَنْ عنده علم الكتاب**﴾ (الرَّعد/٤٣).

نزلت هذه الآية المباركة بمولى الثَّقلَين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد تواترت بذلك الأخبار من الطّرفين، لكنّ خط التشكيك المتمثِّل بالبيروتي المعهود لم يترك مجالاً للعقيدة الصحيحة أنْ تأخذ مجراها في نفوس معتنقيها، حتى انبرى ثلّة من حثالة الشيعة يقتفون أثره غير مبالين ولا مكترثين لِمَا يترتّب على تقليدهم الأعمى لذلك المشكِّك،فأخذوا يردّدون كالببّغاوات من دون دراية أو رجوع إلى ثقات الأحاديث المأمونين على الدّين والدنيا، لذا التقيت بثلّة من هؤلاء يعتقدون كقائدهم المذكور بأنّ الآية نزلت بعلماء أهل الكتاب حسبما جاء في كتابه " من وحي القرآن" سورة الرّعد ،مدّعياً بأنّ المراد ممّن عنده علم الكتاب هم بعض أهل النصارى واليهود الّذين تخصّصوا في معرفة الإنجيل والتوراة ، مع أنّ الأخبار متضافرة بعكس ما يميل إليه، فها هم العامّة رووا نزوله ا بأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ذكر منها العلاّمة السيّد هاشم البحراني في غاية المرام ستّة أحاديث هي كالآتي:

الحديث الأوّل: الثعلبي في تفسيره في تفسير هذه الآية أخبرني ابو محمّد عبد الله بن محمّد القايني قال : حدّثنا القاضي أبو الحسن محمّد بن عثمان النصيبي ببغداد قال: حدّثنا أبو بكر السبيعي بحلب حدّثني الحسن بن إبراهيم بن الحسن الجصاص أخبرنا حسين بن حكم أخبرنا سعيد بن عثمان عن أبي مريم حدّثني عبد الله بن عطاء قال : كنتُ جالساً مع أبي جعفر في المسجد فرأيت عبد الله بن سلام فقلتُ : هذا الذي عنده علم الكتاب فقال : إنّما ذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام (٧١).

الحديث الثاني: الثعلبي بإسناده عن السبيعي حدَّثنا عبد الله بن محمّد بن منصور عن الجنيد الرازي محمّد بن الحسين بن أشكاب حدَّثنا محمّد بن مفضل حدَّثنا جندل علي عن إسماعيل بن سمعان عن أبي عمر زادان عن إبن الحنفيّة ومَن عنده علم الكتاب قال: هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام(٧٢).

الحديث الثالث : إبن شهر آشوب من طريق الخاصّة والعامّة رواه عن محمّد بن مسلم وأبي حمزة الثمالي وجابر بن يزيد عن الإمام الباقر عليه السلام وعليّ بن فضّال والفُضيل بن يسار وأبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام وأحمد بن محمّد الحلبي ومحمّد بن الفضيل عن الإمام الرِّضا عليه السلام وقد روى عن موسى بن جعفر وعن زيد بن عليّ عليه السلام وعن محمّد بن الحنفيّة وعن سلمان الفارسي وعن أبي سعيد الخدري وإسماعيل السّدّي أنهم قالوا : في قوله تعالى: ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب**﴾ هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام. والثعلبي في تفسيره عن معاوية عن الأعمش عن أبي صالح وروى عن عبد الله بن عطاء عن أبي جعفر أنّه قيل لهما زعموا أنّ الّذي عنده

علم الكتاب عبد الله بن سلام قال : ذاك عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وروي أنّه سُئِلَ سعيد بن جُبير ﴿**ومن عنده علم الكتاب** ﴾، عبد الله بن سلام ،قال: لا فكيف وهذه السورة مكيّة، وقد روى عن إبن عبّاس لا والله ما هو إلاّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام لقد كان عالِماً بالتّفسير والتأويل والناسِخ والمنسوخ والحلال والحرام، وروى عن إبن الحنيفة : عليّ بن أبي طالب عنده علم الكتاب الأوّل والآخر رواه النطنزي في الخصائص من طريق المخالفين ورواه الثعلبي بطريقين ومَن عنده علم الكتاب(٧٣).

الحديث الرابع: الفقيه إبن المغازلي الشافعي بإسناده عن عليّ بن عابس قال: دخلتُ أنا وأبو مريم على عبد الله بن عطاء، قال أبو مريم : حَدِّث عليّاً الحديث الذي حدّثتني عن أبي جعفر قال : كنتُ عند أبي جعفر عليه السلام جالساً إذ مرّ عليه إبن عبد الله بن سلام قلتُ : جعلني الله فداك هذا إبن الّذي عنده علم الكتاب؟ قال : « لا ولكنّه صاحبكم عليّ بن أبي طالب عليه السلام الّذي نزلت فيه آيات من كتاب الله عزّ وجلّ ﴿**الّذي عنده علم من الكتاب**﴾ ،﴿**أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهدٌ منه**﴾،﴿**إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمَنوا**﴾ »(٧٤).

الحديث الخامس: أبو نعيم الأصفهاني بإسناده عن إبن الحنفيّة في قوله عزّ وجلّ: ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَنْ عنده علم الكتاب** ﴾، قال: الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام (٧٥).

الحديث السادس: الشيخ عليّ بن يونس النّباطي العاملي في كتاب صراط المستقيم قال: في تفسير الثّعلبي عن إبن عطاء قال : رأيتُ إبن سلام فقلتُ :

هذا الّذي عنده علم الكتاب قال : إنّما ذلك عليّ بن أبي طالب، ونحوه روى أبو نعيم عن إبن الحنفيّة بطريقين، قال : والرّواية منسوبة إلى إبن عمر إلى جابر إلى أبي هريرة إلى عائشة (٧٦).

ورواه الشيعة بطرق متعدّدة ناهزت الثمانية عشر حديثاً هي كالتالي:

الحديث الأوّل: محمّد بن يعقوب عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه ومحمّد بن يحيى عن محمّد إبن الحسن عن مَنْ ذكره جميعاً عن أبي عُمير عن إبن أُذينة عن بُريد بن معاوية قال : قلتُ لأبي جعفر عليه السلام: ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَنْ عنده علم الكتاب**﴾، قال: « إيّانا عنى وعليّ عليه السلام أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم »(٧٧).

الحديث الثاني: إبن يعقوب عن أحمد عن محمّد بن الحسن عن عبّاد بن سليمان عن محمّد بن سليمان عن أبيه عن سُدَير قال : كنتُ أنا وأبو بصير ويحيى البزاز وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج علينا وهو مغضب فلمّا أخذ مجلسه قال: « يا عجب لأقوامٍ يزعمون أنّا نعلم الغيب وما يعلم الغيب إلاّ الله عزّ وجلّ لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهرَبَت مني فما علمتُ في أيّ بيوت الدار هي » قال سُدَير: فلمّا أن قام من مجلسه وصار في منزله دخلتُ أنا وأبو بصير وميسر وقلنا له: جَعَلَنا الله فداك سمعناك وأنتَ تقول كذا وكذا في أمر جاريتك، ونحن نعلم أنّك تعلم علماً كثيراً، ولا ننسبك إلى علم الغيب، قال : فقال: يا سدير أمَا تقرأ القرآن قلتُ:بلى،قال: «فهل وجدتَ فيما قرأتَ من كتاب الله عزّ وجلّ : ﴿ **قال الّذي عنده علمٌ**

من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفُك ﴾»، قال: قلتُ: جُعِلْتُ فداك قد قرأتُهُ .

قال: « فهل عرفت الرّجل وهل علمتَ ما كان عنده من علم الكتاب ؟ قال: قلتُ: أخبرني به، قال : « قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر فما يكون ذلك من علم الكتاب» قال: قلتُ: جُعِلْتُ فداك ما أقلّ هذا؟، فقال : « يا سُدَير ما أكثر هذا أنْ ينسبه الله عزّ وجلّ إلى العلم الّي أخبرُكَ به يا سدير فهل وجدتَ ما قرأتَ في كتاب الله عزّ وجلّ أيضاً : ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب** ﴾ »قلت: قرأته جعلتُ فداك، قال: «أفمن عنده علم الكتاب كلّه أفهم أم مَن عنده علم الكتاب بعضه » قلت: لا بل مَن عنده علم الكتاب كلّه، قال : فأومى بيده إلى صدره، وقال: «علم الكتاب والله كلّه عندنا علم الكتاب والله كلُّهُ عندنا ». وروى هذا الحديث الصفّار في بصائر الدرجات بتغيير يسير بزيادة ونقصان(٧٨).

الحديث الثالث: عليّ بن إبراهيم قال : حدَّثني أبي عن إبن أبي عمير عن عمر بن أُذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « الذي عنده علمُ الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام » وسُئل عن الذي عنده علمٌ من الكتاب أعلَمْ أم مَن الذي عنده علم الكتاب؟ فقال : «ما كان الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلاّ بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ألا إنّ العلم الّذي هبط به آدم من السماء إلى الأرض وجميع ما فضّلت به النبيّون إلى خاتم النبيّين في عترة خاتم النبيّين(٧٩)».

الحديث الرابع: محمّد بن الحسن الصفّار عن يعقوب بن يزيد عن الحسن بن عليّ بن فضال عن عبد الله بن بكير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنتُ عنده فذكروا سليمان وما أعطى من العلم وما أوتي من الملك فقال لي: « وما أُعطى سليمان بن داود إنّما كان عنده حرف واحد من الإسم الأعظم وصاحبكم الّذي قال الله: ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب**﴾،قال: « وكان والله عند عليّ عليه السلام علم الكتاب » فقلت: صدقت والله جعلت فداك(٨٠).

الحديث الخامس: محمّد بن الحسن الصفّار عن أحمد بن موسى عن الحسن بن موسى الخشاب عن عبد الرحمان بن كثير الهاشمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « ﴿**قال الّذي عنده علمٌ من الكتاب أنا آتيك به قبل أنْ يرتدّ إليك طرفُك**﴾ »قال: قال ففرج أبو عبد الله عليه السلام بين أصابعه فوضعها على صدره ثمّ قال: « والله عندنا علم الكتاب كلّه » (٨١).

الحديث السادس: محمّد بن الحسن الصفّار عن محمّد بن الحسين عن النّضر بن شعيب عن محمّد بن الفضيل عن أبي حمزة الثّمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: يقول في قول الله تبارك: ﴿**ومن عنده علم الكتاب**﴾ قلل: هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام » (٨٢).

الحديث السابع: محمّد بن الحسن الصفّار عن أحمد بن محمّد عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد عن القاسم بن سليمان عن جابر قال : قال

أبو جعفر عليه السلام في هذه الآية : ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب**﴾ قال: «هو عليّ بن أبي طالب»[٨٣].

الحديث الثامن: محمّد بن الحسن الصفّار عن محمّد بن الحسن ويعقوب بن يزيد عن إبن أبي عمير عن عمر بن أُذينة عن بُريد بن معاوية قال : قلتُ لأبي جعفر عليه السلام: ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب**﴾ قال: «إيانا عنى وعليّ أفضلنا وأولنا وخيرنا بعد النبي »[٨٤] .

الحديث التاسع: الصفّار عن أحمد بن محمّد البرقي عن النّضر بن سويد عن يحيى الحلبي عن بعض أصحابنا قال : كنتُ مع ابي جعفر عليه السلام في المسجد يُحدّث إذ مرّ بعض ولد عبد الله بن سلام فقلتُ : جُعِلْتُ فداك هذا إبن الّذي يقول النّاس عنده علم الكتاب؟ فقال: «لا إنّما ذلك عليّ بن أبي طالب نزلت فيه خمس آيات أحدها : ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب**﴾ »[٨٥].

الحديث العاشر: الصفّار عن عبد الله بن محمّد عن مَن رواه عن الحسن بن عليّ بن النعمان عن محمّد بن مروان عن الفُضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب**﴾ قال: « نزلت في عليّ بن أبي طالب إنّه عالمُ هذه الأمّة بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم » [٨٦].

الحديث الحادي عشر : الصفّار عن الفضل العلوي قال : حدّثني الفضل بن عيسى عن إبراهيم إبن الحكم بن ظهير عن أبيه عن شُريك بن عبد

الأعلى الثّعلبي عن أبي تمام عن سلمان الفارسي عن أمير المؤمنين عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب**﴾ فقال: «أنا هو الّذي عنده علم الكتاب وقد صدقه الله وأعطاه الوسيلة في الوصيّة فلا تخلى أمّة من وسيلته إليه وإلى الله فقال : ﴿**يا أيّها الذين آمَنوا اتّقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**﴾(٨٧).

الحديث الثاني عشر : إبن بابويه قال: حدّثنا محمّد بن موسى بن المتوكِّل قال: حدّثنا غبن يحيى العطّار قالك حدّثنا أحمد بن محمّد بن عيسى عن القاسم بن يحيى عن جدّه الحسن بن راشد عن عمرو بن مفلس عن خلف بن عطيّة العوفي عن ابي سعيد الخدري: قال سألتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم عن قول الله جلّ ثناؤه : ﴿**قال الذي عنده علمٌ من الكتاب** ﴾ قال: «ذاك وصيّ أخي سليمان بن داو د »فقلتُ له يا رسول الله فقول الله : ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب** ﴾ قال: «ذاك أخي عليّ بن أبي طالب »(٨٨).

الحديث الثالث عشر : العياشي في تفسيره بإسناده عن بُرَيْد بن معاوية العجلي قال: قلتُ لأبي جعفر عليه السلام: ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب** ﴾ قال: « إيانا عنى وعليّ أفضلنا وأوّلنا وخيرنا بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم »(٨٩).

الحديث الرابع عشر: العيّاشي عن عبد الله بن عطاء قال: قلتُ لأبي جعفر عليه السلام: هذا إبن عبد الله ابن سلام يزعم أنّ أباه الّذي يقول الله : ﴿**قل كفى**

بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب﴾ قال: « كذب، هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام » (٩٠).

الحديث الخامس عشر: العيّاشي عن عبد الله بن عجلان عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألتُه عن قول الله: ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب** ﴾ فقال:« نزلت في عليّ بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم وفي الأئمّة بعده، وعليّ بن أبي طالب عنده علم الكتاب» (٩١).

الحديث السادس عشر: العيّاشي عن فُضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿**ومَن عنده علم الكتاب**﴾ فقال: « نزلت في عليّ عليه السلام أنّه عالمُ هذه الأمّة بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم » (٩٢).

الحديث السابع عشر: إبن الفارسي في (الرّوضة) قال: قال الإمام الباقر عليه السلام: «وعليّ بن أبي طالب عنده علم الكتاب الأوّل والآخر » (٩٣).

الحديث الثامن عشر: الطّبرسي في كتاب (الإحتجاج) روى عن محمّد بن أحمد بن عُمير عن عبد الله بن الوليد السمّان قال :قال لي أبو عبد الله عليه السلام:ما قول الناس في أُولي العزم وعن صاحبكم يعني . أمير المؤمنين.؟قال: قلتُ: ما يقدّمون على أولي العزم أحداً : فقال: « إنّ الله تبارك وتعالى قال لموسى: ﴿**وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظةً** ﴾ ولم يقل:كل شيء موعظةً وقال لعيسى: ﴿**وليبيّن لكم بعض الّذي تختلفون فيه** ﴾ ولم يقل: كل الّذي تختلفون فيه وقال لصاحبكم يعني . أمير المؤمنين عليه السلام . ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب** ﴾ فقال الله عزّ

وجلّ:﴿**ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلاّ في كتابٍ مبين**﴾ وعلم هذا الكتاب عنده » [(٩٤)].

مضافاً إلى ما تقدّم توجد أخبارٌ أخر لم يذكرها البحراني في غاية المرام هي من الكثرة ما يمنعنا من ذكر أغلبها،لكن ثمّة مجالٌ لذكر بعضها،منها:
ما رواه الحاكم الحسكاني بثمانية طرق أنّ الآية نزلت بمولى الثّقلين علي بن أبي طالب عليه السلام .ومنها ما أخرجه السّيّوطي في الدّر المنثور عن سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنّحّاس في ناسخه، عن سعيد بن جبير أنّه سُئل عن قوله : ﴿**ومن عنده على الكتاب** ﴾ أهو عبد الله بن سلام ؟ قال:وكيف، وهذه السورة مكّيّة؟!.

كما أخرج السّيّوطي عن ابن المنذر عن ال شعب قال: ما نزل في عبد الله بن سلام شيءٌ من القرآن.

وأفاد القرطبي في تفسيره : أنّ سعيد ابن جُبير والحسن البصري ومجاهد والضّحّاك كانوا ينكرون على من يقول أنّ الآية نزلت في عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي،لأنّهم يرون أنّ السّورة مكّية،وهؤلاء أسلموا بالمدينة .وأخرج ابن جُرير الطبري في تفسيره بإسناده إلى أبي بِشِر قال : قلت لسعيد ابن جُبير: ﴿**ومن عنده علم الكتاب** ﴾ ،أهو عبد الله بن سلام؟ قال : هذه السّورة مكّيّة فكيف يكون عبد الله بن سلام؟!

بعد كل هذه الأخبار، يكفي مَن ينتحل التشيّع ديناً أنْ يدّعي مشكّكاً بأنّ الآية نزلت بإبن صوريا وعبد الله بن سلام وغيرهما، مع أنّ مفردات الآية ودلالتها على المطلوب تثبت عكس دعواهم .

وعليه؛ يحاول فريق من المفسّرين كالسيوطي وسعيد بن منصور وأمثالهما أنْ يقولوا بمكّية السّورة كي يخرجوا علماء أهل الكتاب الّذين أسلموا في المدينة من أنْ يصدق عليهم مفهوم الآية : ﴿**من عنده علم الكتاب** ﴾ كما ذهب فريقٌ آخر إلى عكس ذاك الفريق فقالوا إنّ السّورة مكّية ما خلا هذه الآية فإنها نزلت في المدينة .

وهذه المحاولة من هذا الفريق تريد إرضاخ هذا الرّأي لبعض الرّوايات الّتي تقول بنزول الآية بعبد الله بن سلام واضرابه كتميم الداري والجارود وسلمان الفارسي.

وسوآء نزلت هذه الآية في مكّة أو في المدينة، فالمناط واحد وهو انّ مفردات الآية تشير الى هويّة الشّاهد الاوّل وهو الله،والشّاهد الثاني الّذي يحمل مواصفاتٍ تخوّله لأنْ يكون على مستوى من المعرفة والكمال والعصمة،بحيث لا يمكن أن يكون عبد الله بن سلام أو سلمان الفارسي.لأنّ معنى الشّهادة هي أن يحيط بخصوصيات المشهود،وهذه الصفة كانت لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم فهو شاهد مرسل من السّماء إلى العالمين، وإزاء هذه المهمّة الكبرى لا بد لنا أنْ نسأل عمّا إذا كانت هذه المهمّة قد استوفت أغراضها في حياة الرسول بحيث لم يعد الشارع المقدّس بحاجةٍ لأحدٍ كي يقوم بهذه المهمّة بعد وفاة النبي، أم أنّ الأمر ليس بهذه السذاجة بحيث إنّ الشّهادة تنتفى بمجرّد وفاة الرّسول، وانما لا بد من وجود مَن يتم هذا الدور بعد وفاته صلّى الله عليه وآله وسلَّم ؟ الحق هو الثاني،لأننا لو رجعنا الى الآيات الّتي تتحدّث عن شاهديّة الرّسول لوجدنا انّ شاهديّة

الشّاهد لا تنقطع بموته، من حيث وجود تلازم بين أمر الشّهادة مع وجود المعاينة، فليس من معنى للشّهادة بمعزل عن أن يكون الشّاهد معايناً لم ا سيشهد به، وشهادة الرّسول لا تتوقّف عند زمانه فحسب، بل تمتدّ الى ما بعد زمانه الشّريف مع إنذاره وبشارته، وهذا الإنذار وهذه البشارة مهمّة ودور كان يقوم به النبي في حياته، ويجب أن يبقى بعد وفاته، وقد أوكلت السّماء أن يقوم بهذه المهمّة جماعة معينون لهم خصائص ومؤهّلات هي نفس خصائص ومؤهّلات الرّسول الشّاهد،قال تعالى: ﴿**فكيف اذا جئنا من كل امّةٍ بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾ (النّساء/٤١)، وقوله تعالى:﴿**ويوم نبعث في كل امةٍ شهيداً عليهم من انفسهم،وجئنا بك شهيداً على هؤلاء**﴾ (النّحل/٨٩) وهاتان الآيتان تشيران بوضوح الى وجود شهادة لأنبياء ورسل وأوصياء الأمم، واعتبار الرسول الشاهد على هؤلاء جميعاً ،وحيث انّ الرّسول لم يكن حاضراً في حياة تلك الامم،لهذا لا يمكن فهم هذه الآيات الاّ من خلال اعتبار شهادات الأنبياء في طول شهادته صلّى الله عليه وآله،أي هي شهاداتُ وكلاءٍ تتجمّع لدى الوكيل الأصيل وهو النبيّ محمّد، وشهادته على الأمم السابقة تلتقي مع مفهوم كونه سيّد الانبياء والمرسلين، تستلزم أن يستمر دور الشّهادة الى الأمم اللاحقة لحياة الرسول، فهو شاهد علىجميع الأمم، وهذا ما يلتقي مع مفهوم النّص الإلهي الّذي تعتمده الا ماميّة والّذي يعني استمرار دور شاهديّة الرّسول من خلال شهادة الأئمّة عليهم السّلام على مجتمعاتهم، ومن دون ذلك فإنّ

الحديث عن استمراريّة دور الرسول في الشّهادة يغدو فارغاً من محتواه، وذلك لإستلزامها لمواصفات لا يمكن أن توجد عند أحدٍ غيرهم.

إنّ الشّاهد هو صاحب مقام الإمامة، ويعتبر في الشّاهد مواصفات حتى تصدق عليه حقيقة صفةُ الشّهادة، منها:

(١) . العدالة بأوسع مصاديقها وبأتمّ معانيها والّتي يعبّر عنها بالعصمة.

(٢) . العلم بأسرار الرّسالة الإسلاميّة، وبأسرار الكون.

أمّا العصمة، فهي العنصر الأساس في ملامح شخصيّة النبي الشّاهد .لأنّ ملكة العدالة والعلم لا تكفي لوحدها من دون أن يكون للشّاهد قابليّة الشّهادة من حيثُ الإستعداد لحمل عبئها من جهة، والإحاطة بساحات الشّهادة وأدائها في كل الأماكن والأزمان من جهة أخرى، فالقرآن الكريم يحدّثنا عن أن زمن الشّهادة العامّة لا يُسمحُ لكل أحد القيام بها وإنما يُسمحُ لبعض النّاس كما في قوله تعالى ﴿**يوم يقوم الرّوح والملائكة صفّاً لا يتكلّمون إلاّ من اذن له الرّحمان وقال صواباً** ﴾.

وقول الصّواب المطلق في كلّ الأزمنة والأمكنة يستلزم من الشّخص الشّاهد أن يتمتّع بمؤهّلا ت عاليةٍ عند الله، بحيث يدعه يتكلّم في يوم وصِفَ بأوصاف رهيبة من جملتها ما ذكرته الآية الكريمة: ﴿**يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم إنّ زلزلة السّاعة شيء عظيم، يوم ترونها تذهل كلّ مرضعةٍ عمّا ارضعت وتضع كلّ ذات حملٍ حملها وترى النّاس سُكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد**﴾ (الحج/١).

فمن لم يكن مطمئنّاً على نفسه من النّجاة يوم القيامة، فهو في شغلٍ عن الشّهادة على نفسه وللآخرين.

وهذا الأمر يدلّنا على ضرورة ان يكون الشّاهد معصوماً بحيث يقدر . نتيجةً لاطمئنانه . أنْ يشهد حينما يُدعى للشّهادة.

فأهلية تمتع الشّاهد بالعصمة تستتبع أن يكون شاهداً على الجوارح الّتي تشهد على صاحبها يوم القيامة : ﴿**حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون، وقالوا لجلودهم لِمَ شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الّذي أنطق كلّ شيء وهو خلقكم أوّل مرّة وإليه ترجعون**﴾ (فصّلت/٢٠.٢١).

كما يستتبع أن يكون شاهداً على عوالم الجن لتحقق الطلب الإلهي منهم بالعبادة ممّايستلزم الثواب والعقاب، ومعهما يصبح وجود الشّاهد عليهم واجباً،ولكونهم أُمماً أمثالكم،وكذا الشّهادة على عالم الملائكة بما فيهم ملائكة الوحي فضلاً عن الملائكة الكاتبين، لأن الملائكة أمة من الأمم لقوله تعالى: ﴿..**أمم أمثالكم**﴾ (الأنعام/٣٨) ولقوله تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين**﴾ (الأنبياء/١٠٧)، ولقوله تعالى : ﴿**فكيف اذا جئنا من كلّ أمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً**﴾ (النساء/٤١).

من هنا قلنا فيما سبق وخلافاً للتفسير المعهود بين المفسّرين : أنّ نزول الملائكة على صاحب ليلة القدر الّذي هو الولي المطلَق ليس لأخذ المعارف والعلوم منهم، لأن أخذه المعارف منهم خلاف كونه شاهداً عليهم ومهيمناً على وجودهم، إذ كيف يكون شاهداً عليهم وهو بحاجة إليهم ليلق وا عليه

المعارف والعلوم في ليلة القدر؟ ! بل الصّحيح أنّ شهادة النبي والولي تستتبع أنْ يكون له حضور وهيمنة على كل العوالم الممكنة بدءاً من اللاهوت وإنتهاءاً بالنّاسوت.

من خلال هذا العرض في فهمنا للولي الشّاهد سواء أكان نبيّاً أم وصيّاً، لا بدّ أنْ يتحقق لدينا ضرورة وجود هذا الشّاهد في كل عصر وإلاّ خلا الزّمن من شاهد وهو خلاف قوله تعالى ﴿**فكيف اذا جئنا من كل امّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً**﴾.

فلا بدّ ان يمتد دور الشّهادة من نبوّة محمّد الى إمامة الأئمّة عليهم السّلام، ولا بدّ أن نعي دور الشّهادة بمعناه المتقدّم ليكون أحد الشّواهد على عصمة الإمام عليه السلام فشهود النبي لقوله تعالى :﴿**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً**﴾ (الأحزاب/٤٥) يتطلّب أنْ يكون الخليفة من بعده شاهداً على الأمة كما كان النبيُّ شاهداً عليها، وإلاّ لخلت الأزمنة من الشهادة المطلوبة،من هنا لا بدّ أنْ يعيّن الله تعالى هذا الشّاهد حتى لا تضيع الامّة لعدم وجود شاهدٍ عليها يقيم الحجّة الإلهيّة والبراهين العقليّة والنّقليّة للمعاندين والجاحدين لشهود الله تعالى وكبريائه.

لذا حكى الله تعالى لنا عن مدى احتياج الأمّة للشّاهد بعد النبي، كما لا بدّ من احتياج النبيّ للشّاهد في حياته ليشهد على رسالة النبي أنها ممضاة من عند الله سبحانه، من هنا قال الله تعالى : ﴿**ويقول الّذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب** ﴾، فالآية الكريمة قد شخّصت ديمومة وجود الشّاهد لرسول الله لكونها أطلقت

الحديث عبر فعل المضارع بقوله تعالى ﴿**ويقول الّذين كفروا** ...﴾ ومعلومٌ أن فعل المضارع لا يتوقّف عند زمان القول بل يمتد إلى آخر الزّمن، بعد أن أُطلق بهذه الصّورة دونما تقييد، لأن الكفّار سيبقون في كل عصر يتساءلون عن الشّاهد على الرّسالة المحمّديّة،وسيبقى الجواب موجوداً : إنّ الشّاهد هو الولي المعصوم الّذي عنده علم الكتاب لأنّ الله تعالى حينما قرن شهادته عزّ وجل بشهادة مَن عنده علم الكتاب ليكون حجّةً على العالمين مدى الدّهر، وهذا الّذي عنده علم الكتاب ليس عبدَ الله بن سلام ك ما يروي القصاصون والمفسّرون والمشكّكون المعاندون الّذين لم يأخذوا من مشكاة الولاية، لأنّ شهادة مَن عنده علم الكتاب هي في سياق شهادة الله تعالى على رسالة محمّد صلّى الله عليه وآله.

فعبد الله بن سلام لم تتكامل عنده جوانب الشّخصيّة المعتبرة في الإنسان المسلم، فكيف بالصّورة الّتي توصله الى دائرة العصمة المطلقة، ويسير في مقام التّفاضل المعنوي بحيث يصل إلى موقعيةٍ أعلى بكثير من آصف بن برخيا كي يبلغَ درجةَ التّكامل بالصّورة الّتي عنتها الآية الكريمة.

فالشّاهد من بعد النبي محمّد بل ومع رسول الله محمّد هو عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام لأنّ الامام عليّاً . روحي فداه . هو نفس النبي لقوله تعالى:﴿**وأنفسنا وانفسكم** ﴾ مضافاً على ذلك قوله تعالى : ﴿**أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه** ﴾ (هود/١٧) فعليٌّ الإمام عليه السلام هو من النبي الشاهد محمّدٍ،فهو شاهدٌ على رسالة محمّ د، فهو من محمّد، لذا هو شاهدٌ على رسالة محمّد في حياته وبعد مماته؛ لأنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله

رسول شاهد، والله باعثٌ شاهدٌ، ومَن عنده علم الكتاب رسول شاهد، فما ثبت للرّسول الشّاهد والباعث الشّاهد، هو بعينه ثابت للولي الشّاهد، فإذا كان محمد صلّى الله عليه وآله رسولاً شاهداً، فعلي عليه السلام رسولٌ شاهد، لكن ليست رسالته رسالةَ تشريعٍ غير تشريع الله للنبي، وإنما رسالته رسالة شهود وحضور؛ فإذا ضممنا الآيات بعضها مع بعض، تكون النّتيجة أنّ الولي الشّاهد هو الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فالآيات المتقدّمة التي سيقت على شاهديّة الله والرّسول والوليّ والملائكة، تتحدث عن عناصر الشاهد وهي العِلْم أو العصمة؛ فالله شاهدٌ والنبيّ شاهدٌ والملائكة شهود، كلُّ هؤلاءِ معصومون منزّهون عن السّهو والنّسيان والخطأ والجهل، وأين هذا من عبد الله بن سلام أو إبن صوريا أو تميم الداري وغيرهم؟.

فالشّاهد يجب أنْ يمتلك خصيصة ذاتيّة تستدعي حضوره الدّائم وإشرافَه على العوالم المَلَكيّة والجنيّة والإنسيّة وغير ذلك؛ لأنّ وظيفة الشّاهد هي الرّقابة والمحاسبة، قال تعالى واصفاً عيسى الشّاهد بقوله: ﴿**وكنتُ عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم فلمّا توفيتني كنتَ أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد**﴾ (المائدة/١١٧).

فالشّهادة لا تنقطع بموت علماء أهل الكتاب وموت عبد الله بن سلام الّذي ادعوا له هذه الشّهادة، ولا أنهم يملكون علماً حضوريّاً يخوّلهم الإشراف على العوالم الإنسيّة عدا عن العوالم الجنّيّة والملائكيّة.

هذا مضافاً إلى أنّ المراد من علم الكتاب هو اللّوح المحفوظ لأنّ القرآن الكريم كان في اللّوح المحفوظ لقوله تعالى : ﴿**إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون**﴾ (الواقعة/٧٨)، وقوله تعالى : ﴿**بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ**﴾ (البروج/ ٢١)، فمَن عنده علم الكتاب هو عبد اصطفاه الله تعالى على الرّسالة بحيث يعلم كل ما في الكتاب الّذي هو اللّوح المحفوظ بإذن الله الملك العلاّم الّذي أعطاه هذا العلم، وهذا العالِم بالكتاب هو على تماسٍ مع الذّات الإلهيّة المقدّسة بحيث له آلية خاصّة تمكّنه مباشرة من العلم الإلهي.

فإذا كان الّذي عنده بعضٌ من علم الكتاب قد أتى بالخوارق حيث جاء بعرش بلقيس في أقلّ من طرفة عين لما يملكه من مواصفات روحيّة هائلة كما في قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين، قال عفريتٌ من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقويٌ أمين، قال الّذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك فلمّا رآه مستقرّاً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومَن شكر فإنما يشكر لنفسه ومَن كفر فإنّ ربي غنيٌّ كريم**﴾.(النمل/٣٨ ـ ٤٠).

فإذا كان آصف بن برخيا قد تصرّف بظروف الزّمان والمكان نتيجة ما عنده من علم الكتاب فكيف الحال بمن يمتلك كلّ علم الكتاب المشّار اليه بقوله تعالى : ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾؟! فهذا الرّجل ينبغي أن يكون أفضل من آصف بن برخيا منزلةً، وكذا في

طبيعة قدراته على التّصرّف بشؤون الكون وهو ما يعبّر عنه بالولاية التّكوينيّة، ولهذا ليس من الصّحيح أنْ يكون هذا الرّجل من علماء أهل الكتاب كما تذهب اليه بعض مرويّات العامة، وأخذ بها زمرة يحسبون أنفسهم على التشيّع .

فهذا الرّجل ذو المنزلة العظيمة عند الله والّذي اختاره الرّسول بأمر من الله تعالى للقيام بهذه المهمّة لن يكون من أهل الكتاب، ولن يكونَ الرّسولُ نفسُهُ، وإنّ الكتاب المقصود ليس التوراة والانجيل ولا غيرهما من الكتب السّماويّة حسبما يدّعي المشكِّك البيروتي لأنها قد حُرّفت هذا أوّلاً، وثانياً : لعدم صلاحيّتها لأنْ تكون موضع استشهاد من له منزلة كمنزلة الرّسول، وذلك لأن القرآن لا يستخدم غير القرآن للشّواهد على صحّة نبوّة أي نبي ومعجزاته،بل لا يستخدم إلاّ القرآن لإثبات معاجز الأنبياء،وبهذا يخرج أي احتمال لتصديق دعوى أن يكون الكتابُ هو كتابُ أهل الكتاب من اليهود والنّصارى. فضلاً عن أن يكون الشّاهدَ منهم ، **ولا يبقى حينئذٍ إلاّ احتمالين:**

إمّا ان يكون المقصود بالكتاب : اللّوح المحفوظ المدوّنة فيه أسرار عالم الملكوت كما أشارت النّصوص الكثيرة بشأن ذلك، وإمّا أن يكون المقصود بالكتاب هو القرآن الكريم، ولا يصلح لكليهما غيرُ الإمام عليّ عليه السلام والذي نصت عليه أخبار الإماميَّة بالإجماع . هذا مضافاً إلى أنه مَنْ كان يملك الولاية التكوينيَّة كيف لا يكون شاهداً،وقد خصّ الله الإمام عليّا عليه السلام بها لقوله تعالى : ﴿**إنَّما وليُّكم الله ورسوله والَّذين آمنوا الَّذين**

يقيمون الصَّلاة ويؤتون الزَّكاة وهم راكعون﴾(المائدة/٥٥)، وأغلب المفسّرين قالوا أنها نزلت في الإمام عليّ عليه السلام حينما تصدَّق بخاتمه وهو راكعٌ في الصَّلاة، مضافاً إلى أنَّ مَن طهَّره الله بمحكم آية التطهير ﴿**إنَّما يريد الله ليذهب عنكم الرِّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ (الأحزاب/٣٣) كيف لا يكون شاهداً على الرِّسالة، وقد اتَّفق الجميع (خاصّةً وعامّةً) على أنَّ آية التطهير نزلت بأصحاب الكساء الخمسة.

قد يسأل البعض: لماذا التَّأكيد على الشّهادة أي شهادة من عندهِ علمُ الكتاب مع كونها أمراً نظريّاً لا يتعدَّى طورالعمل؟!.

والجواب:

إنَّ التَّأكيد على الشَّاهد والشَّهادة وغيرهما مع ذكر القرآن لهما له أهمِّيّة عظمى على الصَّعيد النَّظري والعملي لدى الفرد المسلم باعتبارهما المحرِّكين والمشوِّقين له للوصول إلى الغاية المنشودة وهي مرحلة الخلوص في العبادة.

وكون النَّبيِّ والولي شاهدين على الأمَّة يعني أنهما قدوةٌ حسنة لمن أراد السَّير إلى الله تعالى :﴿**إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾ (آل عمران/٣١).

فالقدوة الحسنة يُفترض بحكمة المعقول والمنقول أنْ تكون بمستوىً عالٍ من الحكمة النّظريّة والعمليّة، أو بعبارة أخرى إنّ القدوة الحسنة هي الفرد الكامل بتصرّفاته وهذا ما نعبّر عنه بالمعصوم المطهّر الّذي أمر الله بإطاعته المطلقة بقوله تعالى:﴿**يا أيها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولى الأمر منكم**﴾ (النساء/٥٩)؛ وإنما أمر سبحانه بإطاعته لأنه قدوة حسنة

للسفر وللوصول الى الله تعالى، والغ اية من السّفر إليه هي القرب من الله، وإذا قرب العبد من الله سبحانه صار من الشّاهدين ﴿**ربّنا آمنا بما أنزلتَ واتبعنا الرّسول فاكتبنا مع الشّاهدين**﴾ (المائدة/٨٣).

فالشّاهد على الرّسالة هو أمير المؤمنين عليّ وأولاده المعصومون ففي حديث عن الامام الجواد عليه السلام قال له السّائل ما معنى قوله تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمّةً وسطاً لتكونوا شهداء على النّاس ويكونَ الرّسولُ عليكم شهيداً**﴾ (البقرة/١٤٣) قال عليه السلام:نحن الأمة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه وحجّته على أرضه .. إلى أن قال :فرسول الله شهيدعلينا فيما بلّغنا عن الله عزّ وجل ، ونحن الشّهداء على النّاس، فمن صدّقنا يوم القيامة صدّقناه، ومن كذّبنا يوم القيامة كذّبناه.

وبالجملة؛ لعلّ السرّ في ثبوت الشهادة الثانية لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الآية المباركة دون أنْ يكون القرآن هو الشاهد الثاني، هو أنّ المنافقين والكافرين لم يؤمنوا بحقائق القرآن العظيم، من حيث كونه صامتاً، ولا بدّ للصامت من ناطق يفسّر مراده وإلاّ يبقى على إجماله وإبهامه، من هنا جعل الرسول الشاهد الثاني . عليّاً أميرَ المؤمنين عليه السلام . الواسطة التي تفسّر مراد النبيّ للمشركين، وليكون المهيمن على المشركين من خلا ل ما يلقيه عليهم من الحجج والبراهين .

مضافاً لما يحويه من خصوصياتٍ روحيّة تستلزم أنْ يكون مهيمناً على تفاصيل الأعمال والأفعال .

اللّهم صل على الشّاهد الاوّل محمّد والثاني عليّ والثالث فاطمة والرّابع الحسن والخامس الحسين،والسّادس علي بن الحسين ، والسّابع محمّد بن علي،والثامن جعفر بن محمّد، والتاسع موسى بن جعفر،والعاشر عليّ بن موسى،والحادي عشر محمّد بن علي، والثّاني عشر عليّ بن محمّد،والثّالث عشر الحسن بن علي،والرّابع عشر الحجّة المنتظر عجّل الله فرجه الشّريف، واجعلنا من أنصاره وأعوانه والعارفين به وبحقّه بحق الحق والقائل بالصّدق.

الختام:

ما عرضناه من الآيات على ثبوت العلم الحضوري وتمامه للإمام الخليفة عليه السلام ما هو إلاّ غيض من فيض دلّت على الأمر المراد، نذكر أهمها تباعاً دون بحثٍ في مداليلها؛ لا يسعنا في هذه العجالة الخوض فيه لضيق الوقت، فله مجالٌ آخر، وهي كالآتي:

(١) . ﴿**صراط الّذين أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾ (الفاتحة/٨) .

(٢) . ﴿**وجعلني مباركاً أين ما كنتُ ...**﴾ (مريم/٣١).

(٣) . ﴿**وقل ربّي أنزلني من .زلاً مباركاً وأنت خير المن .زلين**﴾ (المؤمنون/ ٢٩).

(٤) . ﴿**والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصادقون**﴾ (الأنعام/٨٢).

(٥) . ﴿**والّذي جاء بالصّدق وصدّق به أولئك هم المتقون**﴾ (الزمر/ ٣٣).

(٦) . ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصدّيقون والشهداء عند ربّهم لهم أجرهم ونورهم﴾ (الحديد/١٩).

(٧) . ﴿وهو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ (الأنفال/٦٢).

(٨) . ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومَن اتبعك من المؤمنين﴾ (الأنفال/٦٤).

(٩) . ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومَن اتبعني﴾ (يوسف/١٠٨).

(١٠) . ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين﴾ (البقرة/٢).

(١١) . ﴿إنّي جاعلك للناس إماماً﴾ (البقرة/١٢٤).

(١٢) . ﴿وأجنبني وبنيّ أنْ نعبد الأصنام﴾ (إبراهيم/٣٥).

(١٣) . ﴿أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهدٌ منه﴾ (هود/١٧).

(١٤) . ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ (السجدة/١٨).

(١٥) . ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على ن ور من ربّه﴾ (الزمر/ ٢٢).

(١٦) . ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله﴾ (التوبة/١٩).

(١٧) . ﴿والّذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ (البقرة/٨٢).

(١٨) . ﴿ والعصر، إنّ الإنسان لفي خسر إلاّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات ..﴾ (العصر).

(**١٩**) . ﴿**إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة** ﴾ (البينة/٧).

(**٢٠**) . ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً**﴾.(الأحزاب/٣٣).

فإنّ عموم إذهاب الرجس عنهم يستلزم التطهير من الجهل والنسيان والغفلة وغير ذلك من الأرجاس المعنويّة والماديّة، فنفي الرّجس عنهم يثبت عموم العلم بجميع مصاديقه لهم عليهم السَّلام .

(**٢١**) . ﴿**إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين**﴾ (آل عمران/٣٣).

فالعلم الحضوري يستلزم الإصطفاء إلاّ ما استثناه الدليل بالنسبة لغير الأئمّة عليهم السَّلام، فعموم الإصطفاء لآل إبراهيم بقرينة الآيات والأخبار الأخرى يستلزم ثبوت العلم وحضوريته لدى ذواتهم الشريفة .

(**٢٢**) .﴿**إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي**﴾ (الأعراف/١٤٤).

نظراً إلى أنّ الإصطفاء على عامّة الناس يستتبع كونه متصفاً بالعلم الحضوري وتماميّته ليتميّز عن عامّة الناس بما لديه من قدرات روحيّة وعلميّة ونفسيّة .

(**٢٣**) . ﴿**واصطنعتك لنفسي**﴾ (طه/٤١).

فاختصاص الله له يستلزم حضوريّة علمه، وإلاّ فإنّ عد م الحضور خلاف المقصود .

(**٢٤**) . ﴿**إنْ كنت تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله**﴾ (آل عمران/٣١).

فإنّ حبّ الله ومعرفته واجب بالأدلّة الأربعة، ومَن يحبُّ اللهَ يجب عليه إتباع النبي والإمام عليهما السَّلام، ولا شكّ أنّ المخبر عن الله إذا كان جاهلاً أو ساهياً أو ليس لديه الحضور التام في المعارف والعلوم؛ فإنّ الله لا يأمر باتباعه لاستلزامه اتباع الجهل، والسهو، والنسيان .

(٢٥) .﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾ (الأحزاب/٢١).

ومعلوم أنّ وجوب الأسوة إنّما يكون بعد ثبوت العصمة الكاملة في الإمام عليه السلام، فعدم ثبوت العلم الحضوري يستلزم عدم كونه أسوة حسنة .

(٢٦) .﴿**ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ (الحشر/٧).

فإذا وجب أخذ كل ما أمر به الرسول . سواء أكان نبياً أم إماماً . فيجب بالدلالة العقليّة والشرعيّة والعرفيّة أنْ يكون . هذا الرّسول . عالِماً بكلّ حكمٍ وموضوع؛ وذلك لأنّ وجوب الأخذ إنما يكون بعد محو السهو مطلَقاً . سواء أفسرنا السهو بالنسيان أم بالترك أم بالأعمّ منهما كعدم حضور العلوم لديه . لأنّ الساهي الجاهل لا يكون قوله وحياً، ولا زجره نهياً، فلا يجب أخذ أمره، ولا يحرم مخالفة نهيه، فلمّا كان مورد الآية عموم الأخذ بما يقول الرّسول، وجب الإعتقاد بعموم وشمول ما لديه من معارف وعلوم، ولا قائل بالفصل .

(٢٧) . ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الّذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلاّ هو يحي ويميت فآمِنوا بالله ورسوله النبي الأمّي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلّكم تهتدون**﴾ (الأعراف/١٥٩).

فالإتباع لا يجب عقلاً إلاّ بعد ثبوت العلم والعصمة، والعصمة في الإمام تلازم العلم التام، وعدم تساويه مع العاصين والعوام .

مضافاً إلى أنّ المتابعة لا تثبت مع الجهل وعدم الحضور لا سيّما وأنّ الأمر بالإطاعة مطلَقٌ يسري إلى جميع أحوال الرّسول .

(٢٨) . ﴿**إنّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ يا أيها الذين أمَنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليماً**﴾ (الأحزاب/٥٦).

صلاة الله على رسوله وتسليمه على وليّه تختلف بطبيعتها وماهيّتها عن صلاتنا وتسليمنا عليهما، فصلاته وتسليمه عزّ وجلّ تستلزم العلم التام والحضور المطلَق، لأنّ صلاة الله عليه؛ تعليمٌ، كما إنّ وجوب الصلاة والسَّلام مطلَقاً لا سيّما في أثناء الصلاة، لا يثبتان إلاّ بعد ثبوت العصمة المطلقة، ولا تثبت العصمة المطلقة مع ثبوت الجهل والسهو بجميع مصاديقه في الرسول والإمام عليهما السّلام لنكتةِ وجوبِ التأسّي والمتابعة في جميع الأقوال والأحوال .

ولو جوّزنا السهو وعدم الحضور في بعض الأحوال لسرى إلى جميع الأقوال والأحوال؛ إذ إثبات عدم العصمة في البعض لا يمنع من ثبوتها في الكلّ، ولما ثبت بالأدلّة العقليّة والنقليّة وجوب العصمة في الكلّ، استلزم ثبوتها في الجزء لوحدة المناط .

(٢٩) . ﴿ **إني أعلمُ من الله ما لا تعلمون**﴾ (يوسف/٩٦).

فإذا كان العلم المطلق ليعقوب من الله، فبطريقٍ أَوْلَى لرسول الله وعترته الطاهرة .

وبالجملة: فهذه الآيات وأمثالها تشهد للعِلْم الحضوري لدى أئمّة آل البيت عليهم السَّلام .

توهّم ودفع:

تصوَّر مَن لا تحصيل له؛ بأنّ ثمة آياتٍ يُستفاد منها تضييق الدائرة الواسعة بالآيات المتقدِّمة، وحصرها في مجال دون الآخر المفروض؛ وهو أنّ علمهم وإنْ كان مما لا يحيط بكنهه أحدٌ، لكنه ليس حاضر اً لديهم أو حاصلاً عندهم ساعةً بساعة، وحيناً بحين، وإنما يكون حضوره بالأمر إذا شاءوا عِلْمَ ذلك الأمر، فإذا أرادوا أنْ يعلَموا ذلك الشيء عَلِمُوه، ولم يكن العلم منهم سابقاً على الإشاءة، حاضراً قبل الإرادة، وعليه الكتاب والسنّة.

ولكنّه مندفع.. بما سيلي من الأدلّة والبراهين القطعيّة المعارِضة والمناهِضة للتي ادّعاها أولئك المتوهّمون القاصرون عن ردّ المتشابَه إلى المحكَم والخاصّ إلى العام، وعن علاج الأخبار المتعارِضة،ولا يغرنك كونهم من أكابر العلماء وفطاحل المحقّقين في مسائل هي أدنى بكثير من مسألتنا مورد البحث، كما لا تغرّنك طنطنتهم بالفقه والأصول ما داموا صغاراً في أصول الإعتقادات وأسِّ الديانات، مع أنّ مقتضى الصناعة الأصوليّة والفقهيّة القول بما قلنا، والميل إلى ما اعتقدنا .

بيان الآيات:

إدّعى هؤلاء المرجفون وجود آيات نافية لعموم وحضور علومهم عليه م صلوات الله وادّعوا بأنّ النبي والأئمّة عليهم السَّلام كانوا لا يعلمون الغيب، وليس لهم من العلم إلاّ ما علَّمهم الله علاّم الغيوب جلّ شأنه، بل إنّ علوم

الأئمّة كلّها وراثية لما انتهى إليهم من علمه صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهذه الآيات التي ادّعاها أولئك المرجفون هي على طوائف :

الطائفة الأولى: تنسب إليهم الجهل بعلم الغيب وهي:

قوله تعالى: ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو**﴾ (الأنعام/٥٩).

﴿**لو كنتُ أعلم الغيب لاستكثرتُ من الخير**﴾ (الأعراف/١٨٨).

﴿ **ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب**﴾ (هود/٣١).

﴿**ذلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنتَ تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا**﴾ (هود/٤٩).

﴿**قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلاّ الله** ﴾ (النمل/٦٥).

الطائفة الثانية : تنسب إليهم الجهل بعلمه عزّ وجلّ وبما يجري في الملكوت،وهي:

قوله تعالى:﴿**ولا يحيطون بشيء من علمه إلاّ بما شاء**﴾(البقرة/٢٥٥).

﴿**قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون**﴾ (ص/٦٩).

﴿**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً**﴾ (طه/١١٠).

﴿ **تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نف سك إنّك أنت علاّم الغيوب**﴾ (المائدة/١١٦) .

﴿ **ربّ أرني أنظر إليك**﴾ (الأعراف/١٤٣).

﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان**﴾ (الشورى/٥٢).

﴿ **وما أدراك ما ليلة القدر**﴾ (القدر/٢).

﴿ **وما أدراك ما الحاقة**﴾ (الحاقة/٣).

﴿ **وما أدراك ما يوم الدين**﴾ (الإنفطار/١٧).

الطائفة الثالثة: تنسب إليهم الجهل بأحوال المنافقين والكافرين، وهي:

﴿**وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذّبهم مرّتين**﴾ (التوبة/١٠١).

﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم**﴾ (الإسراء/٣٦).

الطائفة الرابعة : تنسب إليهم الضلال والعصيان، وهما ملازمان للجهل وعدم الحضور، وهي:

﴿ **ووجدك ضالاً فهدى**﴾ (الضحى/٧).

﴿ **وعصى آدم ربّه فغوى**﴾ (طه/١٢١).

﴿ **ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر**﴾ (الفتح/٢).

﴿ **وإما ينسينّك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين** ﴾ (الأنعام/٦٨).

﴿ **وإمّا ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله**﴾ (الأعراف/٢٠٠).

﴿ **فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلّك على شجرة الخلد ..**﴾ (طه/ ١٢٠).

﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ إلاّ إذا تمنّى ألقى الشيطا ن في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ..**﴾ (الحج/٥٢).

الطائفة الخامسة: تنسب إليهم التفاوت بالعلوم وهو يستلزم الجهل وعدم الحضور، وهي:

﴿**وفوق كل ذي علم عليم**﴾ (يوسف/٧٦).

﴿**وقل ربّي زدني علماً**﴾ (طه/١١٤).

﴿**هل أتبعك على أن تعلّمني مما علّمت رشداً**﴾ (الكهف/٦٦).

﴿**وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً**﴾ (الكهف/٦٨).

وصفوة القول:

إنّ دلالة الطائفة الأولى صريحة . بحسب ادّعاء أولئك المرجفين . في أنّ علم الغيب منحصر به سبحانه، ولا يعلمه أحد من خلقه، وعمومها يشمل الأنبياء والأوصياء عليهم السّلام، مضافاً إلى أنها واضحة على نفي الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم علمَ الغيبِ عنه، وهل هناك أوضح من أن ينفي علم الغيب عن نفسه مما يعني أنّ علمه وأهل بيته ليس بحاضر؟.

وأمّا دلالة الطائفة الثانية على عدم الحضور فواضحةٌ أيضاً بحسب مشربهم؛ إذ هي وإنْ دلّ بعضها على أنه تعالى يجوز أن يشرف عباده على علمه بإذنه، إلاّ أنها دلّت على أنّ العباد قاصرون عن الإحاطة بعلمه، ولو كان علمهم حاضراً لأحاطوا بعلمه عزّ وجلّ، وبما يجري في الملأ الأعلى،

فحيث نفى سبحانه عنهم العلم، وأكّدوه عليهم السّلام لأنفسهم دلّ ذلك على المطلوب .

كما أنّ دلالة الطائفة الثالثة أبلغ وأصرح في المراد من الطّائفتين السّابقتين، ولو كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عالماً بالحضور لأخبر تعالى عنه،بأنّه كان يعلم بنفاق أولئك الأعراب وبعض المنافقين.

وكذا الطائفة الرابعة كسابقتها واضحة الدّلالة على ثبوت الضّلال والعصيان له صلّى الله عليه وآله وسلّم وللأنبياء (حاشاهم) ممّا يستوجب القول بعدم حضوريّة علومهم وشموليتها، لكون الحضور فرع الطّاعة والإلتزام بأوامر الله تعالى .

وأمّا دلالة الطائفة الخامسة فلا غبار يعلوها في نسبة تفاوت علوم الأنبياء والأولياء، وهو خلاف كونه فعلياً لدنياً.

فهذه الآيات الكريمة صريحة بأنّ النّبي والأنبياء كانوا لا يعلمون الغيب، فكيف إذاً شأن الأئمّة الأطهار فيه؟.

هذه أهمّ الإشكالات القرآنيّة التي أوردها النّافون للعلم الفعلي للنّبي وآله الكرام الميامين، لكنّ الإنصاف أنّ شيئاً من هذه الآيات الكريمة، لا يصلح أن يكون مستنداً لأصحاب الشّبهة المذكورة، وذلك لأمور؛ هي الآتي:

الأمر الأوّل:

إنّ تلك الآيات من المتشابهات، ولا يجوز العمل بالمتشابه . وإن وجب الإعتقاد بأنّه من عند الله عزّ وجل . بل لا بدّ في معرفته من الرجوع إلى المحكمات، ومقتضى الصّناعة الفِقهيّة أن نحمل المتشابه على المجاز، أو نأوّله

بما يتناسب والأدلّة القطعيّة والآيات المحكمة، ومورِدنا من هذا القبيل، حيث تؤوّل الآيات النّافية على ما قام به الدّليل كما تؤوّل الآيات الأخرى كقوله تعالى: ﴿**ولقد فتنّا الّذين من قبلهم فلي‌علمنّ الله الّذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين**﴾ (العنكبوت/٣).

﴿**وليعلمنّ الله الّذين آمنوا وليعلمنّ المنافقين**﴾ (العنكبوت/١١).

﴿**ثمَّ اسْتَوَىْ عَلَىْ العَرْشْ ...**﴾ (الأعراف/٥٤).

﴿**الرّحْمَانُ عَلَىْ العَرْشِ اسْتَوَىْ**﴾ (طه/٥).

﴿**وجاء ربّك والملك صفّاً صفّاً**﴾ (الفجر/٢٢).

﴿**ثمّ جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون**﴾ (يونس/١٤).

﴿**أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أماذا كنتم تعملون**﴾(النمل/٨٤).

﴿**وما تلك بيمينك يا موسى**﴾ (طه/١٧).

﴿**قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبي**﴾ (البقرة/٢٦٠).

﴿**قال ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرتك**﴾ (الأعراف/١٢).

﴿**ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام**﴾ (الرّحمان/٢٧).

﴿**ولله المشرق والمغرب فأينما تولّوا فثمّ وجه الله**﴾ (البقرة/١١٥).

﴿**إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها**﴾(البقرة/٢٦).

﴿**الله يستهزئ بهم ويمدّهم في طغيانهم يعمهون**﴾ (البقرة/١٥).

﴿**هل ينظرون إلاّ ان يأتيهم الله في ظللٍ من الغمام**﴾ (البقرة/٢١٠).

﴿**والله يكتب ما يبيتون ..**﴾ (النساء/٨١).

إلى غير تلكم الآيات المتشابهة حيث لا يجوز العمل بظاهرها؛ بل لا بدّ من الرجوع إلى محكمات الآيات أو تأويلها بما يتناسب مع الأدلّة القطعيّة التي نزّهت الله سبحانه عن الشّبهة والنّظير، نَظِيْرَ قوله تعالى:

﴿**وما تفعلوا من خير يعلمه الله**﴾ (البقرة/١٩٧).

﴿**وما أنفقتمم من نفقة أو نذرتم من نذر فإنّ الله يعلمه**﴾ (البقرة/٢٧٠).

﴿**قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله**﴾ (آل عمران/٢٩).

﴿**ألم يعلموا أنّ الله يعلم سرّهم ونجواهم وأنّ الله علاّم الغيوب**﴾ (التوبة/٧٨).

﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ (الشورى/١١).

﴿**وما الله بغافلٍ عمّا تعملون**﴾ (البقرة/٧٤).

﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**﴾ (الأنعام/١٠٣).

﴿**وكان الله بما يعملون محيطاً**﴾ (النساء/١٠٨).

﴿**وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير**﴾ (الحديد/٤).

﴿**وما أمرنا إلاّ واحدة كلمحٍ بالبصر**﴾ (القمر/٥).

﴿**إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾ (يس/٨٢).

﴿**ومن آياته أن تقوم السّماء والأرض بأمره**﴾ (الروم/٢٥).

﴿**والشّمس والقمر والنّجوم مسخّرات بأمره**﴾ (الأعراف/٥٤).

﴿**والله غالب على أمره ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون**﴾ (يوسف/٢١).

﴿**لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**﴾ (الأنبياء/٢٧).

وصفوة القول: إنّ الآيات النّافية للعلم الحضوري لا تعارض تلك الآيات التي صرّحت بأنّ الله إذا شاء أظهر عليه من ارتضاه من الرّسل، وإنّ رسولنا محمّداً وآله ممن ارتضاهم الله تعالى لرسالته والإطّلاع على غيبه، وقد أشرنا سابقاً إلى هذه الآيات .

مضافاً إلى أنّ الآيات النافية هي نفسها قد دلّت على هذا المفاد، كما في قوله تعالى : ﴿ **ولا يحيطون بشيءٍ من علمه إلاّ بما شاء** ﴾ فإنّ هذا الإستثناء كافٍ في الدلالة على إشاءته تعالى لأن يحيطوا بشيءٍ من علمه عزّ وجلّ .

الأمر الثاني:

إنّ طوائف الآيات النّافية، غاية ما تدلّ على استئثاره بالعلم الذّاتي، وأمّا من أطلعه على ذلك العلم . كما دلّت عليه تلكم الآيات . فذلك العلم محمولٌ على العرضي، فدعوى أنّ العلم الحضوري يستلزم علمهم بكلّ ما يعلمه علاّم الغيوب مردودةٌ ، إذ لا تلازم بين علمهم وبين كلّ ما يعلمه الباري عزّ وجلّ، فيجوز حينئذٍ أن نحملَ ما دلّ على نفي علمهم وما دلّ على استئثاره بشيءٍ، على اختصاص ذلك بما تخصّص به، ولم يُطْلِعْ عليه أحداً من البشر، ويشهد له ما جاء في الأحاديث الّتي أشارت إلى أنّ الإسم الأعظم على ثلاثةٍ وسبعين حرفاً،وأنّ عندهم منه اثنان وسبعون حرفاً، وأنّ الله جلّ جلاله استأثر لنفسه بحرفٍ واحد، فهذا يدلّ على أنّه اختصّ بشيء لم يطلعهم عليه.

الأمر الثالث : تُحمل الآيات النافية على ظاهرها من دون الرجوع إلى المحكم، فيكون الخطاب فيها لرسول الله والأولياء عليهم السّلام لكنّ المقصود هو الأمّة، من باب إيّاك أعني واسمعي يا جارة، كما هو محمل سائر الآيات النّافية، لا سيّما من قبيل ﴿**وما أدراك ما ليلة القدر**﴾،﴿ **وما أدراك ما يوم الدّين**﴾ .

وكذا ما ورد في تمنّي الأنبياء وإلقاء الشّيطان في أمنيتهم، أو الوسوسة المنسوبة إليهم، كلّها تُحمل على غير معناها الظّاهري .وأمّا تفاوت ذواتهم المقدّسة بالعلوم، فلا ريب فيه، ولكنّه لا يستلزم عدم حضوريّة ما علموه، وقياس هم على رسول الله وآله الأطهار مع الفارق، أنّ محمّداً وآله سادة الكائنات لا يقاس بهم أحدٌ من الخلق .

وأمّا تفاوت النبيّ موسى عليه السلام والوليّ الصالح الخضر عليه السلام فتأويله بأنّ تفاوتهم ليس من حيث العلم والجهل بل من حيث اختلاف حكمي العلمين، وتكليف العالِمَين، وتغاير ا لشريعتين بالسّهولة والصّعوبة، والصّبر والمشقّة، كما علّل قوله ﴿ **إنّك لن تستطيع معي صبراً**﴾ في الأخبار بـ " إنّي وكّلت بأمر لا تطيقه، ووكِلْتَ بأمر لا أطيقه"[٩٥].

وعليه؛ فسؤال موسى للخضر ﴿ **هل أتّبعك على أن تعلّمني مما علّمت رشداً**﴾ وجوابه: ﴿ **إنّك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً**﴾ يمكن تأويله : بأنّه ليس من باب تعلّم الجاهل من العالم علم ما لا يعلمه، بل من باب طلب العالم علم ما يعلمه باطناً بالإرائة والإحساس

ظاهراً لمزيد من الإطمئنان والترقّي من علم اليقين وحقّ اليقين إلى عين اليقين،تماماً كطلب إبراهيم الخليل عليه السلام بقوله: ﴿**ربّ أرني كيف تحي الموتى**﴾ (البقرة/٢٦٠)، فمعنى قول موسى : ﴿**على أن تعلّمني ...**﴾ أي تريني .

ومعنى قوله: ﴿**كيف تصبر على ما لم تحط به خبراً** ﴾ أي ما كان ظاهره عندك منكراً، أو يحمل على تأدّب العالِم مع العالِم هضماً لنفسه بتن .زيلها منزلة الجاهل بالنسبة إليه، احتراماً لعلمه، أو كفّارة لبعض خطرات قلبه . إن صحّ صدور ذلك منه حسبما أشار لذلك خبرٌ (٩٦) . أو دفعاً لبعض ما يتخوف من العُجب على نفسه، أو الغلوّ على غيره، أو تعليماً للناس مكارم سيرته ومحاسن تأدّبه ومعارف عشرته، ولطائف صحبته.

وهكذا يمكن تأويل كلّ آية يظهر من مدلولها خلاف العلم الفعلي للأنبياء في زمانهم،ولرسول الله محمّدٍوالأئمّة الأطهار في كل الأزمنة، ماضيها ومستقبلها.

الأمر الرابع: يمكن حمل الآيات النّافية على العلم الظّاهري الحاصل من الأمارات والحواس الظاهريّة، والصّناعات العاديّة الخارجة عن محلّ النزاع، لا سيّما مع وجود القرائن السياقيّة في نفس الآيات كما في قوله تعالى : ﴿**لا تعلمهم نحن نعلمهم** ﴾ أي لا تعلمهم بالإمارات والحواس الظاهريّة مع فطنتك وصدق فراستك وعلمك الباطني بهم، وذلك لشدّة مهارتهم في

النّفاق، ومحافظتهم على ال ظّاهر بإظهار الوفاق، ويشهد له السّياق الدّال عليه في الآية بقوله تعالى: ﴿**مردوا على النفاق**﴾ أي تمرّسوا وتمرّنوا عليه.

الأمر الخامس : يمكن حمل النّافية أيضاً على السّالبة بانتفاء الموضوع، كما هو أحد محامل قوله تعالى : ﴿**ولا تقفُ ما ليس لك به علم** ﴾ أي لا تقل إلاّ ما تعلم أنّه مما يجوز أن يقال، ولا تفعل إلاّ ما تعلم أنّه ممّا يجوز أن يفعل ولا تعتقد إلاّ ما تعلم أنّه مما يجوز أن يعتقد .

الأمر السادس : لو لم يمكن التّوفيق بين الطّائفة النّافية والطّائفة المثبتة للعلم الفعلي الحضوري، فلا بدّ من التصرّف في ظاهر الطائفة النّافية خاصّة؛ لأنّ حكم العقل قاض بأنّ الإمام عليه السلام لا بدّ وأن يكون علمه حضوريّاً، كما أنّه لا يمكن التصرّف بالطائفة المثبتة لكونها محكمة، ولا يُتصرّف ظاهراً بالمحكم لأجل المتشابه، بل العكس هو الصّحيح.

الأخبار الدّالة على علمهم الفعلي التامّ:

لقد صرّحت الأخبار الصّحيحة سنداً ودلالةً وأنبأت بوضوحٍ بما كان عليه النبيّ والأئمّة من ولده من ذلك العلم الحاضر التامّ، فها هي الكتب المعتبرة عندنا معشر الإماميّة مليئة بذلك لا سيّما بحار الأنوار الّذي نقل عن المصادر الصّحيحة، وكذا الكتب الأربعة وبصائر الدّر جات والعلل والعيون والخصال ونحوها من الكتب المعتبرة من النّصوص المشهورة والمستفيضة بل المتواترة الصّحيحة الصّريحة، نورد طرفاً منها في ضمن طوائف:

الطائفة الأولى : " أنّ الأئمّة عليهم السّلام عالمون بكلّ شيء " وأنّ مستقى العلم من عندهم " :

صرّحت هذه الطائفة بأنّ آل البيت عليهم السّلام علماء بكلّ شيء، ومن كان عالماً بكلّ شيء كيف لا يكون علمه حضوريّاً؟!.

من هذه الطّائفة ما ورد عن:

(١) . الصفّار بإسناده إلى إبراهيم بن إسحاق عن عبد الله بن حمّاد عن صباح المزنى عن الحارث بن حصيرة عن الحكم بن عتيبة قال:

لقي رجل الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام بالثعلبيّة وهو يريد كربلاء، فدخل عليه فسلّم، فقال له الإمام الحسين عليه السلام: من أيّ البلدان أنت؟، فقال : من أهل الكوفة، قال : يا أهل الكوفة !، أما والله لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرائيل من دارنا ونزوله على جدّي بالوحي، يا أخا أهل الكوفة مستقى العلم من عندنا،أفعلِموا وجهلنا،هذا ما لا يكون[٩٧] .

(٢) . الصفّار بإسناده إلى أحمد بن محمّد عن الحسن بن محبوب، قال : حدّثنا يحيى بن عبد الله بن أبي عبد الله الحسن صاحب الديلم قال : سمعت الإمام جعفر بن محمّد عليه السلام يقول وعنده ناسٌ من أهل الكوفة، عجباً للناس إنهم أخذوا علمهم كلّه عن رسول الله فعلموا به واهتدوا، ويروا أنّا أهل بيته وذريّته لم نأخذ علمه ونحن أهل بيته وذريّته، في منازلنا نزل الوحي، ومن عندنا خرج العلم إليهم، أفيرون أنهم علموا واهتدوا وجهلنا نحن وضللنا، إنّ هذا لمحال [٩٨].

(٣) . وعن الكليني الرازي بإسناده إلى أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن يونس بن يعقوب، عن الحارث بن المغيرة، وعدّة من أصحابنا منهم عبد الأعلى وأبو عبيدة وعبد الله ابن بشر الخثعمي سمعوا الإمام أبا عبد الله عليه السلام يقول:إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنّة و أعلم ما في النّار، وأعلم ما كان وما يكون، قال : ثمّ مكث هنيئة فرأى أنّ ذلك كُبر على من سمعه منه فقال : علمت ذلك من كتاب الله عزّ وجلّ، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ **فيه تبيان كلّ شيء**﴾ (٩٩).

(٤) . عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عمر بن عبد العزيز، عن محمّد بن الفُضيل عن أبي حمزة قال : سمعت الإمام أبا جعفر عليه السلام يقول: لا والله لا يكون عالمٌ جاهلاً أبداً، عالماً بشيء جاهلاً بشيء، ثمّ قال : الله أجلّ وأعزّ وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وأرضه، ثمّ قال : لا يحجب ذلك عنه (١٠٠).

(٥) . عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عليّ بن معبد، عن هشام بن الحكم، قال: سألت الإمام أبا عبد الله عليه السلام بمنى عن خمسمائة حرف من الكلام فأقبلت أقول: يقولون:كذا وكذا، قال: فيقول: قل كذا وكذا، قلت : جُعلت فداك هذا الحلال وهذا الحرام، أعلم أنّك صاحبه وأنّك أعلم النّاس به وهذا هو الكلام، فقال لي: ويك يا هشام [لا] يحتجّ الله تبارك وتعالى على خلقه بحجّة لا يكون عنده كلّ ما يحتاجون إليه(١٠١) .

(٦) . الصفّار بإسناده إلى محمّد بن الجعفي، عن جعفر بن بشير، والحسن ين عليّ بن فضّال، عن مثنّى، عن زُرارة قال : كنت قاعداً عند الإمام أبي

جعفر عليه السلام فقال رجلٌ من أهل الكوفة يسأله عن قول أمير المؤمنين : سلوني عما شئتم ولا تسئلوني عن شيء إلاّ أنبأتكم به، فقال : إنّه ليس أحدٌ عنده علمٌ إلاّ خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام فليذهب النّاس حيث شاءوا فوالله ليأتيهُم الأمر ههُنا وأشار بيده إلى المدينة[١٠٢] .

الطائفة الثانية: " أنّ الأئمّة عليهم السّلام يعلمون ما في السماوات والأرض ..." .

فقد صرّحت هذه الطائفة الجليلة بأنّ الله سبحانه وتعالى اجلّ وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجُب عنه علم سمائه وأرضه، ولو حجبه لاستلزم النّسبة لله بما ينافي كرمه وجلالة شأنه، بل لو حجب ذلك العلم عنه لما صحّ أن يكون مفترض الطّاعة، وكيف تكون طاعته مفروضة، وليس لديه علم ما يُسأل عنه .

. من هذه الطائفة ما أورده:

(**١**) . أبو جعفر الكليني الرّازي عن أحمد بن محمّد ومحمّد بن يحيى عن محمّد بن الحسين عن ابراهيم بن اسحاق الأحمر عن عبد الله بن حمّاد، عن سيف التمّار قال: كنّا مع الإمام أبي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنةً ويسرة فلم نر أحداً فقلنا : ليس علينا عين، فقال: وربّ الكعبة وربّ البنيّة ثلاث مرّات لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنّي أعلم منهما ولأنبئتهما بما ليس في أيديهما لأنّ موسى والخضر عليهما السّلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وراثةً [١٠٣].

(٢) . عليّ بن محمّد، عن سهل، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن عبد الكريم، عن جماعة بن سعد الخثعمي أنّه قال : كان المفضل عند الإمام أبي عبد الله عليه السلام فقال له المفضل : جُعلت فداك يفرض الله طاعة عبدٍ على العباد ويحجب عنه خبر السماء؟ قال : لا، الله أكرم وأرحم وأرأف بعباده من أن يفرض طاعة عبدٍ على العباد ثمّ يحجب عنه خبر السماء صباحاً ومساءً .[١٠٤]

(٣) . محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن إبن محبوب، عن إبن رئاب، عن ضريس الكناسيّ قال : سمعت الإمام أبا جعفر عليه السلام يقول . وعنده أناس من أصحابه .:عجبت من قوم يتولّونا ويجعلونا أئمّة ويصفون أنّ طاعتنا مفترضةٌ عليهم كطاعة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ يكسرون حجّتهم ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم، فينقصونا حقّنا ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حقّ معرفتنا والتّسليم لأمرنا، أترون أنّ الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده، ثمّ يُخفي عنهم أخبار السّماوات والأرض ويقطع عنهم موادّ العلم فيما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم؟! فقال له حمران: جعلت فداك: أرأيت ما كان من أمر قيام عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السّلام وخروجهم وقيامهم بدين الله عزّ ذكره، وما أصيبوا من قتل الطواغيت إيّاهم والظفر بهم حتى قتلوا وغلبوا؟ فقال الإمام أبو جعفر عليه السلام: يا حمران إنّ الله تبارك وتعالى قد كان قدّر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه على سبيل الإختيار ثمّ أجراه فبتقدّم علمٍ إليهم من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قام عليّ والحسن والحسين عليهم السّلام، وبعلم صمت

من صمت منّا، ولو أنهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله عزّ وجلّ وإظهار الطّواغيت عليهم سألوا الله عزّ وجلّ أن يدفع عنهم ذلك وألحّوا عليه في طلب إزالة ملك الطّواغيت وذهاب ملكهم إذاً لأجابهم ودفع ذلك عنهم، ثمّ كان انقضاء مدّة الطواغيت وذهاب ملكهم أسرع من سِلكٍ منظومٍ انقطع فتبدّد، وما كان ذلك الّذي أصابه م يا حمران لذنبٍ اقترفوه ولا لعقوبةِ معصيةٍ خالفوا اللهَ فيها ولكن لمنازل وكرامة من الله، أراد أن يبلغوها، فلا تذهبنّ بك المذاهب فيهم(١٠٥).

(**٤**) . وفي نادر الكليني، باب جامع في فضل الإمام وصفاته، عن أبي محمّد القاسم بن العلاء رفعه عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنت مع الإمام الرّضا عليه السلام بمَرو في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيّدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسّم عليه السلام ثمّ قال: يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم، إنّ الله لم يقبض نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كلّ شيء، بيّن فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كمُلاً، فقال عزّ وجلّ : ﴿**ما فرّطنا في الكتاب من شيء**﴾ وأنزل في حجّة الوداع وهي آخر عمره صلّى الله عليه وآله وسلّم : ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً**﴾ وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمضِ صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى بيّن لأمّته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد السّبيل الحقّ، وأقام عليّاً عليه السلام علماً وإماماً وما ترك لهم شيئاً يحتاج إليه الأمّة إلاّ بيّنه، فمن

زعم أنّ الله عزّ وجلّ لم يكمّل دينه فقد ردّ كتاب الله، ومن ردّ كتاب الله فهو كافرٌ به .

هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأمّة فيجوز فيها اختيارهم، إنّ الإمامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها النّاس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم، إنّ الإمامة خصّ الله عزّ وجلّ بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوّة والخلّة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرّفه بها وأشاد بها ذكره، فقال : ﴿**إنّي جاعلك للناس إماماً** ﴾ فقال الخليل عليه السلام سروراً بها: **ومن ذرّيتي** ﴾ قال الله تبارك وتعالى: ﴿**لا ينال عهدي الظّالمين**﴾ .

فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصّفوة، ثمّ أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذرّيته أهل الصّفوة والطّهارة فقال : ﴿**ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاًّ جعلنا صالحين، وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصّلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين**﴾ .

فلم تزل في ذرّيته يرثها بعضٌ عن بعض قرناً فقرناًحتى ورّثها الله تعالى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقال جلّ وتعالى : ﴿**إنّ أولى النّاس بإبراهيم للّذين اتّبعوه وهذا النّبي الأمّي والّذين آمنوا والله وليّ المؤمنين** ﴾ فكانت له خاصّة فقلّدها صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّاً عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله، فصارت في ذريّته الأصفياء الّذين آتاهم الله العلم والإيمان، بقوله تعالى : ﴿**وقال الّذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في**

كتاب الله إلى يوم البعث ﴾ فهي في ولد عليّ عليه السلام خاصّة إلى يوم القيامة، إذ لا نبيّ بعد محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فمن أين يختار هؤلاء الجهّال ؟.

إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، إنّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السّلام إنّ الإمامة زمام الدّين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين، إنّ الإمامة أسُّ الإسلام النّامي، وفرعه السّامي، بالإمام تمام الصّلاة والزكاة والصّيام والحجّ والجهاد، وتو فير الفيء والصّدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثّغور والأطراف .

الإمام يحلّ حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذبّ عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة، والموعظة الحسنة، والحجّة البالغة، الإمام كالشّمس الطّالعة المجلّلة بنورها للع ا لم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار .

الإمام البدر المنير، والسّراج الزاهر، والنّور الساطع والنّجم الهادي في غياهب الدُّجى وأجواز البلدان القفار، ولجج البحار، الإمام الماء العذب على الظّماء والدّال على الهدى والمنجي من الرّدى، الإمام النّار على اليفاع، الحارّ لمن اصطلى به والدّليل في المهالك، من فارقه فهالك، الإمام السّحاب الماطر،والغيث الهاطل والشمس المضيئة،والسّماء الظّليلة،والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة .

الإمام الأنيس الرفيق، والولد الشفيق، والأخ الشّقيق، والأمّ البرّة بالولد الصّغير، ومفزع العباد في الدّاهية النّآد الإمام أمين الله في خلقه، وحجّته على عباده وخليفته في بلاده، والدّاعي إلى الله، والذابّ عن حرم الله .

الإمام المطهّر من الذّنوب والمبرّأ عن العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدّين، وعزّ المسلمين وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين .

الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحدٌ، ولا يعادله عا لمٌ، ولا يوجد منه بدلٌ ولا له مثلٌ ولا نظير، مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضّل الوهّاب .

فمن ذا الّذي يبلغ معرفة الإمام،أو يمكنه اختياره، هيهات هيهات، ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الالباب، وخسئت العيون، وتصاغرت العظماء،وتحيّرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء،وحصُرت الخطباء، وجهِلَت الألبّاء،وكلّت الشعراء،وعجِزت الأدباء، وعيِيَت البلغاء، عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلةٍ من فضائله، وأقرّت بالع جز والتّقصير،وكيف يوصف بكلّه، أو ينعت بكنهه، أو يُفْهَمْ شيءٌ من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه، لا كيف وأنّى؟ وهو بحيث النّجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين، فأين يختار من هذا؟ وأين العقول عن هذا وأين يوجد مثل هذا؟!.

أتظنّون أنّ ذلك يوجد في غير آل الرسول محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم كذّبتهم والله أنفسهم، ومنّتهم الأباطيل فارتقوا مرتقاً صعباً دحضاً، تذلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة، وآراء مضلّة، فلم يزدادوا منه إلاّ بعداً، [قاتلهم الله أنّى يؤفكون] ولقد راموا

صعباً، وقالوا إفكاً، وضلّوا ضلالاً بعيداً، ووقعوا في الحيرة، إذ تركوا الإمام عن بصيرة، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين.

رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته إلى اختيارهم والقرآن يناديهم: ﴿**وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عمّا يشركون** ﴾ وقال عزّ وجلّ: ﴿**وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾ الآية، وقال : ﴿**ما لكم كيف تحكمون، أم لكم كتابٌ فيه تدرسون، إنّ لكم فيه لما تخيّ رون، ام لكم أيمانٌ علينا بالغة إلى يوم القيامة إنّ لكم لما تحكمون، سلهم أيّهم بذلك زعيم، أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين** ﴾ وقال عزّ وجلّ : ﴿**افلا يتدبّرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها** ﴾ أم ﴿**طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون**﴾ أم ﴿**قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، إنّ شرّ الدّواب عند الله الصمّ البكم الّذين لا يعقلون، لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون** ﴾ أم ﴿**قالوا سمعنا وعصينا** ﴾ بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فكيف لهم باختيار الإمام؟ ! والإمام عالمٌ لا يجهل، و راعٍ لا ينكلْ، معدن القدس والطّهارة، والنّسك والزهادة، والعلم والعبادة، مخصوصٌ بدعوة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ونسلِ المطهّرة البتول، لا مغمز فيه في نسب، ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قريش والذّروة من هاشم، والعترة من الرّسول

صلّى الله عليه وآله وسلّم والرّضا من الله عزّ وجلّ، شرف الأشراف، والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلعٌ بالإمامة، عالمٌ بالسياسة، مفروض الطّاعة، قائمٌ بأمر الله عزّ وجلّ، ناصحٌ لعباد الله، حافظٌ لدين الله .

إنّ الأنبياء والأئمّة صلوات الله عليهم يوفّقهم الله ويؤتي هم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان في قوله تعالى: ﴿**أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع امّن لا يهدي إلاّ أن يهدى فمالكم كيف تحكمون** ﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿**ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً** ﴾ وقوله في طالوت: ﴿**إنّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطةً في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسعٌ عليم**﴾ وقال لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: ﴿**أنزل عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً** ﴾ وقال في الأئمّة من أهل بيت نبيّه وعترته وذريته صلوات الله عليه م : ﴿**أم يحسدون النّاس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً، فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه وكفى بجهنّم سعيراً**﴾ .

وإنّ العبد إذا اختاره الله عزّ وجلّ لأمورِ عباده، شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعِ بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصّواب، فهو معصومٌ مؤيّد، موفّقٌ مسدّد، قد أمن من الخطايا والزّلل والعثار، يخصّه الله بذلك ليكون حجّته على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فهل يقدرون ع لى مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصّفة فيقدّمونه، تعدّوا . وبيت الله . الحقّ ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون، وفي كتاب الله الهدى والشفاء، فنبذوه واتّبعوا أهواءهم، فذمّهم الله ومقتهم وأتعسهم فقال جلّ وتعالى: ﴿**ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هدى من الله إنّ الله لا يهدي القوم الظّالمين** ﴾ وقال: ﴿ **فتعساً لهم وأضلّ أعمالهم**﴾ وقال: ﴿**كبر مقتاً عند الله وعند الّذين آمنوا كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار** ﴾ وصلّى الله على النبيّ محمّد وآله وسلّم تسليماً كثيراً [١٠٦].

الطائفة الثالثة: " أنّ الأئمّة معدن العلم والحكمة..." .

صرّحت هذه الطائفة المباركة بأنهم عليهم السّلام معدن العلم وأصل الحكمة، وشجرة النبوّة، وبيت الرحمة ومختلف الملائكة وموضع الرسالة .

من هذه الطائفة ما أورده الكليني بإسناده:

(**١**) . إلى أحمد بن مهران، عن محمّد بن عليّ، عن غير واحد، عن حمّاد بن عيسى، عن ربعي بن عبد الله، عن أبي الجارود قال : قال الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: ما ينقم الناس منا؟ !، فنحن والله شجرة النبوة، وبيت الرحمة، ومعدن العلم، ومختلف الملائكة[١٠٧] .

(**٢**) . وعن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن الحسين، عن عبد الله بن محمّد، عن الخشّاب، قال : حدّثنا بعض أصحابنا، عن خيثمة قال : قال لي الإمام أبو عبد الله عليه السلام: يا خيثمة نحن شجرة النبوّة، وبيت الرّحمة ومفاتيح

الحكمة، ومعدن العلم، وموضع الرّسالة، ومختلف الملائكة، وموضع سرّ الله، ونحن وديعة الله في عباده، ونحن حرم الله الأكبر، ونحن ذمّة الله، ونحن عهد الله، فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله، ومن خفرها فقد خفر ذمّة الله وعهده .[١٠٨]

وقد روى الصفّار [١٠٩] أعلى الله مقامه الشريف في باب واحد تسعة أحاديث فيها دلالة واضحة على المطلوب، وهي كالآتي:

(١) . قال: حدثنا أبو القسم حمزة بن القسم بن العباس قال : حدثنا محمد بن يحيى العطار قال : حدثنا محمد بن الحسن الصفار قال : حدثنا إبراهيم بن هاشم عن عبد الله بن المغيرة عن عبد المؤمن بن القاسم الأنصاري عن حميد بن أبي معاذ من أهل البصرة عن جرير عن الضحاك بن مزاحم الخراساني قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : إنا أهل البيت أهل بيت الرحمة وشجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن العلم[١١٠] .

(٢) . حدثني العباس بن معروف قال : حدثنا حماد بن عيسى عن ربعي عن الجارود وهو أبو المنذر قال : دخلت مع أبي على الإمام عليّ بن الح سين بن عليّ عليه السلام فقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: ما تنقم الناس منا نحن والله شجرة النبوة وبيت الرحمة وموضع الرسالة ومعدن العلم ومختلف الملائكة .[١١١]

(٣) . حدثنا يعقوب بن إسحاق إبن إبراهيم الجريري ومحمد بن حسان قالا: أخبرنا أبو عمران الأرمني وهو موسى بن زنج ويه عن عائذ بن إسماعيل عمّن حدثه عن خيثمة عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: نحن شجرة النبوة

وبيت الرحمة ومفاتيح الحكمة ومعدن العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع وحي الله ونحن وديعة الله في عباده ونحن حرم الله الأكبر ونحن عهد الله فمن وفا بذمتنا فقد وفا بذمة الله ومن وفا بعهدنا فقد وفا بعهد الله ومن خفرنا فقد خفر ذمة الله وعهده (١١٢).

(٤) . حدثنا محمد بن الحسين عن الحكم بن مسكين قال : حدثني بعض أصحاب الأعمش عن الأعمش رفع الحديث إلى أبي ذر، قال : لما اختلف الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال أبو ذر: أهل بيت نبيكم هم أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم(١١٣) .

(٥) . حدثنا محمد بن الحسين عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن سلمان بن جعفر عن عبد الأعلى بن تميم يذكره عن الفضيل بن يسار قال الإمام أبو جعفر عليه السلام:يا فضيل ما ينق م الناس منا فوالله إنا لشجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم(١١٤) .

(٦) . حدثنا عبد الله بن محمد عن الحسن بن موسى الخشاب قال : حدثنا أصحابنا عن خيثمة الجعفي قال: قال لي الإمام أبو عبد الله عليه السلام: يا خيثمة نحن شجرة النبوة وبيت الرحمة ومفاتيح الحكمة ومعدن العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع سر الله ونحن وديعة الله في عباده ونحن حرم الله الأكبر ونحن ذمة الله ونحن عهد الله فمن وفا بذمتنا فقد وفا بذمة الله ومن وفى بعهدنا فقد وفا بعهد الله ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده(١١٥) .

(٧) . حدثنا عبد الله بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن المغيرة عن إسماعيل بن أبي زياد السكوني عن الإمام جعفر ﷺ عن أبيه ﷺ عن الإمام عليّ ﷺ قال: إنا أهل بيت شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرأفة ومعدن العلم [١١٦].

(٨) . حدثنا محمّد بن أحمد بن محمّد بن إسماعيل العلوي قال : حدّثنا الحسن بن عمرو العمركي عن علي بن جعفر عن أخيه الإمام موسى بن جعفر ﷺ عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّا أهل بيت شجرة النّبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم [١١٧].

(٩) . حدثنا أحمد بن محمّد عن إسماعيل بن عمران عن حماد عن ربعي بن عبد الله بن الجارود عن جدّه الجارود قال : دخلت مع أبي على الإمام عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ﷺ فقال: ما ينقم الناس منا فنحن والله شجرة النبوة وبيت الرحمة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة و معدن العلم [١١٨].

كما وقد أورد عليه الرّحمة في الباب الثاني من كتابه البصائر [١١٩] سبعة أحاديث هي:

(١) . حدثنا الحسن بن موسى الخشاب عن عمرو بن عثمان عن محمد بن عذافر عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر ﷺ قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿**كشجرة طيّبة أصلها ثابتٌ وفرعها في السّماء تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها**﴾ فقال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنا أصلها

وعليٌّ فرعها والأئمة أغصانها وعلمنا ثمرها شيعتنا ورقها يا أبا حمزة هل ترى فيها فضلا قال: قلت: لا والله لا أرى فيها، قال: فقال: يا أبا حمزة والله إن المولود يولد من شيعتنا فتورق ورقة منها ويموت فتسقط ورقة منها .

(٢) . حدثنا يعقوب بن يزيد عن الحسن بن محبوب عن الأحول عن سلام بن المستنير قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى:﴿ **كشجرة طيّبة أصلها ثابتٌ وفرعها في السّماء تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها**﴾، فقال: الشجرة رسول الله نسبه ثابت في بني هاشم وفرع الشجرة عليّ وعنصر الشجرة فاطمة وأغصانها الأئمة وورقها الشيعة وإنّ الرجل منهم ليموت فتسقط منها ورقة وإن المولود منهم ليولد فتورق ورقة قال : قلت له: جعلت فداك قوله تعالى:﴿ **تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها** ﴾ قال: هو ما يخرج من الإمام من الحلال والحرام في كل سنة إلى شيعته .

(٣) . حدثنا أحمد عن الحسن بن محبوب عن مؤمن الطاق عن سلام بن المستنير قال سألت الإمام أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى ﴿ **كشجرة طيّبة أصلها ثابتٌ وفرعها في السّماء تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّ ها**﴾ قال: الشجرة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نسبه ثابت في بني هاشم وعنصر الشجرة فاطمة وفرع الشجرة عليّ أمير المؤمنين وأغصان الشجرة وثمرها الأئمة وورق الشجرة الشيعة وإن المولود ليولد فتورق ورقة وإن الرجل من الشيعة ليموت فتسقط ورقة قال : جعلت فداك ﴿**تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها** ﴾ قال: ما يفتي الأئمة شيعتهم في كل حج وعمرة من الحلال والحرام .

(٤) . حدثنا أحمد بن محمد عن علي بن سيف عن أبيه سيف عن عمر بن يزيد بياع السابري قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى : ﴿ **شجرة أصلها ثابتٌ وفرعها في السّماء** ﴾ قال: فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : والله جذرها وأمير المؤمنين عليه السلام فرعها والأئمة من ذريتها أغصانها وعلم الأئمة ثمرها وشيعتهم المؤمنون ورقها هل ترى فيها فضلاً يا أبا جعفر؟ قال: قلت: لا والله فقال والله إن المؤمن يولد فيورق ورقة وإن المؤمن ليموت فتسقط ورقته .

أليس في ذلك دلالة قطعية على علمهم الحضوري؟ وهل يريد المرء بالإفصاح عن علمهم الحضوري بأجلى من هذا البيان، وأظهر من هذا المفاد؟، وكيف يكونون عليهم السّلام معدناً للعلم، ولا علم يحضر هذا المعدن؟!!.

الطائفة الرابعة : " أنّ الأئمّة عليهم السّلام هم الراسخون في العلم فقط، وأنّ العلم أثبت في صدورهم ".

فقد أثبتت هذه الطائفة رسوخ علوم الأئمّة عليهم السّلام، وأنّ علمهم مقرون بعلم الله تعالى، ومن قرن علمه بعلم الله كيف يمكن أن لا يكون حضورياً؟!، وكيف ترى شأنهم والله يخبر عنه بأنهم الراسخو ن في العلم وأنهم أوتوه وأثبت في صدورهم؟

ولو أمكن وصف علمهم بأعلى وأرفع من الحضوري لكان في هذه الأحاديث المفسّرة لتلك الآيات الكريمة، مجال لذلك الوصف، وإنما نسمّي

علمهم بالحضوري لقصورنا عن إدراك وصف أسمى منه، بل لجهلنا لحقيقة ذلك العلم .

. من هذه الطائفة ما أورده:

(١) . الكليني[١٢٠] بإسناده إلى أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر إبن سويد، عن أيوب بن الحرّ وعمران بن عليّ، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله.

(٢) . وعن عليّ بن محمّد، عن عبد الله بن عليّ، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبد الله بن حمّاد، عن بريد بن معاوية، عن أحدهما عليهما السّلام في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم**﴾ فرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أفضل الراسخين في العلم، قد علّمه الله عزّ وجلّ جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلّمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلّه، والّذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالم فيهم بعلم، فأجابهم الله بقوله : ﴿ **يقولون آمنّا به كلٌّ من عند ربّنا** ﴾والقرآن خاصٌّ وعامٌّ، ومحكمٌ ومتشابه، وناسخٌ ومنسوخٌ، فالراسخون في العلم يعلمونه .

(٣) . وعن الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن محمّد بن أورمة، عن عليّ بن حسّان، عن عبد الرحمان بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمّة من بعده .

(٤) . عن أحمد بن مهران، عن محمّد بن عليّ، عن حمّاد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن أبي بصير قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في هذه

الآية: ﴿ **بل هو آياتٌ بيّنات في صدور الّذين أوتوا العلم**﴾ فأومأ بيده إلى صدره.

(**٥**) . عنه، عن محمّد بن عليّ، عن إبن محبوب، عن عبد العزيز العبديّ، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **بل هو آياتٌ بيّنات في صدور الّذين أوتوا العلم**﴾ قال: هم الأئمّة عليهم السّلام.

(**٦**) . عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن يزيد شعر، عن هارون بن حمزة عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ﴿ **بل هو آيا تٌ بيّنات في صدور الّذين أوتوا العلم**﴾ قال: هم الأئمّة عليهم السّلام خاصّة .

(**٧**) . عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن محمّد بن الفضيل قال : سألته عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **بل هو آياتٌ بينات في صدور الّذين أوتوا العلم**﴾ قال: هم الأئمّة عليهم السلام خاصّة .

الطائفة الخامسة: " أنّ الأئمّة عليهم السّلام ورثة علم النبي والأنبياء جميعاً " .

فقد نطقت هذه الطائفة بأنّ أئمّة أهل البيت عليهم السّلام ورثة علم النبي، وأنّ النبيّ ورث جميع علوم الأنبياء والرّسل وأولي العزم، بمعنى أنّ كلّ ما كان عند ا لأنبياء والرّسل وأولي العزم هو موجود عند النبيّ وعترته الطاهرة لكونهم السّادة على الأنبياء والرّسل ﴿ **وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين** ﴾ ﴿ **وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين**﴾ ﴿ **وأنفسنا وأنفسكم**﴾ فالنبي رحمة لجميع

العالمين ومنهم الأنبياء والرّسل والملائكة، والأئمّة كذلك لكونهم نفس النبي بالفضائل والقرب من الله تعالى، لهم ما للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فلا بدّ أن يكونوا رحمةً للعالمين، وهدىً لكلّ الخلق، يهتدي بهم أصحاب البصائر والقلوب الطاهرة .

من هذه الطائفة[١٢١] ما أورده الكليني . أعلى الله مقامه الشريف .:

(١) . بإسناده إلى عليّ بن إبراهيم عن أبيه، عن عبد العزيز بن المهتدي، عن عبد الله بن جندب أنه كتب إليه الإمام الرّضا عليه السلام: أمّا بعد، فإنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم كان أمين الله في خلقه فلمّا قبض صلّى الله عليه وآله وسلّم كنّا أهل البيت ورثته، فنحن أ مناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا،وأنساب العرب،ومولد الإسلام،وإنا لنعرف الرّجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان،وحقيقة النفاق،وإنّ شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم،أخذ الله علينا وعليهم الميثاق،يردون موردنا ويدخلون مدخلنا،ليس على ملّة الإسلام غيرنا وغيرهم،نحن النجباء النّجاة، ونحن أفراط الأنبياء، ونحن أبناء الأوصياء،ونحن المخصوصون في كتاب الله عزّ وجلّ، ونحن أولى الناس بكتاب الله، ونحن أولى الناس برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ونحن الّذين شرع الله لنا دينه فقال في كتابه : ﴿**شرع لكم** (يا آل محمّد) **من الدّين ما وصّى به نوحاً** (قد وصّانا بما وصّى به نوحاً) **والّذي أوحينا إليك** (يا محمّد) **وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى** (فقد علمنا وبلّغنا علم ما علّمنا واستودعنا علمهم نحن ورثة أولي العزم من الرّسل) **أن أقيموا الدّين** (يا آل محمّد) **ولا تتفرّقوا فيه** (وكونوا على جماعة) **كبر على المشركين** (من

أشرك بولاية الإمام عليّ عليه السلام) **ما تدعوهم إليه** (من ولاية الإمام عليّ عليه السلام) **إنّ الله** (يا محمّد) **يهدي إليه من ينيب** (من يجيبك إلى ولاية الإمام عليّ عليه السلام).

(٢) . بإسناده إلى محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن عبد الرحمان بن كثير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ أوّل وصيّ كان على وجه الأرض هبة الله من آدم وما من نبيّ مضى إلاّ وله وصيّ وكان جميع الأنبياء مائة ألف نبيّ وعشرين ألف نبيّ، منهم خمسةٌ أولي العزم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وإنّ عليّ بن أبي طالب كان هبة الله لمحمّد، وورث علم الأوصياء، وعلم من كان قبله، أما إنّ محمّداً ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين .

على قائمة العرش مكتوب : " حمزة أسد الله وأسد رسوله وسيّد الشه داء، وفي ذؤابة العرش عليٌّ أمير المؤمنين " فهذه حجّتنا على من أنكر حقّنا، وجحد ميراثنا، وما منعنا من الكلام وأمامنا اليقين، فأيّ حجّة تكون أبلغ من هذا .

(٣) . بإسناده إلى أحمد بن إدريس، عن محمّد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن شعيب الحدّاد، عن ضريس الكناسيّ قال: كنت عند الإمام أبي عبد الله عليه السلام وعنده أبو بصير فقال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: إنّ داود ورث علم الأنبياء، وإنّ سليمان ورث داود، وإنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم ورث سليمان، وإنا ورثنا محمّداً وإنّ عندنا صحف إبراهيم وألواح

موسى، فقال أبو بصير : إنّ هذا هو العلم، فقال : يا أبا محمّد ليس هذا هو العلم، إنما العلم ما يحدث بالليل والنهار، يوماً بيوم وساعةً بساعة .

(٤) . بإسناده إلى محمّد بن يحيى، عن محمّد بن عبد الجبار، عن محمّد بن إسماعيل، عن عليّ بن النعمان، عن إبن مسكان، عن أبي بصير، عن الإما م أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا أبا محمّد إنّ الله عزّ وجلّ لم يعط الأنبياء شيئاً إلاّ وقد أعطاه محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال : وقد أعطى محمّداً جميع ما أعطى الأنبياء، وعندنا الصّحف التي قال الله عزّ وجلّ : ﴿**صحف إبراهيم وموسى**﴾ قلت: جعلت فداك هي الألواح، قال: نعم.

(٥) . ما ورد عن محمّد، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سأله عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر** ﴾ ما الزّبور وما الذّكر؟ قال: الذّكر عند الله، والزّبور الّذي أنزل على داود، وكلّ كتاب نزل فهو عند أهل العلم ونحن هم .

فقد أخبرتنا هذه الطائفة بأنّ علم العالم كلّه وصل إليهم، واجتمع عندهم فكلّ ما كان للأنبياء والرّسل وأوصيائهم من علم فهو قد انتهى إليهم وورثوه منهم، وهل بعد هذا العلم الّذي كان عليه ك افّة الرّسل وصار لديهم يبقى مجالٌ لأن يقال بأنّ علمهم ليس بحاضر، بل حضوره تابعٌ للإشاعة، فإذا لم يكن حاضراً لديهم فأيّ شيء ورثوه إذاً؟!.

الطائفة السادسة : " أنّ صفاتهم عليهم السّلام ليس لها شريكٌ ولا نظير " .

وقد دلّت هذه الطائفة الشريفة على أنّ أئمّة آل البيت عليهم السّلام لا يدانيهم أحدٌ من الخلق، وأنهم فوق المستوى البشري ودون الذات الأحديّة، وأنى لنا نحن البشر أن نحيط بأنوارهم المقدّسة، وهل يحيط النهر بالمحيط، وهل تستوعب الذرة المجرّة؟!! هيهات ثمّ هيهات أن يكون كذلك، فمن كان بهذا المستوى من النور والإحاطة يكون علمه كسبياً ولا يكون حضوريّاً؟ ! لا أظنّ عاقلاً يصدّق ذلك!.

. من هذه الطائفة ما أورده الكليني (قدّس سرّه):

(١) بإسناده عن أبي محمّد القاسم، وقد تقدّم[١٢٢] .

(٢) . بإسناده إلى محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن إسحاق بن غالب، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمّة عليهم السّلام وصفاتهم : إنّ الله عزّ وجلّ أوضح بأئمّة الهدى من أهل بيت نبيّنا عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل منهاجه، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه، فمن عرف من أمّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم واجب حقّ إمامه، وجد طعم حلاوة إيمانه، وعلم فضل طلاوة إسلامه، لأنّ الله تبارك وتعالى نصّب الإمام علماً لخلقه، وجعله حجّةً على أهل موادّه وعالمه، وألبسه الله تاج الوقار، وغشّاه من نور الجبّار، يمدّ بسبب إلى السّماء، لا ينقطع عنه موادّه، ولا ينال ما عند الله إلاّ بجهة أسبابه، ولا يقبل الله أعمال العباد إلاّ بمعرفته، فهو عالمٌ بما يرد عليه من

ملتبسات الدّجى،ومعميّات السّنن،ومشبّهات الفتن،فلم يزل الله تبارك وتعالى يختارهم لخلقه من ولد الإمام الحسين عليه السلام من عقب كلّ إمام،يصطفيهم لذلك ويجتبيهم ويرضى بهم لخلقه ويرتضيهم،كلّما مضى منهم إمامٌ نصّب لخلقه من عقبه إماماً، علماً بيّناً، وهادياً نيّراً،وإماماً قيّماً،وحجّةً عالماً،أئمّةٌ من الله،يهدون بالحقّ وبه يعدلون،حجج الله ودعاته ورعاته على خلقه،يدين بهديهم العباد،وتستهلّ بنورهم البلاد،وتنمو ببركتهم التلاد،جعلهم الله حياةً للأنام، ومصابيح للظّلام،ومفاتيح للكلام، ودعائم للإسلام، جرت بذلك فيهم مقادير الله على محتومها .

فالإمام هو المنتجب المرتضى،والهادي المنتجى،والقائم المرتجى، اصطفاه الله بذلك واصطنعه على عينه في الذّرّ حين ذرأه،وفي البريّة حين برأه، ظلاًّ قبل خلق نسمه عن يمين عرشه، محبوّاً بالحكمة في علم الغيب عنده، اختاره بعلمه، وانتجبه لطهره، بقيّةٌ من آدم،وخيرةٌ من ذريّة نوح، ومصطفى من آل إبراهيم، وسلالةٌ من إسماعيل،وصفوةٌ من عترة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يزل مرعيّاً بعين الله، يحفظه ويكلؤه بستره، مطروداً عنه حبائل إبليس وجنوده، مدفوعاً عنه وقوب الغواسق ونفوث كلّ فاسق، مصروفاً عنه قوارف السّوء، مبرّأً من العاهات، محجوباً عن الآفات، معصوماً من الزّلاّت، مصوناً عن الفواحش كلّها، معروفاً بالحلم والبرّ في يفاعه، منسوباً إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه، مسنداً إليه أمر والده، صامتاً عن المنطق في حياته .

فإذا انقضت مدّة والده، إلى أن انتهت به مقادير الله إلى مشيئته، وجاءت الإرادة من الله فيه إلى محبّته، وبلغ منتهى مدّة والده عليه السلام فمضى وصار أمر

الله إليه من بعده،وقلّده دينه،وجعله الحجّة على عباده،وقيّمه في بلاده، وأيده بروحه،وآتاه علمه، وأنبأه فصل بيانه،واستودعه سرّه، وانتدبه لعظيم أمره، وأنبأه فضل بيان علمه، ونصّبه علماً لخلقه،وجعله حجّةً على أهل عالمه، وضياءً لأهل دينه، والقيّم على عباده، رضي الله به إماماً لهم، إستودعه سرّه، واستحفظه علمه،واستخبأه حكمته واسترعاه لدينه وانتدبه لعظيم أمره، وأحيا به مناهج سبيله، وفرائضه وحدوده، فقام بالعدل عند تحيّر أهل الجهل، وتحيير أهل الجدل، بالنّور السّاطع، والشّفاء النّافع، بالحقّ الأبلج، والبيان اللاّئح من كلّ مخرج، على طريق المنهج، الّذي مضى عليه ا لصّادقون من آبائه عليهم السّلام، فليس يجهل حق هذا العا لم إلاّ شقيٌّ، ولا يجحده إلاّ غويٌّ، ولا يصدّ عنه إلاّ جريّ على الله جلّ وعلا[١٢٣] .

(٣) . عن محمد بن خالد الطيالسي عن عليّ بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: دخلت عليه فقلت : جعلت فداك بم يعرف الإمام؟ فقال عليه السلام: بخصال: أما أوّلهن فشيء تقدّم من أبيه فيه وعرّفه الناس ونصبه لهم علماً حتى يكون حجّة عليهم، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نصب عليّاً عليه السلام وعرّفه الناس، وكذلك الأئمّة يعرّفونهم الناس وينصبونهم لهم حتى يعرفوه، ويسأل فيجيب، ويس كت عنه فيبتدئ، ويخبر الناس بما في غد، ويكلّم الناس بكلّ لسان، فقال لي: يا أبا محمّد الساعة قبل أن تقوم أعطيك علامة تطمئنّ إليها .

فوالله ما لبثت أن دخل علينا رجلٌ من أهل خراسان فتكلّم الخراسانيّ بالعربيّة فأجابه هو بالفارسيّة، فقال له الخراسانيّ : أصلحك الله ما منعني أن

أكلّمك بكلامي إلاّ إني ظننت أنك لا تحسن، فقال : سبحان الله إذا كنت لا أحسن أجيبك فما فضلي عليك؟ ثمّ قال : يا أبا محمّد إنّ الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من النّاس ولا طير ولا بهيمة ولا شيء فيه روح،بهذا يعرف الإمام،فإن لم تكن فيه هذه الخصال فليس هو بإمام[124].

(٤) . [عيون أخبار الرضا عليه السلام] تميم القرشي عن أبيه عن أحمد بن علي الأنصاري عن الحسن بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون يوماً وعنده علي بن موسى الرضا عليه السلام وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة فسأله بعضهم فقال له : يا ابن رسول الله بأي شي ء تصح إمامة لمدعيها؟ قال: بالنص والدلائل .

قال له: فدلالة الإمام فيما هي قال: في العلم واستجابة الدعوة قال: فما وجه إخباركم بما يكون؟ قال: ذلك بعهد معهود إلينا من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: فما وجه إخباركم بما في قلوب الناس؟ قال عليه السلام: أما بلغك قول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله قال: بلى، قال: فما من مؤمن إلا وله فراسة ينظر بنور الله على قدر إيمانه ومبلغ استبصاره وعلمه وقد جمع الله للأئمة منا ما فرقه في جميع المؤمنين وقال عز وجل في كتابه:﴿**إنّ في ذلك لآيات للمتوسّمين**﴾.

فأول المتوسمين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثم أمير المؤمنين عليه السلام من بعده ثم الحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين إلى يوم القيامة قال : فنظر إليه المأمون فقال له: يا أبا الحسن زدنا مما جعل الله لكم أهل البيت.

فقال الرضا عليه السلام: إن الله عز وجل قد أيدنا بروح منه مقدسة مطهرة ليست بملك لم تكن مع أحد ممن مضى إلا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهي مع الأئمة منا تسددهم وتوفقهم وهو عمود من نور بيننا وبين الله عز وجل قال له المأمون: يا أبا الحسن بلغني أن قوماً يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحد، فقال له الرضا عليه السلام: حدثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا ترفعوني فوق حقي فإن الله تبارك وتعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً قال الله تبارك وتعالى: ﴿**ما كان لبشر أن يؤتيه اللّه الكتاب والحكم والنّبوّة ثمّ يقول للنّاس كونوا عباداً لي من دون اللّه ولكن كونوا ربّانيّين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتّخذوا الملائكة والنّبيّين أرباباً أيأ مركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون**﴾ وقال علي عليه السلام: يهلك فيّ اثنان ولا ذنب لي محب مفرط ومبغض مفرط.

وإنا لنبرأ إلى الله عز وجل ممن يغلو فينا فيرفعنا فوق حدنا كبراءة عيسى ابن مريم عليه السلام من النصارى قال الله عز وجل: ﴿ **وإذ قال اللّه يا عيسى إبن مريم أأنت قلت للنّاس اتّخذوني وأمّي إلهين من دون اللّه قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحقّ إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا اللّه ربّي وربّكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت**

فيهم فلمّا توفّيتني لكنت أنت الرّقيب عليهم وأنت على كلّ شيء شهيدٌ﴾ وقال عز وجل: ﴿ **لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً للّه ولا الملائكة المقرّبون** ﴾ وقال عز وجل :﴿ **ما المسيح إبن مريم إلاّ رسولٌ قد خلت من قبله الرّسل وأمّه صدّيقةٌ كانا يأكلان الطّعام** ﴾ ومعناه أنهما كانا يتغوطان فمن ادّ عى للأنبياء ربوبية أو ادعى للأئمة ربوبية أو نبوة أو لغير الأئمة إمامة فنحن منه براء في الدنيا والآخرة .

فقال المأمون : يا أبا الحسن فما تقول في الرجعة فقال الرضا عليه السلام: أنها الحق وقد كانت في الأمم السالفة ونطق بها القرآن وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وقال عليه السلام : إذا خرج المهدي من ولدي نزل عيسى إبن مريم عليه السلام فصلى خلفه وقال : بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريبا فطوبى للغرباء قيل يا رسول الله ثم يكون ماذا؟، قال : ثم يرجع الحق إلى أه له .

فقال المأمون: يا أبا الحسن فما تقول في القائلين بالتناسخ فقال الرضا عليه السلام: من قال بالتناسخ فهو كافر بالله العظيم يكذب بالجنة والنار فقال المأمون: فما تقول في المسوخ؟ قال الرضا عليه السلام: أولئك قوم غضب الله عليهم فمسخهم فعاشوا ثلاثة أيام ثم ماتوا ولم يتناسلوا فما يوجد في الدنيا من القردة والخنازير وغير ذلك مما أوقع عليه اسم المسوخية فهي مثلها لا يحل أكلها والانتفاع بها قال المأمون : لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن والله ما يوجد العلم الصحيح إلا عند أهل هذا البيت وإليك انتهى علوم آبائك فجزاك الله

عن الإسلام وأه له خيراً قال الحسن بن جهم : فلما قام الرضا (عليه السلام) تبعته فانصرف إلى منزله فدخلت عليه وقلت له : يا ابن رسول الله الحمد لله الذي وهب لك من جميل رأي أمير المؤمنين ما حمله على ما أرى من إكرامه لك وقبوله لقولك فقال (عليه السلام): يا ابن الجهم لا يغرنك ما ألفيته عليه من إكرامي والاستماع مني فإنه سيقتلني بالسم وهو ظالم لي أعرف ذلك بعهد معهود إلي من آبائي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فاكتم هذا عليَّ ما دمت حيا قال الحسن بن الجهم : فما حدثت أحدا بهذا الحديث إلى أن مضى الرضا (عليه السلام) بطوس مقتولا بالسم ودفن في دار حميد بن قحطبة الطائي في القبة التي فيها قبر هارون إلى جانبه [١٢٥]. **(٥)** . [الخصال] أبي عن محمّد العطّار عن الأشعري عن محمّد بن الوليد عن حمّاد بن عثمان عن الحارث بن المغيرة النّضري قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): بما يعُرف صاحب هذا الأمر؟ قال: بالسّكينة والوقار والعلم والوصية[١٢٦].

(٦) . [الخصال] أبي عن أحمد بن إدريس عن إبن عيسى عن محمد بن سنان عن أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قلت له: جعلت فداك إذا مضى عالمكم أهل البيت فبأي شي ء يعرفون من يجي ء بعده؟ قال : بالهدى والإطراق وإقرار آل محمد له بالفضل ولا يسأل عن شيء مما بين صدفيها إلاّ أجاب فيه[١٢٧].

(٧) . ير، [بصائر الدرجات] عمران بن موسى عن محمّد بن الحسين عن عبيس بن هشام عن الحسين بن يونس عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إذا أراد الله أن يخلق إماماً أخذ الله بيده شربة من تحت عرشه فدفعه إلى ملك من

ملائكته فأوصلها إلى الإمام فكان الإمام من بعده منها فإذا مضت عليه أربعون يوما سمع الصّوت وهو في بطن أمه فإذا ولد أوتي الحكمة وكتب على عضده الأيمن ﴿**وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلًا لا مبدّل لكلماته وهو السّميع العليم**﴾ فإذا كان الأمر يصل إليه أعانه الله بثلاثمائة وثلاثة عشر ملكاً بعدد أهل بدر وكانوا معه ومعهم سبعون رجلاً واثنا عشر نقيباً فأما السبعون فيبعثهم إلى الآفاق يدعون النّاس إلى ما دعوا إليه أولا ويجعل الله له في كل موضع مصباحاً يبصر به أعمالهم(١٢٨) .

(٨) . ل، [الخصال] العجلي عن إبن زكريا القطان عن إبن حبيب عن إبن بهلول عن أبي معاوية عن سليمان بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: عشر خصال من صفات الإمام العصمة والنّصوص وأن يكون أعلم النّاس وأتقاهم لله وأعلمهم بكتاب الله وأن يكون صاحب الوصيّة الظّاهرة ويكون له المعجز والدّليل وتنام عينه ولا ينام قلبه ولا يكون له في ء ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه .

(٩) . [معاني الأخبار] إبراهيم بن هارون العبسي عن إبن عقدة عن جعفر بن عبد الله عن كثير بن عياش عن أبي الجارود قال : سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام بم يعرف الإمام قال : بخصال أوّلها نصٌّ من الله تبارك وتعالى عليه ونصبه علما للناس حتى يكون عليهم حجةً لأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نصب عليّاً وعرفه النّاس باسمه وعينه وكذلك الأئمة عليهم السّلام ينصب الأول الثاني وأن يسأل فيجيب وأن يسكت عنه فيبتدئ ويخبر الناس بما يكون في غد ويكلم الناس بكل لسان ولغة.

(١٠) . ير، [بصائر الدرجات] محمّد بن الحسين عن أبي داو د المسترق عن عيسى الفرّاء عن مالك الجهني قال : كنت بين يدي أبي عبد الله ﵇ فوضعت يدي على خدّيَّ وقلت لقد عصمك الله وشرّفك فقال : يا مالك الأمر أعظم مما تذهب إليه.

(١١) . ير، [بصائر الدرجات] محمّد بن عيسى ويعقوب بن يزيد وغيرهما عن إبن محبوب عن إسحاق بن غال ب عن أبي عبد الله ﵇ قال: مضى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وخلّف في أمته كتاب الله ووصيه علي بن أبي طالب ﵇ أمير المؤمنين وإمام المتقين وحبل الله المتين وعروته الوثقى التي لا انفصام لها وعهده المؤكد صاحبان مؤتلفان يشهد كل واحد لصاحبه بتصديقٍ ينطق الإم ام عن الله عز وجل في الكتاب بما أوجب الله فيه على العباد من طاعة الله وطاعة الإمام وولايته وأوجب حقّه الذي أراه الله عزّ وجل من استكمال دينه وإظهار أمره والاحتجاج بحجته والاستضاءة بنوره في معادن أهل صفوته ومصطفى أهل خيرته فأوضح الله بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا عن دينه وأبلج بهم عن سبيل مناهجه وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه فمن عرف من أمّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وأوجب حقَّ إمامه وجد طَعْمَ حلاوة إيمانه وعلم فضل طلاوة إسلامه لأن الله نصّب الإمام علما لخلقه وجعله حجّةً على أهل عالمه ألبسه الله تاج الوقار وغشّاه من نور الجبار يمد بسبب إلى السّماء لا ينقطع عنه مواده ولا ينال ما عند الله تبارك وتعالى إلا بجهة أسباب سبيله ولا يقبل الله أعمال العباد إلا بمعرفته فهو عا لم بما يرد عليه من ملتبسات الوحي ومعميات السّنن ومشتبهات الفتن ولم يكن الله

ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبيّن لهم ما يتّقون وتكون الحجة من الله على العباد بالغة.

(١٢) . ير، [بصائر الدرجات] سلمة بن الخطاب عن سليمان بن سماعة الحذاء وعبد الله بن محمد جميعاً عن عبد الله بن القاسم عن أبي الجارود قال : قال أبو جعفر عليه السلام: الإمام منّا ينظر من خلفه كما ينظر من قدامه.

(١٣) . ير، [بصائر الدرجات] أحمد بن موسى عن الحسن بن علي الخشّاب عن علي بن حسان عن عبد الرّحمن بن كثير قال : قال أبو جعفر عليه السلام يوما ونحن عنده جماعة من الشّيعة : قوموا تفرقوا عني مثنى وثلاث فإني أراكم من خلفي كما أراكم من بين يدي فليسرّ عبد في نفسه ما شاء فإن الله يعرفنيه.

(١٤) . شي، [تفسير العياشي] عن أبي عمرو الزّبيري عن أبي عبد الله عليه السلام أن مما استحقّت به الإمامة التّطهير والطّهارة من الذّنوب والمعاصي الموبقة التي توجب النّار ثم العلم المنور بجميع ما يحتاج إليه الأمّة من حلالها وحرامها والعلم بكتابها خاصه وعامه والمحكم والمتشابه ودقائق علمه وغرائب تأويله وناسخه ومنسوخه قلت وما الحجة بأن الإمام لا يكون إلا عالماً بهذه الأشياء التي ذكرت قال : قول الله فيمن أذن الله لهم في الحكومة وجعلهم أهلها﴿ **إنّا أنزلنا التّوراة فيها هدىً ونورٌ يحكم بها ا لنّبيّون الّذين أسلموا للّذين هادوا والرّبّانيّون والأحبار** ﴾ فهذه الأئمة دون الأنبياء الذين يربون الناس بعلمهم وأما الأحبار فهم العلماء دون الربانيين ثم أخبر فقال : ﴿ **بما استحفظوا من كتاب اللّه وكانوا عليه شهداء** ﴾ ولم يقل بما حملوا منه .

(١٥) . ني، [الغيبة للنعماني] الكليني عن محمد بن يحيى عن إبن عيسى عن إسحاق بن غالب عن أبي عبد الله عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمة عليهم السلام وصفاتهم فقال: إن الله تبارك وتعالى أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبيه صلّى الله عليه وآله وسلّم عن دينه وأبلج بهم عن سبيل منهاجه وفتح لهم عن باطن ينابيع علمه فمن عرف من أمة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم واجب حق إمامه وجد طعم حلاوة إيمانه وعلم فضل طلاوة إسلامه إن الله نصب الإمام علماً لخلقه وجعله حجةً على أهل طاعته ألبسه الله تاج الوقار وغشاه من نور الجبار يمد بسبب من السماء لا ينقطع عنه مواده ولا ينال ما عند الله إلا بجهة أسبابه ولا يقبل الله الأعمال للعباد إلا بمعرفته فهو عالم بما يرد عليه من مشكلات الوحي ومعميات السنن ومشتبهات الدّين لم يزل الله يختارهم لخلقه من ولد الحسين صلوات الله عليه من عقب كل إمام فيصطفيهم لذلك ويجتبيهم ويرضى بهم لخ لقه ويرتضيهم لنفسه كلما مضى منهم إمام نصب عز وجل لخلقه من عقبه إماماً علماً بيناً وهادياً منيراً وإماماً قيماً وحجةً عالماً أئمةً من الله يهدون بالحقّ وبه يعدلون حجج الله ودعاته ورعاته على خلقه يدين بهداهم العباد وتستهل بنورهم البلاد وتنمى ببركتهم التّلاد وجعلهم الله حياة الأنام ومصابيح الظّلام ودعائم الإسلام جرت بذلك فيهم مقادير الله على محتومها فالإمام هو المنتجب المرتضى والهادي المجتبى والقائم المرتجى اصطفاه الله لذلك واصطنعه على عينه في الذّر حين ذرأه وفي البريّة حين برأه ظلاً قبل خلقه نسمةً عن يمين ع رشه محبواً بالحكمة في علم الغيب عنده اختاره بعلمه وانتجبه بتطهيره بقية من آدم

وخيرة من ذرية نوح ومصطفى من آل إبراهيم وسلالةً من إسماعيل وصفوة من عترة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يزل مرعياً بعين الله ويكلاه بسرّه مدفوعاً عنه وقوب الغواسق ونفوث كل فاسق مصروفاً عنه قواذف السوء مبرّأً من العاهات محجوباً عن الآفات مصونا من الفواحش كلها معروفاً بالحلم والبر في بقاعه منسوباً إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه مسنداً إليه أمر والده صامتا عن المنطق في حياته فإذا انقضت مدة والده انتهت به مقادير الله إلى مشيته وجاءت الإرادة من عند الله فيه إلى محبته وبلغ منتهى مدة والده فمضى وصار أمر الله إليه من بعده وقلّده الله دينه وجعله الحجّة على عباده وقيّمه في بلاده وأيّده بروحه وأعطاه علمه واستودعه سرّه وانتدبه لعظيم أمره وآتاه فضل بيان علمه ونصّبه علماً لخلقه وجعله حجّ ة على أهل عالمه وضياء لأهل دينه والقيّم على عباده رضي الله به إماماً لهم استحفظه علمه واستخبأه حكمته واسترعاه لدينه وحباه مناهج سبله وفرائضه وحدوده فقام بالعدل عند تحير أهل الجهل وتحيير أهل الجّدل بالنور السّاطع والشّفاء النّافع بالحقّ الأبلج والبيان من كل مخرج على طريق المنهج الذي مضى عليه الصادقون من آبائه فليس يجهل حق هذا العا لم إلا شقي ولا يجحده إلا غوي ولا يصدّ عنه إلا جريء على الله جل وعلا.

(١٦) . كا، [الكافي] محمّد بن يحيى عن محمد بن إسماعيل عن علي بن الحكم عن معاوية بن وهب قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ما علامة الإمام الذي بعد الإمام فقال: طهارة الولادة وحسن المنشأ ولا يلهو ولا يلعب.

(١٧) . كا، [الكافي] علي بن محمّد عن بعض أصحابنا عن إبن أبي عمير عن حريز عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: للإمام عشر علامات يولد مطهراً مختوناً وإذا وقع على الأرض وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشّهادتين ولا يجنب وتنام عينه ولا ينام قلبه ولا يتثاءب ولا يتمطى ويرى من خلفه كما يرى من أمامه ونجوه كرائحة المسك والأرض موكلة بستره وابتلاعه وإذا لبس درع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كانت عليه وفقاً وإذا لبسه غيره من النّاس طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبراً وهو محدَّث إلى أن تنقضي أيامه .

(١٨) . البرسي في مشارق الأنوار عن طارق بن شهاب عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : يا طارق، الإمام كلمة الله وحجّة الله ووجه الله ونور الله وحجاب الله وآية الله يختاره الله ويجعل فيه ما يشاء ويوجب له بذلك الطّاعة والولاية على جميع خلقه فهو وليّه في سماواته وأرضه أخذ له بذلك العهد على جميع عباده فمن تقدم عليه كفر بالله من فوق عرشه فهو يفعل ما يشاء وإذا شاء الله شاء .

ويكتب على عضده: ﴿**وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً** ﴾ فهو الصدق والعدل وينصب له عمود من نور من الأرض إلى السّماء يرى فيه أعمال العباد ويلبس الهيبة وعلم الضمير ويطّلع على الغيب ويرى ما بين المشرق والمغرب فلا يخفى عليه شيء من عالم الملك والملكوت ويعطى منطق الطير عند ولايته فهذا الذي يختاره الله لوحيه ويرتضيه لغيبه ويؤيّده بكلمته ويلقنه حكمته ويجعل قلبه مكان ميته وينادي له بالسلطنة ويذعن له بالإمرة ويحكم

له بالطّاعة وذلك لأن الإمامة ميراث الأنبياء ومنزلة الأصفياء وخلافة الله وخلافة رسل الله فهي عصمة وولاية وسلطنة وهداية وإنه تمام الدّين ورجح الموازين.

الإمام دليل للقاصدين ومنار للمهتدين وس بيل السالكين وشمس مشرقة في قلوب العارفين ولايته سبب للنجاة وطاعته مفترضة في الحياة وعدة بعد الممات وعزّ المؤمنين وشفاعة المذنبين ونجاة المحبين وفوز التابعين لأنها رأس الإسلام وكمال الإيمان ومعرفة الحدود والأحكام وتبيين الحلال من الحرام فهي مرتبة لا ينالها إلا من اختاره الله وقدّمه وولاه وحكمه.

فالولاية هي حفظ الثغور وتدبير الأمور وتعديد الأيام والشهور الإمام الماء العذب على الظمأ والدّال على الهدى الإمام المطهّر من الذّنوب المطّلع على الغيوب الإمام هو الشّمس الطّالعة على العباد بالأنوار فلا تناله الأيد ي والأبصار وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿**فللّه العزّة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾ والمؤمنون علي وعترته فالعزّة للنبي وللعترة والنبي والعترة لا يفترقان في العزّة إلى آخر الدّهر فهم رأس دائرة الإيمان وقطب الوجود وسماء الجود وشرف الموجود وضوء شمس الشّرف ونور قمره وأصل العزّ والمجد ومبدؤه ومعناه ومبناه فالإمام هو السّراج الوهّاج والسّبيل والمنهاج والماء الثجاج والبحر العجاج والبدر المشرق والغدير المغدق والمنهج الواضح المسالك والدّليل إذا عمت المهالك والسّحاب الهاطل والغيث الهامل والبدر الكامل والدّليل الفاضل والسّماء الظلّيلة والنّعمة الجليلة والبحر الذي لا ينزف والشرف الذي لا يوصف والعين الغزيرة والروضة المطيرة والزهر الأريج والبدر البهيج والنير اللائح والطيب

الفائح والعمل الصالح والمتجر الرابح والمنهج الواضح والطيب الرفيق والأب الشفيق.

مفزع العباد في الدّواهي والحاك م والآمر والناهي ،مهيمن الله على الخلائق وأمينه على الحقائق حجّة الله على عباده ومحجته في أرضه وبلاده، مطّهر من الذنوب، مبرأ من العيوب، مطلع على الغيوب، ظاهره أمر لا يملك، وباطنه غيب لا يدرك، واحد دهره وخليفة الله في نهيه وأمره .

لا يوجد له مثيل ولا يقوم له بديل فمن ذا ينال معرفتنا أو يعرف درجتنا أو يشهد كرامتنا أو يدرك منزلتنا ؟حارت الألباب والعقول وتاهت الأفهام فيما أقول تصاغرت العظماء وتقاصرت العلماء وكلت الشعراء وخرست البلغاء ولكنت الخطباء وعجزت الفصحاء وتواضعت الأرض والسّماء عن وصف شأن الأولياء.

وهل يعرف أو يوصف أو يعلم أو يفهم أو يدرك أو يملك من هو شعاع جلال الكبرياء وشرف الأرض والسماء؟ جلّ مقام آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم عن وصف الواصفين ونعت الناعتين وأن يقاس بهم أحد من العالمين، كيف وهم الكلمة العلياء والتسمية البيضاء والوحدانية الكبر ى التي أعرض عنها من أدبر وتولّى، وحجاب الله الأعظم الأعلى.

فأين الاختيار من هذا وأين العقول من هذا ومن ذا عرف أو وصف من وصفت ظنّوا أن ذلك في غير آل محمد كذبوا وزلّت أقدامهم اتخذوا العجل ربّاً والشياطين حزبا كل ذلك بغضة لبيت الصفوة ودار العصمة وحسداً لمعدن الرّسالة والحكمة وزيّن لهم الشّيطان أعمالهم، فتبّاً لهم وسحقاً كيف اختاروا

إماماً جاهلاً عابداً للأصنام جباناً يوم الزحام والإمام يجب أن يكون عالماً لا يجهل وشجاعاً لا ينكل لا يعلو عليه حسب ولا يدانيه نسب فهو في الذّروة من قريش والشّرف من هاشم والبقيّ ة من إبراهيم والنّهج من النبع الكريم والنّفس من الرّسول والرّضى من الله والقول عن الله.

فهو شرف الأشراف والفرع من عبد مناف،عالم بالسياسة،قائمٌ بالرئاسة مفترض الطّاعة إلى يوم السّاعة أودع الله قلبه سره وأطلق به لسانه فهو معصومٌ، موفق ليس بجبان ولا جاه ل فتركوه يا طارق واتّبعوا أهواءهم ومن أضلّ ممّن اتّبع هواه بغير هدىً من اللّه والإمام يا طارق بشرٌ ملكي وجسدٌ سماوي وأمر إلهي وروح قدسي ومقام علي ونور جلي وسر خفي فهو ملك الذّات إلهي الصّفات زائد الحسنات عالم بالمغيبات خصاً من رب العالمين ونصّاً من الصّادق الأمين وهذا كله لآل محمد لا يشاركهم فيه مشارك لأنهم معدن التنزيل ومعنى التأويل وخاصة الربّ الجليل ومهبط الأمين جبرائيل صفوة الله وسرّه وكلمته شجرة النّبوة ،ومعدن الصّفوة، عين المقالة، ومنتهى الدلالة، ومحكم الرسالة، ونور الجلالة، جنب الله ووديعته ،وموضع ك لمة الله ومفتاح حكمته، ومصابيح رحمة الله وينابيع نعمته السبيل إلى الله والسلسبيل والقسطاس المستقيم والمنهاج القويم والذّكر الحكيم والوجه الكريم والنّور القديم أهل التّشريف والتقويم والتّقديم والتّعظيم والتّفضيل خلفاء النبيّ الكريم وأبناء الرؤوف الرّحيم وأمناء العليّ العظيم، ذرّيّةً بعضها من بعض واللّه سميعٌ عليمٌ.

السّنام الأعظم والطّريق الأقوم،من عرفهم وأخذ عنهم فهو منهم وإليه الإشارة بقوله ﴿**فمن تبعني فإنّه منّي** ﴾ خلقهم الله من نور عظمته وولاّهم

أمر مملكته فهم سرّ الله المخزون وأولياؤه المقرّبون وأمره بين الكاف والنّون إلى الله يدعون وعنه يقولون وبأمره يعملون علم الأنبياء في علمهم وسرّ الأوصياء في سرّهم وعز الأولياء في عزّهم كالقطرة في البحر والذرّة في القفر والسّماوات والأرض عند الإمام كيده من راحته يعرف ظاهرها من باطنها ويعلم برّها من فاجرها ورطبها ويابسها لأن الله علم نبيه علم ما كان وما يكون وورث ذلك السّر المصون الأوصياء المنتجبون ومن أنكر ذلك فهو شقيٌّ ملعون يلعنه الله ويلعنه اللاّعنون وكيف يفرض الله على عباده طاعة من يحجب عنه ملكوت السّماوات والأرض وإنّ الكلمة من آل محمّد تنصرف إلى سبعين وجهاً وكلّ ما في الذّكر الحكيم والكتاب الكريم والكلام القديم من آية تذكر فيها العين والوجه واليد والجنب فالمراد منها الولي لأنه جنب الله ووجه الله يعني حق الله وعلم الله وعين الله ويد الله فهم الجنب العلي والوجه الرضي والمنهل الروي والصّراط السّوي والوسيلة إلى الله والوصلة إلى عفوه ورضاه سر الواحد والأحد فلا يقاس بهم من الخلق أحد فهم خاصة الله وخالصته وسّر الدّيان وكلمته، وباب الإيمان وكعبته وحجة الله ومحجته وأعلام الهدى ورايته، وفضل الله ورحمته، وعين اليقين وحقيقته ،وصراط الحقّ وعصمته ومبدأ الوجود وغايته، وقدرة الرب ومشيّته وأمّ الكتاب وخاتمته وفصل الخطاب ودلالته وخزنة الوحي وحفظته وآية الذكر وتراجمته ومعدن التنزيل ونهايته فهم الكواكب العلوية والأنوار العلوية المشرقة من شمس العصمة الفاطمية في سماء العظمة المحمدية والأغصان النبوية النابتة في دوحة الأحمدية والأسرار الإلهية

المودعة في الهياكل البشرية، والذرية الزكية، والعترة الهاشمية الهادية المهدية أولئك هم خير البريّة.

فهم الأئمة الطّاهرون والعترة المعصومون والذرية الأكرمون والخلفاء الراشدون والكبراء الصدّيقون والأوصياء المنتجبون والأسباط المرضيون والهداة المهديّون والغرّ الميامين من آل طه وياسين، وحجج الله على الأولين والآخرين.

اسمهم مكتوب على الأحجار وعلى أوراق الأشجار وعلى أجنحة الأطيار وعلى أبواب الجنة والنّار وعلى العرش والأفلاك وعلى أجنحة الأملاك وعلى حجب الجلال وسرادقات العز والجمال وباسمهم تسبح الأ طيار وتستغفر لشيعتهم الحيتان في لجج البحار وإن الله لم يخلق أحداً إلا وأخذ عليه الإقرار بالوحدانية والولاية للذّريّة الزكية والبراءة من أعدائهم وإنّ العرش لم يستقر حتى كتب عليه بالنّور لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله [(١٢٩)].

الطائفة السابعة: " أنهم عليهم السّلام يعلمون جميع لغات أهل الأرض وجميع ما خلق الله ومنطق الطير والبهائم ":

فقد دلّت هذه الطّائفة المباركة على عظم علوم آل محمّد عليهم السّلام وأنه لا يخفى عليهم أمر هذا الخلق، حتى انقلاب جناح الطّائر في الهواء فإنّ لديهم العلم به، أوليس هذا صريحاً في شمول علمهم حتى الجزئي من الحوادث ووقوفهم على كلّ ما يقع ويكون، وأنه فوق ما وقع وكان؟!!.

من هذه الطائفة الشريفة ما أورده الصّفّار وأمثاله:

(١) . ما رواه في صحيحة البزنطي أحمد بن محمد عن أبي عبد الله البرقي عن جعفر بن محمد الصوفي قال : سألت أبا جعفر عليه السلام محمد بن علي الرضا عليه السلام وقلت له: يا ابن رسول الله لم سمّي النبي الأمّي؟ قال : ما يقول الناس؟ قال: قلت له : جعلت فداك يزعمون أنما سّمي النبي الأمي لأنه لم يكتب فقال: كذبوا عليهم لعنة الله أنى يكون ذلك والله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه:﴿ **هو الّذي بعث في الأمّيّين رسولًا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة** ﴾ فكيف كان يعلّمهم ما لا يحسن والله لقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقرأ ويكتب باثنين وسبعين [أو قال] بثلاثة وسبعين لساناً وإنما سمّي الأمي لأنه كان من أهل مكة ومكة من أمهات القرى وذلك قول الله تعالى في كتابه ﴿**لتنذر أمّ القرى ومن حولها**﴾(١٣٠).

(٢) . حدّثنا عبد الله بن عامر عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن يحيى بن عمر عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سُئل عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به و من بلغ** ﴾ قال بكل لسان(١٣١).

(٣) . حدّثنا عبد الله بن محمد عن الحسن بن موسى الخشاب عن علي بن أسباط أو غيره قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن الناس يزعمون أن رسول الله لم يكن يكتب ولا يقرأ فقال : كذبوا لعنهم الله أنى ذلك وقد قال الله : ﴿**هو الّذي بعث في الأمّيّين رسولًا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم**

الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين ﴾ فيكون [الأصح فكيف] أن يعلمهم الكتاب والحكمة وليس يُحسن أن يقرأ ويكتب؟ قال : قلت: فلم سمّي النبي أميا قال : نُسب إلى مكة وذلك قول الله عز وجل : ﴿**ولتنذر أمّ القرى ومن حولها**﴾ فأم القرى مكّة فقيل أميّ لذلك (١٣٢).

(**٤**) . وفي موثّقة الحسن بن علي عن أحمد بن هلال عن خلف بن حماد عن عبد الرحمن بن الحجاج قال : قال أبو عبد الله عليه السلام: إن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يقرأ ويكتب ويقرأ ما لم يكتب(١٣٣).

(**٥**) . حدّثنا محمد بن إسماعيل عن محمد بن عمرو الزيات عن عبد الله بن الوليد قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أي شيء يقول الشيعة في عيسى وموسى وأمير المؤمنين عليه السلام قلت يقولون إن عيسى وموسى أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام قال: فقال: أيزعمون أن أمير المؤمنين عليه السلام قد علم ما علم رسول الله قلت نعم ولكن لا يقدّمون على أولي العزم من الرسل أحدا قال : أبو عبد الله عليه السلام فخاصمهم بكتاب الله قال : قلت: وفي أي موضع منه أخاصمهم قال قال الله تعالى لموسى ﴿**وكتبنا له في الألواح من كلّ شيء**﴾ علماً إنه لم يكتب لموسى كل شيء وقال الله تبارك وتعالى لعيسى : ﴿**ولأبيّن لكم بعض الّذي تختلفون فيه** ﴾ وقال الله تعالى لمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم : ﴿**وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء**﴾(١٣٤).

(**٦**) . حدثنا محمد بن عيسى بن عبيد عن محمد بن عمر عن عبد الله بن وليد السمان قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا عبد الله ما تقول الشيعة في

علي عليه السلام وموسى وعيسى؟ قال : قلت: جعلت فداك ومن أي حالات تسألني؟ قال: أسألك عن العلم فأما الفضل فهم سواء قال : قلت: جعلت فداك فما عسى أقول فيهم ،فقال :هو والله أعلم منهما ثم قال : يا عبد الله أليس يقولون إن لعلي عليه السلام ما للرسول من العلم؟ قال : قلت: بلى قال: فخاصمهم فيه قال إن الله تبارك وتعالى قال لموسى : **وكتبنا له في الألواح من كلّ شي ء**﴾ فأعلمنا أنه لم يبّين له الأمر كله وقال الله تباركو تعالى لمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم : **وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء**﴾(١٣٥).

(٧) . عن الصّدوق في عيون الأخبار بإسناده إلى الإمام الرّضا عليه السلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : " ما ينقلب جناحُ طائرٍ في الهواء إلاّ وعندنا فيه علم " (١٣٦).

(٨) . حدثنا أحمد بن محمد حدثني الحسين بن سعيد والبرقي عن النّضر بن سويد عن يحيى الحلبي عن محمد بن علي الحلبي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لما أتى بعلي بن الحسين عليه السلام يزيد بن معاوية عليهما لعائن الله ومن معه جعلوه في بيت، فقال بعضهم : إنما جعلنا في هذا البيت ليقع علينا فيقتلنا فراطن الحرس فقالوا : انظروا إلى هؤلاء يخافون أن يقع عليهم البيت وإنما يخرج ون غدا فيقتلون، قال : علي بن الحسين عليه السلام: لم يكن فينا أحد يحسن الرطانة غيري والرطانة عند أهل المدينة الرومية(١٣٧).

(٩) . حدثنا أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد عن يحيى الحلبي عن أخي مليح قال : حدثني فرقد قال: كنت عند أبي عبد الله

عليه السلام وقد بعث غلاماً أعجمياً فرجع إليه فجعل يغير الرسالة فلا يخبرنا حتى ظننت أنه سيغضب فقال له: تكلم بأي لسان شئت فإني أفهم عنك[١٣٨].

(١٠) . حدّثنا موسى بن عمر عن الميثمي عن سماعة عن شيخ من أصحابنا عن أبي جعفر عليه السلام قال: جئنا نريد الدخول عليه فلما صرنا بالدّهليز سمعنا قراءة بالسّريانية بصوت حسن يقرأ ويبكي حتى أبكى بعضنا[١٣٩].

(١١) . حدثنا يعقوب بن يزيد عن الحسن بن علي بن الوشاء عمن رواه عن الميثمي عن منصور عن الثّمالي قال: كنت مع علي بن الحسين عليه السلام في داره وفيها عصافير وهن يصحن فقال لي: أتدري ما يقلن هؤلاء؟ قلت: لا أدري قال: يسبحن ربّهن ويطلبن رزقهن[١٤٠].

(١٢) . حدثنا أحمد بن محمد عن أحمد بن يوسف عن داود الحداد عن فضيل بن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت عنده إذ نظرت إلى زوج حمام عنده فهدر الذّكر على الأنثى فقال لي: أ تدري ما يقول؟ قلت: لا قال: يقول: يا سكني وعُرسي ما خلقٌ أحب إليّ منك إلاّ أن يكون مولاي جعفر بن محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم[١٤١].

(١٣) . حدثنا أحمد بن محمد عن محمد بن الحسين عن محمد بن علي عن علي بن محمد الحناط عن عاصم عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: كنت عنده يوماً إذ وقع عليه زوج ورشان فهدرا فرد عليهما أبو جعفر كلاهما ساعة ثم نهضا فلما صارا على الحائط هدد [الأصح هدل] الذّكر على الأنثى ساعة ثم نهضا فقلت جعلت فداك ما حال الطير؟ فقال: يا ابن

مسلم كل شي ء خلقه الله من طين أو بهيمة أو شي ء فيه روح هو أسمع لنا وأطوع من إبن آدم إن هذا الورشان أساءه ظنّ السّوء[ظنّ بأنثاه ظنّ السّوء] فحلفت له ما فعلت، فقالت : ترضى بمحمد بن علي؟ فرضيا بي وأخبرته أنه لها ظالم فصدقها (١٤٢) .

(١٤) . حدّثنا محمّد بن عبد الجبار عن الحسن بن الحسين اللؤلؤي عن أحمد بن الحسن الميثمي عن صالح عن أبي حمزة قال : كنت عند علي بن الحسين وعصافير على ا لحائط قبالته يصِحْن فقال : يا أبا حمزة أتدري ما يقلن؟ قال: يتحدّثن إن لهن وقت يسألن فيه قوتهنّ يا أبا حمزة لا تنامنّ قبل طلوع الشمس فإنيّ أكرهها لك إن الله يقسّم في ذلك الوقت أرزاق العباد وعلى أيدينا يجريها(١٤٣) .

(١٥) . حدّثنا عبد الله بن محمد عمن رواه ع ن محمد بن عبد الكريم عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أبان بن عثمان عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لابن عباس إن الله علمنا منطق الطير كما علمه سليمان بن داود ومنطق كل دابة في بر أو بحر(١٤٤).

(١٦) . عن عليّ بن إسماعيل عن محمّد بن عمرو الز يّات عن أبيه الفيض بن المختار قال سمعت الإمام أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ سليمان بن داود قال علّمنا منطق الطير وأوتينا من كلّ شيء وقد علّمنا منطق الطير وأوتينا من كلّ شيء وقد والله علّمنا منطق الطير وعلم كلّ شيء (١٤٥).

(١٧) . قال: حدّثنا الحجّال عن الحسن بن الحسين اللؤلؤي عن إبن سنان عن أبي الجارود عن عليّ بن ثابت عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال بينما

نحن قعود مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ أقبل بعير حتى برك ورغا وتسافلت دموعه على عينيه فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : لمن هذا البعير فقيل: لفلان الأنصاري قال: عليّ به قال: فأتى به فقال له: بعيرك هذا يشكوك قال: ويقول ماذا يا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟، قال: تزعم أنك تستكدّه وتجوّعه قال: صدق يا رسول الله ليس لنا ناضح غير هو ،أنا رجل معيل قال : فهو يقول لك إستكدّني وأشبعني فقال : يا رسول الله نخفّف عنه ونشبعه فقال: فقام البعير فانصرف[١٤٦].

فلمّا كانوا عليهم السّلام بهذا المستوى من العلم بكلّ شيء، دلّ ذلك على علمهم الحضوري قطعاً وإلاّ كان خلاف علمهم بكلّ شيء .

الطائفة الثامنة : "أنهم عليهم السّلام الشهداء على الناس والخلق أجمعين..." .

فقد دلّت هذه الطّائفة الجليلة على أنّ النبي والعترة الطاهرة الشهداء على الناس بل على الخلق أجمعين في أرضه وسمائه وملكوته بل ما فوق الملكوت والعرش، أترى يكون أحد شهيداً على أحد، وهو لا يعلم ما فعل، ويخبر عمّا كان عليه وهو لا يدري ما عمل؟!.

من هذه الطائفة الشريفة ما أورده كلٌّ من الكليني والصفّار رضي الله عنهما:

(**١**) . الكليني بإسناده إلى الحسين بن محمّد، عن معلّى عن محمّد، عن الحسن بن عليّ الوشّاء، عن أحمد بن عائذ، عن عمر بن أذينة، عن بريد العجليّ قال : سألت الإمام أبا عبد الله عليه السلام، عن قول الله عزّ وجلّ :

﴿**وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس**﴾ قال: نحن الأمّة الوسط ونحن شهداء الله تبارك وتعالى على خلقه وحججه في أرضه، قلت قوله تعالى :﴿**يا أيّها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربّكم وافعلوا الخير لعلّكم تفلحون، وجاهدوا في الله حقّ جهاده هو اجتباكم** ﴾ قال:إيّانا عنى،ونحن المجتبون،ولم يجعل الله تبارك وتعالى في الدّين ﴿**من حرج**﴾ فالحرج أشدّ من الضيق،قلت قول الله : ﴿**ملّة أبيكم إبراهيم**﴾ قال: إيّانا عنى خاصّة ﴿**هو سمّاكم المسلمين من قبل** ﴾ في الكتب التي مضت ﴿**وفي هذا**﴾ القرآن ﴿**ليكون الرّسول عليكم شهيداً وتكونوا شهداء على الناس**﴾ فرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الشهيد علينا بما بلّغنا عن الله عزّ وجلّ ونحن الشهداء على الناس فمن صدّق صدّقناه يوم القيامة، ومن كذب كذّبناه يوم القيامة(١٤٧).

(**٢**) . الكليني بإسناده إلى عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن مح مّد بن أبي عميرة، عن إبن أذينة، عن بريد العجليّ قال : قلت للإمام أبي جعفر ؑ: قول الله تبارك وتعالى : ﴿**وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرّسول عليكم شهيداً**﴾ قال: نحن الأمّة الوسط ونحن شهداء الله تبارك وتعالى على خلقه، وحججه في أرضه، قلت: قوله تعالى: ﴿**يا أيّها الّذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربّكم وافعلوا الخير لعلّكم تفلحون، وجاهدوا في الله حقّ جهاده هو اجتباكم** ﴾ قال: إيّانا عنى ونحن المجتبون، ولم يجعل الله تبارك وتعالى في الدّين ﴿**من حرج**﴾ فالحرج أشدّ

من الضّيق ﴿**ملّة أبيكم إبراهيم**﴾ إيانا عنى خاصّة ﴿**هوسمّاكم المسلمين**﴾ الله سمّانا المسلمين ﴿**من قبل**﴾ في الكتب التي مضت ﴿**وفي هذا**﴾ القرآن ﴿**ليكون الرّسول عليكم شهيداً وتكونوا شهداء على النّاس**﴾ فرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الشهيد علينا بما بلّغنا عن الله تبارك وتعالى، ونحن الشهداء على الناس، فمن صدّق يوم القيامة صدّقناه، ومن كذب كذّبناه (١٤٨).

(٣) . حدثنا يعقوب بن يزيد ومحمد بن الحسين عن إبن أبي عمير عن عمر بن أذينة عن بريد بن معاوية قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام قول الله تعالى : ﴿**وكذلك جعلناكم أمّةً وسطاً لتكونوا شهداء على النّاس**﴾ قال: نحن الأئمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في أرضه(١٤٩).

(٤) . حدثنا محمد عن عبد الله بن محمد بن حجال عن ثعلبة عن عبد الرحيم عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية ﴿**وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السّماوات والأرض وليكون من الموقنين**﴾ قال: كشط له عن الأرض حتى رآها ومن فيها وعن السّماء حتى رآها ومن فيها والملك الذي يحملها والعرش ومن عليه وكذلك أرى صاحبكم (١٥٠) .

(٥) . حدثنا أحمد بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن المغيرة عن عبد الله بن مسكان قال : قال أبو عبد الله عليه السلام ﴿**وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السّماوات والأرض وليكون من الموقنين**﴾ قال : كشط لإبراهيم السّماوات السّبع حتى نظر إلى ما فوق العرش وكشط له الأرض حتى رأى ما

في الهواء وفعل بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم مثل ذلك وإنّي لأرى صاحبكم والأئمة من بعده قد فعل بهم مثل ذلك [١٥١] .

(٦) . حدثنا محمد بن عيسى عن أبي عبد الله المؤمن عن علي بن حسان بن علي الجمال عن أبي داود السّبعي عن بريدة الأسلمي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : يا علي إن الله أشهدك معي سبع مواطن حتى ذكر الموطن الثاني أتاني جبرائيل فأسرى بي إلى السّماء فقال : أين أخوك فقلت : ودّعته خلفي قال : فقال: فادع الله يأتيك به قال : فدعوت فإذا أنت معي فكشط لي على السّماوات السّبع والأرضين السّبع حتى رأيت سكانها وعمارها وموضع كل ملك منها فلم أرَ من ذلك شيئاً إلا وقد رأيته كما رأيته[١٥٢].

(٧) . حدثنا أحمد بن محمد عن علي بن الحكم أو غيره عن سيف بن عميرة عن بشار عن أبي داود عن بريدة قال : كنت جالساً مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعليّ عليه السلام معه إذ قال : يا علي ألم أشهدك معي سبع مواطن حتى ذكر الموطن الرابع ليلة الجمعة أريت ملكوت السماوات والأرض رفعت لي حتى نظرت إلى ما فيها فاشتقت إليك فدعوت الله فإذا أنت معي فلم أرَ من ذلك شيئاً إلا وقد رأيته [١٥٣].

تنبيه: دلّ خبر بُريدة الأسلمي وداود السّبعي على أنّ أمير المؤمنين عليّاً كان مع رسول الله في معراجه،وهو من الأمور المشْكِلَة على أكثر النّفوس حسبما ورد عنهم "أمرنا صعبٌ مستصعب" ، وصدق الأمير حين قال :"ظاهري إمامة وباطني غيبٌ لا يُدرك".

الطائفة التاسعة : " أنّ عندهم جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء وأمر العالمين ".

فقد افصحت هذه الطّائفة من الأحاديث عن سعة ذلك العلم الّذي كان عند الأئمة الأمناء، فإنها أفادت :أنّ لله علمين، علمٌ أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه فقد علموه، وعلم استأثر به عن جميع خلقه إلاّ عنهم عليهم السّلام، فإذا خرج من عنده نفذ إليهم صلوات الله عليهم .

من هذه الطائفة ما أورده الثقة الجليل الصفّار:

(١) . حدّثنا محمد بن عبد الحميد وأبو طالب جميعاً عن حنان بن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن لله علماً عاماً وعلماً خاصاً فأما الخاص فالذي لم يطّلع عليه ملك مقرب ولا نبيٌّ مرسل وأما علمه العام الذي اطلعت عليه الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين قد رفع ذلك كلّه إلينا ثم قال: أما تقرأ ﴿**وعنده علم السّاعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً وما تدري نفسٌ بأيّ أرض تموت**﴾(١٥٤).

(٢) . حدثنا أحمد بن محمد عن إبن أبي عمير أو عمّن رواه عن إبن أبي عمير عن جعفر بن عثمان عن سماعة عن أبي بصير ووهب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ لله علمين علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البداء وعلم علمه ملائكته ورسله وأنبياءه ونحن نعلمه (١٥٥).

(٣) . حدثنا محمد بن إسماعيل عن علي بن الحكم عن ضريس عن أبي جعفر قال : سمعته يقول : إن لله علمين علم مبذول وعلم مكفوف فأما المبذول فإنه ليس من شي ء يعلمه الملائكة والرسل إلا ونحن نعلمه وأما المكفوف فهو الذي عنده في أم الكتاب إذا خرج نفذ (١٥٦).

(٤) . حدثنا إبراهيم بن هاشم عن أبي عبد الله البرقي يرفع الحديث قال : قال أبو عبد الله عليه السلام: إن لله علمين علم تعلمه ملائكته ورسله وعلم لا يعلم غيره [لعلّها تصحيف لا يعلمه غيره] فما كان ممّا يعلمه ملائكته ورسله فنحن نعلمه وما خرج من العلم الذي لا يعلم غيره فإلينا يخرج(١٥٧).

تنبيه: المراد من "إذا خرج نفذ" أي إذا خرج من عنده عزّ وجل وأراده نفذ إليه، فيكون المعنى: إنّ الله إذا أراد أمراً نفذه إليهم، فتدبّر.

* الله ما أكبر منازلكم يا آل الله وآل رسوله عنده عزّ وجلّ، وما أرفع مراتبكم ايها الهداة عند خالق الأرض والسّماوات، فقد رفعكم فوق منازل النبيّين، وسما بكم على معارج المرسلين، حتى أطلعكم على ما استأثر به من العلم، واختصّكم بما لم يظهر عليه أولي العزم من رسله ....

ولا ندري ما وراء هذا يراد من الحضوري؟ ولأيّ شيء بعد هذه الصّراحة يصار إلى الإشائيّ؟ !.

الطائفة العاشرة: " إنّ عندهم عليهم السّلام جميع الكتب على اختلاف ألسنتها وعندهم علم البلايا والمنايا وأنساب العرب" .

أخبرت هذه الطّائفة أنّ في الكتب علوم الأوّلين والآخرين، والسّالف والحاضر، وعلم الأحكام والحوادث والمنايا والبلايا وكلّ شيء .

فليت شعري هل يقرأون تلك الكتب وهم يجهلون ما يقرأون، أو يعرفون بعضاً وينكرون بعضاً؟ إنّ هذا لشيءٌ عجيب!! .

من هذه الطائفة ما رواه الكليني والصّفار "أعلى الله مقامهما":

(١) . بإسناده إلى عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن إبراهيم، عن يونس، عن هشام إبن الحكم، في حديث برية أنه لما جاء معه إلى الإمام أبي عبد الله عليه السلام فلقي الإمام ابا الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام فحكى له هشام الحكاية، فلمّا فرغ قال الإ مام أبو الحسن عليه السلام لبريه: يا بريه كيف علمك بكتابك؟ قال : أنا به عا لم، ثمّ قال : كيف ثقتك بتأويله؟ قال : ما أوثقني بعلمي فيه، قال : فابتدأ الإمام أبو الحسن عليه السلام يقرأ الإنجيل فقال بريه: إيّاك كنت أطلب منذ خمسين سنة أو مثلك، قال : فآمن بريه وحسن إيمانه، وآمنت المرأة التي كانت معه .

فدخل هشام وبريه والمرأة على الإمام أبي عبد الله عليه السلام فحكى له هشام الكلام الّذي جرى بين الإمام أبي الحسن موسى عليه السلام وبين بريه، فقال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: ﴿**ذريّة بعضها من بعض والله سميعٌ عليم**﴾، فقال بريه: أنى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء؟ قال: هي عندنا وراثة من عندهم نقرؤها كما قرؤوها ونقولها كما قالوا، إنّ الله لا يجعل حجّة في أرضه يسأل عن شيء فيقول لا أدري(١٥٨) .

(٢) . بإسناده إلى عليّ بن محمّد ومحمّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن بكر بن صالح، عن محمّد بن سنان، عن مفضّل بن عمر، قال : أتينا باب الإمام أبي عبد الله عليه السلام ونحن نريد الإذن عليه فسمعناه يتكلّم بكلام ليس بالعربيّة فتوهّمنا أنه بالسريانيّة ثمّ بكى فبكينا لبكائه، ثمّ خرج إلينا الغلام فأذن لنا فدخلنا عليه فقلت : أصلحك الله أتيناك نريد الإذن عليك فسمعناك تتكلّم بكلام ليس بالعربيّة فتوهّمنا انه بالسريانيّة ثمّ بكيت فبكينا لبكائك، فقال: نعم ذكرت إلياس النبيّ وكان من عبّاد أنبياء بني إسرائيل فقلت كما كان يقول في سجوده، ثمّ اندفع فيه بالسريانيّة فلا والله، ما رأينا قسّاً ولا جاثليقاً أفصح لهجة منه به ثمّ فسّره لنا بالعربيّة، فقال : كان يقول في سجوده: " أتراك معذّبي وقد أظمأت لك هواجري، أتراك معذّبي وقد عفرت لك في التراب وجهي، أتراك معذّبي وقد اجتنبت لك المعاصي، أتراك معذّبي وقد أسهرت لك ليلي " .

قال: فأوحى الله إليه أن إرفع رأسك فإنّي غير معذبك، قال : فقال: إن قلت: لا أعذبك ثمّ عذبتني ماذا؟ ألس ت عبدك وأنت ربّي؟ [قال]: فأوحى الله إليه أن إرفع رأسك، فإني غير معذّبك، إني إذا ما وعدت وعداً وفيت به(١٥٩) .

(٣) . حدثنا عبد الله بن عامر عن عبد الرحمن بن أبي نجران قال : كتب أبوالحسن الرضا عليه السلام رسالة وأقرأنيها قال : قال: علي بن الحسين عليه السلام إن محمداً صلّى الله ع ليه وآله وسلّم كان أمين الله في أرضه فلما قبض محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم كنا أهل البيت ورثته ونحن أمناء الله في أرضه عندنا

علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولد الإسلام وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق وإن شيعتنا لمكتوبون بأسم ائهم وأسماء آبائهم أخذ الله علينا وعليهم الميثاق يردون موردنا ويدخلون مدخلنا نحن النّجباء وأفراطنا أفراط الأنبياء ونحن أبناء الأوصياء ونحن المخصوصون في كتاب الله ونحن أولى الناس بالله ونحن أولى النّاس بكتاب الله ونحن أولى النّاس بدين الله ونحن الذين شرع لنا دينه فقال في كتابه : ﴿ **شرع لكم** ﴾ يا آل محمد ﴿**من الدّين ما وصّى به نوحاً** ﴾ وقد وصّانا بما أوصى به نوحاً ﴿**والّذي أوحينا إليك**﴾ يا محمداً وما ﴿**وصّينا به إبراهيم** ﴾ وإسماعيل وموسى وعيسى وإسحاق ويعقوب فقد علمنا وبلغنا ما علمنا واستودعنا علمهم نحن ورثة الأنبياء ونحن ورثة أولي العزم من الرّسل﴿ **أن أقيموا الدّين** ﴾ يا آل محمد ﴿ **ولا تتفرّقوا فيه** ﴾ وكونوا على جماعة﴿ **كُبر على المشركين**﴾ من أشرك بولاية علي ما ﴿**تدعوهم إليه**﴾ من ولاية علي إن اللّه يا محمد ﴿**يهدي إليه من ينيب**﴾ من يجيبك إلى ولاية علي‌عليه السلام(١٦٠).

الطائفة الحادية عشرة: " أنّ الأئمّة عليهم السّلام يعلمون الكتاب كلّه".

أفادت هذه الطائفة بأنّ الأئمّة يعلمون ما في القرآن المجيد كلّه، أفترى أنه أراد عزّ وجلّ العلم بالكتاب الّذي فيه تبيانُ كلّ شيء من خبر السماء والأرض، وما كان وما هو كائن، هو العلم بالأحكام أو موضوعاته ا وليس الحوادث والأعمال وما وقع أو يقع من شؤون العا لم؟ وهل يجوز لذي علم أو

ذوق أن يحمل هذا البيان على ذلك القصد؟ وهل هناك أصرح من هذا البيان بالعلم بشؤون العالم سابقه وحاضره ولاحقه؟.

من هذه الطّائفة ما رواه الكليني أيضاً:

(**١**) . بإسناده إلى محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن إبن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر قال : سمعت الإمام أبا جعفر عليه السلام يقول: ما ادّعى أحدٌ من الناس أنه جمع القرآن كلّه كما أنزل إلاّ كذّاب، وما جمعه وحفظه كما نزّل إلاّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام والأئمّة من بعده عليهم السّلام[١٦١] .

(**٢**) . بإسناده غلى محمّد بن يحيي، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن عيسى، عن أبي عبد الله المؤمن، عن عبد الأعلى مولى آل سام قال : سمعت الإمام أبا عبد الله عليه السلام يقول: وتالله إني لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره كأنه في كفّي فيه خبر السّماء وخبر الأرض، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **فيه تبيان كلّ شيء** ﴾ [١٦٢].

ليس في المصحف الموجود بين المسلمين : "فيه تبيان كل شيء "،وإنّما يوجد قوله تعالى في سورة النّحل /٩١: ﴿ **ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء** ﴾ ولعلّ ما ورد في الرواية تصحيفٌ للآية الشّريفة،أو إسقاط لبعض الآية ،أو غير ذلك.

(**٣**) . بإسناده إلى محمّد بن يحيي، عن أحمد بن أبي زاهر، عن الخشّاب، عن عليّ بن حسّان، عن عبد الرحمان بن كثير، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿ **قال الّذي عنده علمٌ من الكتاب انا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك**

طرفك ﴾ قال: ففرّج الإمام أبو عبد الله عليه السلام بين أصابعه فوضعها في صدره، ثمّ قال: وعندنا والله علم الكتاب كلّه [١٦٣].

(**٤**) . عليّ بن إبراهيم، عن أبيه؛ ومحمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسن، عمّن ذكره جميعاً عن إبن أبي عمير، عن إبن أذينة، عن بريد بن معاوية قال : قلت للإمام أبي جعفر عليه السلام: ﴿ **قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب** ﴾؟ قال: إيانا عنى، وعليٌّ أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم [١٦٤] .

الطائفة الثانية عشرة: "أنّ علمهم سرٌّ مستسرّ وصعبٌ مستصعب...".

فقد دلّت هذه الطّائفة الجليلة على أنّ الإحاطة بعلومهم مما لا يكاد يتيسّر لأحد حتى للمرسلين والملائكة المقرّبين، وما ظهر للعالمين من أسرار علومهم ما هو إلاّ قطرة من بحر، سبحان من وهبهم العطايا والمنن السابغة التي هم لها أهلٌ.ولست أدري من كان علمه سرّاً مستسرّاً وصعباً وعراً كيف لا يكون حضوريّاً مستوعباً للحوادث والتفاصيل؟! .

من هذه الطائفة ما رواه الصفّار [١٦٥] قدّس سرّه في باب ١١ و ١٢ وباب نادر أكثر من خمسٍ وثلاثين رواية،أكثر أسانيدها صحاح وموثّقات، منها:

(١) . ما ورد في صحيحة علي بن الحكم عن زريح المحاربي عن أبي حمزة الثّمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: سمعته يقول : " إنّ حديثنا صعبٌ مستصعب لايحتمله إلاّ نبيٌّ مرسل أو ملك مقرّب،ومن الملائكة غير مقرّب".

(٢) . وفي موثّقة محمّد بن سنان عن أبي الجارود عن مولانا أبي جعفر عليه السلام قال:سمعته يقول :"إنّ حديث آل محمّد صعبٌ مستصعب ثقيلٌ مقنّع أجردٌ

ذكوانٌ لا يحتمله إ لاّ ملك مقرّب أو نبي مرسل أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان، أو مدينة حصينة،فإذا قام قائمنا نطق وصدّقه القرآن.

(**٣**) . حدثنا أحمد بن إبراهيم عن إسماعيل بن مهزيار عن عثمان بن جبلة عن أبي الصامت قال أبو عبد الله عليه السلام: " إن حديثنا صعب مستصعب شريفٌ كريمٌ ذكوانٌ ذكيٌ وعر لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ممتحن" قلت فمن يحتمله جعلت فداك قال: من شئنا يا أبا الصامت قال أبو الصامت: فظننت أن لله عبادا هم أفضل من هؤلاء الثلاثة .

(**٤**) . حدثنا أحمد بن الحسن عن أحمد بن إبراهيم عن محمد بن جمهور عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن عيسى الفرّاء عن أبي الصّامت قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إن من حديثنا ما لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد مؤمن قلت فمن يحتمله قال: نحن نحتمله .

(**٥**) . حدثنا يعقوب بن يزيد عن محمّد بن أبي عمير عن منصور عن مخلد بن حمزة بن نصر عن أبي ربيع الشامي عن أبي جعفر عليه السلام قال: كنت معه جالساً فرأيت أن أبا جعفر عليه السلام قد قام فرفع رأسه وهو يقول يا أبا الربيع حديث تمضغه الشيعة بألسنتها لا تدري ما كنهه قلت ما هو جعلني الله فداك قال : قول علي بن أبي طالب عليه السلام إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبٌي مرسل أو عبد م ؤمن امتحن الله قلبه للإيمان يا أبا الربيع ألا ترى أنه يكون ملك ولا يكون مقرباً ولا يحتمله إلا مقرّب وقد يكون نبٌي وليس بمرسل ولا يحتمله إلا مرسل وقد يكون مؤمن وليس بممتحن ولا يحتمله إلا مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان .

(٦) . حدثنا محمد بن الحسين عن محمد بن سنان عن عمار بن مروان عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أمرنا سرٌّ في سر، وسرٌّ مستسر وسرٌّ لا يفيد إلا سراً ،وسرٌّ على سر ،وسرٌّ مقنّع بسر .

(٧) . وروي عن إبن أبي محبوب عن مرازم قال: قال: أبو عبد الله عليه السلام إن أمرنا هو الحق وحقُّ الحق وهو الظّاهر وباطن الباطن وهو السّر وسرّ السّر وسرُّ المستسر وسرٌّ مقنع بالسر.

الطائفة الثالثة عشرة : " أنهم عليهم السّلام أولياء الله وأبوابه ووجهه ويده " .

فقد دلّت هذه الطّائفة على أنهم أولياؤه والباب الّذي منه يؤتى، وهل يعقل نسبة عدم الحضور إلى من كان وليّاً لله ت عالى وباباً للوصول إليه، بل وجهه الّذي إليه يتوجّه الخلق في وجودهم وحوائجهم؟! .

. من هذه الطائفة ما ورد عن الصّفّار:

(١) . حدثنا أحمد بن محمد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن محمد بن حمران عن أسود بن سعيد قال كنت عند أبي جعفر عليه السلام فأنشأ يقول ابتداءً من غير أن يسأل: نحن حجة الله ونحن باب الله ونحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه ونحن ولاة أمر الله في عباد [١٦٦] .

(٢) . حدثنا أحمد بن الحسين قال أخبرنا أحمد بن بشر قال: حدثنا حسان الجمال قال : حدثنا هاشم بن أبي عمار قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: أنا عين الله وأنا يد الله وأنا جنب الله وأنا باب الله[١٦٧] .

(٣) . أحمد بن موسى عن الحسن بن موسى الخشاب عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: نحن ولاة أمر الله وخزنة علم الله وعيبة وحي الله وأهل دين الله وعلينا نزل كتاب الله وبنا عبد الله ولولانا ما عرف الله ونحن ورثة نبي الله وعترته[١٦٨].

(٤) . حدثنا محمد بن عبد الجبار عن البرقي عن فضالة بن أيوب عن عبد الله بن أبي يعفور قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا ابن أبي يعفور إن الله تبارك وتعالى واحد متوحد بالوحدانية متفرد ب أمره فخلق خلقاً ففردهم لذلك الأمر فنحن هم يا ابن أبي يعفور فنحن حجج الله في عباده وشهداؤه في خلقه وأمناؤه وخزانه على علمه والداعون إلى سبيله والقائمون بذلك فمن أطاعنا فقد أطاع الله[١٦٩] .

(٥) . حدثنا عباد بن سليمان عن أبيه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى انتجبنا لنفسه فجعلنا صفوته من خلقه وأمناءه على وحيه وخزانه في أرضه وموضع سره وعيبة علمه ثم أعطانا الشفاعة فنحن أذنه السامعة وعينه الناظرة ولسانه الناطق بإذنه وأمناؤه على ما نزل من عذر ونذر وحجة[١٧٠].

(٦) . عن معلّى، عن محمّد بن جمهور، عن سليمان بن سماعة، عن عبد الله بن القاسم، عن أبي بصير قال : قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: الأوصياء هم أبواب الله عزّ وجلّ التي يؤتى منها ولولاهم ما عرف الله عزّ وجلّ وبهم احتجّ الله تبارك وتعالى على خلقه[١٧١] .

(٧) . حدثنا يعقوب بن يزيد عن إبن أبي عمير عن منصور عن جليس له عن أبي حمزة قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلني الله فداك أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى كلّ شي ء هالكٌ إلّا وجهه قال : يا فلان فهلك كل شي ء ويبقى الوجه، الله أعظم من أنْ يوصف، ولكن معناها كل شي ء هالك إلا دينه، نحن الوجه الذي يؤتى الله منه لم نزل في عباد لله [لعلها تصحيف: الله] ما دام لله فيهم روية قلت وما الروية جعلني الله فداك قال حاجة فإذا لم يكن له فيهم حاجة رفعنا إليه فيصنع بنا ما أحب(١٧٢).

(٨) . حدثنا أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن علي بن حديد عن علي بن أبي المغيرة عن أبي سلام النحاس عن سورة بن كليب قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: نحن المثاني الذي أعطاه الله نبينا صلّى الله عليه وآله وسلّم ونحن وجه الله في الأرض نتقلب بين أظهركم عرفنا من عرفنا، وجهلنا من جهلنا، فمن جهلنا فأمامه اليقين (١٧٣).

الطائفة الرابعة عشرة: " أنهم عليهم السّلام نور الله عزّ وجلّ وأنّ أبدانهم خلقت من النور".

فمن كانت أرواحهم وأبدانهم مخلوقة من النور، لا يتصوّر فيها أحدٌ عدمَ العلم الحضوري إلاّ من ران على قلبه حبّ الشهوات والملذّات؟! .

من هذه الطائفة ما رواه الكليني:

(١) . الحسين بن محمّد عن معلّى بن مح مّد عن عليّ بن مرداس قال : حدّثنا صفوان بن يحيى والحسن بن محبوب عن أبي أيّوب عن أبي خالد الكابليّ قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول اللّه عزّ وجلّ :﴿ **فآمنوا باللّه**

ورسوله والنّور الّذي أنزلنا ﴾ فقال: يا أبا خالد النّور واللّه الأئمّة من آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى يوم القيامة وهم واللّه نور اللّه الّذي أنزل وهم واللّه نور اللّه في السّماوات وفي الأرض، واللّه يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشّمس المضيئة بالنّهار وهم واللّه ينوّرون قلوب المؤمنين ويحجب اللّه عزّ وجلّ نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم، واللّه يا أبا خالد لا يحبّنا عبدٌ ويتولانا حتى يطهّر اللّه قلبه ولا يطهّر اللّه قلب عبد حتى يسلّم لنا ويكون سلماً لنا فإذا كان سلماً لنا سلّمه اللّه من شديد الحساب وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر (١٧٤).

(٢) . عليّ بن إبراهيم بإسناده عن أبي عبد ال لّه عليه السلام في قول اللّه عزّ وجل: ﴿ **الّذين يتّبعون الرّسول النّبيّ الأمّيّ الّذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطّيّبات ويحرّم عليهم الخبائث**.... إلى قوله **واتّبعوا النّور الّذي أنزل معه أولئك هم المفلحون**﴾ قال: النّور في هذا الموضع عليٌّ أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السّلام(١٧٥).

(٣) . أحمد بن إدريس عن محمّد بن عبد الجبّار عن إبن فضّال عن ثعلبة بن ميمون عن أبي الجارود قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام: لقد آتى اللّه أهل الكتاب خيراً كثيراً قال : وما ذاك؟ فقلت : قول اللّه تعالى: ﴿**الّذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون** ... إلى قوله **أولئك يؤتون أجرهم مرّتين بما صبروا**﴾ قال: فقال: قد آتاكم اللّه كما آتاهم ثمّ تلا ﴿**يا أيّها الّذين آمنوا**

اتّقوا اللّه وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾ يعني إماماً تأتمّون به [١٧٦].

(٤) . أحمد بن مهران عن عبد العظيم بن عبد اللّه الحسنيّ عن عليّ بن أسباط والحسن بن محبوب عن أبي أيّوب عن أبي خالد الكابليّ قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول اللّه تعالى : ﴿**فآمنوا باللّه ورسوله والنّور الّذي أنزلنا**﴾فقال: يا أبا خالد النّور واللّه الأئمّة عليهم السّلام يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشّمس المضيئة بالنّهار وهم الّذين ينوّرون قلوب المؤمنين ويحجب اللّه نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم ويغشاهم بها[١٧٧] .

(٥) . عليّ بن محمّد ومحمّد بن الحسن عن سهل بن زياد عن محمّد بن الحسن بن شمّون عن عبد اللّه بن عبد الرّحمن الأصمّ عن عبد اللّه بن القاسم عن صالح بن سهل الهمدانيّ قال : قال: أبو عبد اللّه عليه السلام في قول اللّه تعالى ﴿**اللّه نور السّماوات والأرض مثل نوره كمشكاة** ﴾ فاطمة عليها السّلام ﴿**فيها مصباحٌ** ﴾ الحسن ﴿**المصباح في زجاجة** ﴾ الحسين ﴿**الزجاجة كأنّها كوكبٌ درّيٌّ** ﴾فاطمة كوكبٌ درّيٌّ بين نساء أهل الدّنيا ﴿**يوقد من شجرة مباركة**﴾ إبراهيم عليه السلام ﴿**زيتونة لا شرقيّة ولا غربيّة** ﴾ لا يهوديّة ولا نصرانيّة ﴿ **يكاد زيتها يضيء**﴾ يكاد العلم ينفجر بها ﴿**ولو لم تمسسه نارٌ نورٌ على نور** ﴾ إمامٌ منها بعد إمام ﴿ **يهدي اللّه لنوره من يشاء** ﴾ يهدي اللّه للأئمّة من يشاء ﴿**ويضرب اللّه الأمثال للنّاس** ﴾ قلت: ﴿**أو**

كظلمات﴾ قال: الأوّل وصاحبه ﴿**يغشاه موجٌ**﴾ الثّالث ﴿**من فوقه موجٌ ظلماتٌ**﴾ الثّاني ﴿**بعضها فوق بعض**﴾ معاوية لعنه الله وفتن بني أميّة ﴿**إذا أخرج يده**﴾ المؤمن في ظلمة فتنتهم ﴿**لم يكد يراها ومن لم يجعل اللّه له نوراً**﴾ إماماً من ولد فاطمة عليها السّلام ﴿**فما له من نور**﴾ إمام يوم القيامة وقال: في قوله ﴿**يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم**﴾ أئمّة المؤمنين يوم القيامة تسعى بين يدي المؤمنين وبأيمانهم حتى ينزلوهم منازل أهل الجنّة[١٧٨].

(٦) . عدّةٌ من أصحابنا عن أحمد بن محمّد عن أبي يحيى الواسطيّ عن بعض أصحابنا عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إنّ اللّه خلقنا من علّيّين وخلق أرواحنا من فوق ذلك وخلق أرواح شيعتنا من علّيّين وخلق أجسادهم من دون ذلك فمن أجل ذلك القرابة بيننا وبينهم وقلوبهم تحنّ إلينا[١٧٩].

(٧) . أحمد بن محمّد عن محمّد بن الحسن عن محمّد بن عيسى بن عبيد عن محمّد بن شعيب عن عمران بن إسحاق الزّعفرانيّ عن محمّد بن مروان عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: سمعته يقول إنّ اللّه خلقنا من نور عظمته ثمّ صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش فأسكن ذلك النّور فيه فكنّا نحن خلقاً وبشراً نورانيّين لم يجعل لأحد في مثل الّذي خلقنا منه نصيباً وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطّينة ولم يجعل اللّه لأحد في مثل الّذي خلقهم منه نصيباً إلا للأنبياء ولذلك صرنا نحن وهم النّاس وصار سائر النّاس همجٌ للنّار وإلى النّار[١٨٠].

(٨) . عدّةٌ من أصحابنا عن أحمد بن محمّد عن محمّد بن خالد عن أبي نهشل قال: حدّثني محمّد بن إسماعيل عن أبي حمزة الثّماليّ قال : سمعت أبا

جعفر عليه السلام يقول: إنّ اللّه خلقنا من أعلى علّيّين وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا وخلق أبدانهم من دون ذلك فقلوبهم تهوي إلينا لأنها خلقت ممّا خلقنا ثمّ تلا هذه الآية ﴿**كلاّ إنّ كتاب الأبرار لفي علّيّين، وما أدراك ما علّيّون، كتابٌ مرقومٌ، يشهده المقرّبون** ﴾ وخلق عدوّنا من سجّين وخلق قلوب شيعتهم ممّا خلقهم منه وأبدانهم من دون ذلك فقلوبهم تهوي إليهم لأنها خلقت ممّا خلقوا منه ثمّ تلا هذه الآية ﴿**كلاّ إنّ كتاب الفجّار لفي سجّين،وما أدراك ما سجّينٌ، كتابٌ مرقومٌ**﴾[١٨١].

الطائفة الخامسة عشرة : " أنهم عليهم السّلام أركان الأرض وأمناء الله على ما هبط من علم، وأنهم القاسمون بين الجنة والنار ".

فمن كان ركناً للأرض أن تميد بأهلها وقسيماً بين الجنّة والنار لا بدّ أن يتحلّى بالعلم الحضوري العامّ، وإلاّ يقبح أن يكون ركناً وقسيماً وهو بحاجة إلى أقلّ منه بدرجات يملي عليه العلم ويخبره بالتفاصيل .

وكيف تخفى على الإمام عليه السلام الحوادث والتفاصيل وقد أعطاه الله سبحانه وتعالى فصل الخطاب ومنحه علمه عزّ وجل، وهل علمه إلاّ الإطّلاع على حقائق الأشياء؟، وأشهدهم خلقها بحيث صارت مكشوفة عندهم عليهم السّلام، وعلمهم بالنسبة إليها يكون نافذاً فيها، ولا يعزب عنهم منها شيء، كلّ ذلك بتعليمه تعالى إياهم تعليماً دفعيّاً حضوريّاً .

فقد روى الكليني والصفار رحمهما الله قسماً من هذه الأخبار منها:

(١) . أحمد بن مهران عن محمّد بن عليّ ومحمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد جميعاً عن محمّد بن سنان عن المفضّل بن عمر عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: ما جاء به عليٌّ عليه السلام آخذ به وما نهى عنه انتهي عنه جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ولمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم الفضل على جميع من خلق اللّه عزّ وجلّ المتعقّب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقّب على اللّه وعلى رسوله والرّادّ عليه في صغيرة أو كبيرة على حدّ الشّرك باللّه كان أمير المؤمنين عليه السلام باب اللّه الّذي لا يؤتى إلاّ منه وسبيله الّذي من سلك بغيره هلك وكذلك يجري الأئمّة الهدى واحداً بعد واحد جعلهم اللّه أركان الأرض أن تميد بأهلها وحجّته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى وكان أمير المؤمنين صلّى الله عليه وآله وسلم كثيراً ما يقول أنا قسيم اللّه بين الجنّة والنّار وأنا الفاروق الأكبر وأنا صاحب العصا والميسم ولقد أقرّت لي جميع الملائكة والرّوح والرّسل بمثل ما أقرّوا به لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ولقد حملت على مثل حمولته وهي حمولة الرّبّ وإنّ رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم يدعى فيكسى وأدعى فأكسى ويستنطق وأستنطق فأنطق على حدّ منطقه ولقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحدٌ قبلي علّمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عنّي ما غاب عنّي أبشّر بإذن اللّه وأؤدّي عنه، كلّ ذلك من اللّه مكّنني فيه بعلمه [١٨٢].

(٢) . عليّ بن محمّد ومحمّد بن الحسن عن سهل بن زياد عن محمّد بن الوليد شباب الصّيرفيّ قال: حدّثنا سعيدٌ الأعرج قال: دخلت أنا وسليمان بن

خالد على أبي عبد اللّه عليه السلام فابتدأنا فقال: يا سليمان ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام يؤخذ به وما نهى عنه ينتهى عنه جرى له من الفضل ما جرى لرسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم ولرسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم الفضل على جميع من خلق اللّه المعيّب على أمير المؤمنين عليه السلام في شيء من أحكامه كالمعيّب على اللّه عزّ وجلّ وعلى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم والرّادّ عليه في صغيرة أو كبيرة على حدّ الشّرك باللّه كان أمير المؤمنين صلّى الله عليه وآله وسلّم باب اللّه الّذي لا يؤتى إلّا منه وسبيله الّذي من سلك بغيره هلك وبذلك جرت الأئمّة عليهم السلام واحدٌ بعد واحد جعلهم اللّه أركان الأرض أن تميد بهم والحجّة البالغة على من فوق الأ رض ومن تحت الثّرى وقال: قال أمير المؤمنين عليه السلام أنا قسيم اللّه بين الجنّة والنّار وأنا الفاروق الأكبر وأنا صاحب العصا والميسم ولقد أقرّت لي جميع الملائكة والرّوح بمثل ما أقرّت لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ولقد حملت على مثل حمولة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وهي حمولة الرّبّ وإنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم يدعى فيكسى ويستنطق وأدعى فأكسى وأستنطق فأنطق على حدّ منطقه ولقد أعطيت خصالًا لم يعطهنّ أحدٌ قبلي علّمت علم المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عنّي ما غاب عنّي أبشرّ بإذن اللّه وأؤدّي عن اللّه عزّ وجلّ كلّ ذلك مكّنني اللّه فيه بإذنه[١٨٣] .

(٣) . حدّثنا أبو الفضل العلوي عن سعد بن عيسى البصري قال حدّثنا ابراهيم بن الحكم بن ظهير عن ابيه عن شريك بن عبد الله عن عبد الأعلى الثعلبي عن أبي وقاص عن سلمان الفرسي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: عندي

علم المنايا والبلايا والوصايا والأنساب وفصل الخطاب ومولد الإسلام ومولد الكفر وأنا صاحب الميثم وأنا الفاروق الأكبر وأنا صاحب الكرات ودولة الدول فاسألوني عما يكون إلى يوم القيامة وعمّا كان على عهد كل نبيٍّ بعثه الله(١٨٤).

الطائفة السادسة عشرة: " أنّ عندهم الإسم الأعظم " .

لقد دلّت الأحاديث الشريفة بأنّ الإسم الأعظم ينقسم إلى ثلاثةٍ وسبعين حرفاً، وأنّ ما عند النّبي والعترة عليهم السّلام منه اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد استأثر به الجليل عزّ وجلّ، وما كان عند " آصف بن برخيا " إلاّ حرف واحد منه، وقد أحضر به عرشَ بلقيس بأسرع من طرفة عين، وكان أبونا آدم عليه السلام أكثر الأنبياء حظوة به، وما كان عنده إلاّ خمسٌ وعشرون حرفاً .

ونحن وإن لم ندرِ ما حقيقة الإسم الأعظم، وكيف يكون على ثلاثةٍ وسبعين حرفاً، إلاّ إننا نفهم من هذا البيان خطر شأنهم وكبر مقامهم و سعة علمهم عليهم السّلام، حتى إنّ الله سبحانه سمّى ذلك الحرف الّذي كان عند "آصف بن برخيا" علماً من الكتاب، فكيف بمن كان لديه جميع حروفه؟.

. من هذه الأخبار المقدّسة:

(١) . ما رواه الكليني بإسناده إلى: محمّد بن يحيى وغيره عن أحمد بن محمّد عن عليّ بن ا لحكم عن محمّد بن الفضيل قال : أخبرني شريسٌ الوابشيّ عن

جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ اسم اللّه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنّما كان عند آصف منها حرفٌ واحدٌ فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السّرير بيده ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع م ن طرفة عين ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرفٌ واحدٌ عند اللّه تعالى استأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه العليّ العظيم (١٨٥).

(٢) . محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن الحسين بن سعيد ومحمّد بن خالد عن زكريّا بن عمران القمّيّ عن هارون بن الجهم عن رجل من أصحاب أبي عبد اللّه عليه السلام لم أحفظ اسمه قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول إنّ عيسى ابن مريم عليه السلام أعطي حرفين كان يعمل بهما وأعطي موسى أربعة أحرف وأعطي إبراهيم ثمانية أحرف وأعطي نوحٌ خمسة عشر حرفاً وأعطي آدم خمسةً وعشرين حرفاً ،وإنّ اللّه تعالى جمع ذلك كلّه لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وإنّ اسم اللّه الأعظم ثلاثةٌ وسبعون حرفاً أعطي محمّدٌ صلّى الله عليه وآله وسلّم اثنين وسبعين حرفاً وحجب عنه حرفٌ واحدٌ (١٨٦).

(٣) . الحسين بن محمّد الأشعريّ عن معلّى بن محمّد عن أحمد بن محمّد بن عبد اللّه عن عليّ بن محمّد النّوفليّ عن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام قال: سمعته يقول اسم اللّه الأعظم ثلاثةٌ وسبعون حرفاً كان عند آصف حرفٌ فتكلّم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ فتناول عرش بلقيس حتى صيّره إلى سليمان ثمّ انبسطت الأرض في أقلّ من طرفة عين وع ندنا منه

اثنان وسبعون حرفاً وحرفٌ عند اللّه مستأثرٌ به في علم الغيب[١٨٧]. والأخبار في الإسم الأعظم لديهم فوق حدّ التواتر. فلتراجع.

الطائفة السابعة عشرة : " أنّ لديهم عليهم السّلام الجفر والجامعة ومصحف مولاتنا الصدّيقة الطاهرة فاطمة عليها السّلام وما يحدث بالليل والنهار ".

. هذه الطائفة وإن أنبأت عن بيان بعض منابع علومهم عليهم السّلام كالجفر والجامعة والمصحف التكويني لمولاتنا الشهيدة سيّدة النساء لعن الله ظالميها، مضافاً إلى ما يحدث بالليل والنهار، لكنهم لم يبوحوا لنا عن سرّ معرفتهم بما يجري في الليل والرهار .

فهذه المنابع وإن لم ندرك حقيقتها وقدرها، إلاّ إننا نفهم من هذا البيان أنهم رزقوا من العلم ما لا مزيد عليه إلى ما شاء الله جلّ شأنه، وإنه لو يسمح لنا البيان بأن نعرّفه بأكثر من الحضوري لوسَمْنَاه به .

. وهل يصحّ بعد هذا أن يقال في علمهم أنه مبنيٌّ على الإشاءة وموقوف على الإرادة؟ .

من هذه الطائفة ما رواه الكليني في الصحيح والموثّق بأسانيد متعدّدة،منها:

(١) . صحيحة أحمد بن محمّد عن عبد اللّه بن الحجّال عن أحمد بن عمر الحلبيّ عن أبي بصير قال : دخلت على أبي عبد اللّه عليه السلام فقلت له جعلت فداك إنّي أسألك عن مسألة هاهنا أحدٌ يسمع كلامي قال : فرفع أبو عبد اللّه عليه السلام ستراً بينه وبين بيت آخر فاطّلع فيه ثمّ قال : يا أبا محمّد سل عمّا بدا لك قال : قلت جعلت فداك إنّ شيعتك يتحدّثون أنّ رسول اللّه

صلّى الله عليه وآله وسلّم علّم عليّاً عليه السلام باباً يفتح له منه ألف باب؟ قال : فقال: يا أبا محمّد علّم رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّاً عليه السلام ألف باب يفتح من كلّ باب ألف باب، قال : قلت هذا واللّه العلم قال : فنكت ساعةً في الأرض ثمّ قال: إنّه لعلمٌ وما هو بذاك قال: ثمّ قال: يا أبا محمّد وإنّ عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة قال: قلت جعلت فداك وما الجامعة قال: صحيفةٌ طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وإملائه من فلقِ فِيهِ وخطّ عليّ بيمينه فيها كلّ حلال وحرام وكلّ شي ء يحتاج النّاس إليه حتى الأرش في الخدش وضرب بيده إليّ فقال تأذن لي يا أبا محمّد قال: قلت جعلت فداك إنّما أنا لك فاصنع ما شئت قال: فغمزني بيده وقال: حتى أرش هذا كأنّه مغضبٌ قال : قلت هذا واللّه العلم قال : إنّه لعلمٌ وليس بذاك.

ثمّ سكت ساعةً ثمّ قال : وإنّ عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر قال : قلت وما الجفر قال : وعاءٌ من أدم فيه علم النّبيّين والوصيّين وعلم العلماء الّذين مضوا من بني إسرائيل قال: قلت إنّ هذا هو العلم قال: إنّه لعلمٌ وليس بذاك ثمّ سكت ساعةً ثمّ قال : وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام قال : قلت وما مصحف فاطمة عليها السلام قال : مصحفٌ فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات واللّه ما فيه من قرآنكم حرفٌ واحدٌ قال : قلت هذا واللّه العلم قال : إنّه لعلمٌ وما هو بذاك ثمّ سكت ساعةً ثمّ قال : إنّ عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائنٌ إلى أن تقوم السّاعة قال : قلت جعلت فداك هذا واللّه هو العلم قال : إنّه لعلمٌ

وليس بذاك قال: قلت: جعلت فداك فأيّ شيء العلم قال: ما يحدث باللّيل والنّهار الأمر من بعد الأمر والشّيء بعد الشّيء إلى يوم القيامة(١٨٨) .

(**٢**) . وفي موثّقة أحمد بن محمّد عن عمر بن عبد العزيز عن حمّاد بن عثمان قال : سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول تظهر الزّنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة وذلك أنيّ نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام قال : قلت وما مصحف فاطمة عليها السّلام قال : إنّ اللّه تعالى لما قبض نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلّا اللّه عزّ وجلّ فأرسل اللّه إليها م لكاً يسلّي غمّها ويحدّثها فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال إذا أحسست بذلك وسمعت الصّوت قولي لي فأعلمته بذلك فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلّ ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً قال : ثمّ قال: أما إنّه ليس فيه شي ءٌ من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون(١٨٩) .

(٣) . وفي حسنة أحمد بن محمّد عن علي بن الحكم عن الحسين ابن أبي العلاء قال : سمعت أبا عبد الله يقول إنّ عندي الجفر الأبيض قال : قلت: فأيّ شيءٍ فيه؟ قال :زبور داود ،وتوراة موسى وانجيل عيسى وصحف ابراهيم والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، ما أزعم أنّ فيه قرآناً،وفيه ما يحتاج النّاس إلينا ولا نحتاج إلى أحدٍ حتى فيه الجلدة ونصف الجلدة وربع الجلد وأرش الخدش ..."(١٩٠).

تنبيه: مراد قوله:" وفيه ما يحتاج الناس ..." أي في الجفر،فالضّمير في "فيه" راجعٌ إلى الجفر الأبيض ،بقرينة ما جاء في موثّقة أحمد بن محمّد المتقدّمة من

أن مصحفها ليس فيه شيءٌ من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون من الأمور التكوينيّة،وممّا سيأتي في موثّقة فُضيل بن سكرة وصحيحة أبي عبيدة الآتية من أنّ المصحف فيه أسماء الملوك وغير ذلك.

(**٤**) . صحيحة محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن إبن محبوب عن إبن رئاب عن أبي عبيدة قال: سأل أبا عبد اللّه عليه السلام بعضُ أصحابنا عن الجفر فقال :هو جلد ثور مملوءٌ علماً قال : له فالجامعة قال : تلك صحيفةٌ طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالج فيها كلّ ما يحتاج النّاس إليه وليس من قضيّة إلّا وهي فيها حتى أرش الخدش قال : فمصحف فاطمة عليها السلام قال: فسكت طويلًا ثمّ قال: إنّكم لتبحثون عمّا تريدون وعمّا لا تريدون إنّ فاطمة عليها السّلام مكثت بعد رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم خمسةً وسبعين يوماً وكان دخلها حزنٌ شديدٌ على أبيها وكان جبرائيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيّب نفسها ويخبر ها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذرّيّتها وكان عليٌّ عليه السلام يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة عليها السلام (١٩١).

(٥) . وفي صحيحة محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمّد عن عبد الصمد بن بشير،عن فضيل بن سكرة قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: يا فُضيل أتدري في أي شيء كنت أنظر قُبيل؟قال: قلت:لا، قال: كنت أنظر في كتاب فاطمة عليها السّلام ليس من ملك يملك [الأرض] إلاّ وهو مكتوب فيه باسمه واسم أبيه وما وجدت لولد الحسين فيه شيئاً(١٩٢).

(٦) . وروى الصّفّار بإسناده إلى أيوب بن نوح عن صفوا ن بن يحيى عن شعيب عن ضريس عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال:العلم ما حدث باللّيل والنّهار يومٌ بيوم وساعة بساعة[١٩٣].

(٧) . عن أحمد بن محمّد عن علي بن النعمان عن ابن مسكان عن ضريس قال: كنت مع أبي بصير عند أبي جعفر عليه السلام فقال له أبو بصير بما يعلم عالمكم جُعلت فداك؟ قال يا أبا محمّد إنّ عالمنا لا يعلم الغيب، ولو وكّل الله عالمنا إلى نفسه كان كبعضكم ولكن يحدث إليه ساعة بعد ساعة[١٩٤].

الطائفة الثامنة عشرة: " في قدرة الأئمّة عليهم السَّلام وأنّ الدنيا كجوزة في يد أحدنا " .

هذه الطّائفة المباركة كشفت عن مدلول قدرة آل البيت عليهم السَّلام وعظمتهم، وأنّ قدرتهم من قدرة الله عزّ وجل، ومَن كان بهذه الصفة كيف لا يكون علمه حضورياً؟!!.

من هذه الطائفة ما رواه الصفّار ـ قدَّس الله سرّه الشريف ـ :

(١) . حدثنا أحمد بن محمّد عن محمّد بن سنان عن عبد الملك القمي قال: حدثني إدريس عن الصادق عليه السلام قال: سمعته يقول إن منا أهل البيت لمن الدنيا عنده بمثل هذه وعقد بيده عشرة [١٩٥].

(٢) . حدثنا علي بن إسماعيل عن موسى بن طلحة عن حمزة بن عبد المطلب بن عبد الله الجعفي قال : دخلت على الرضا عليه السلام ومعي صحيفة أو قرطاس فيه عن جعفر عليه السلام أن الدنيا مثّلت لصاحب هذا الأمر في مثل فلقة الجوزة فقال يا حمزة ذا والله حق فانقلوه إلى أديم[١٩٦] .

(٣) . حدثنا محمد بن الحسين عن موسى بن سعدان عن عبد الله بن القاسم عن سماعة بن مهران قال : قال: أبو عبد الله (عليه السلام) إن الدنيا تمثل للإمام في فلقة الجوز فما تعرض لشي ء منها وإ نه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء فلا يعزب عنه منها شيء (١٩٧).

(٤) . حدثنا عبد الله بن محمد عمن رواه عن محمد بن خالد عن حمزة بن عبد الله الجعفري عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: كتبت في ظهر قرطاس إن الدنيا ممثله للإمام كفلقة الجوزة فدفعته إلى أبي الحسن (عليه السلام) وقلت جعلت فداك إن أصحابنا رووا حديثاً ما أنكرته غير أني أحببت أن أسمعه منك قال : فنظر فيه ثم طواه حتى ظننت أنه قد شق عليه ثم قال: هو حق فحوّله في أديم (١٩٨).

الطائفة التاسعة عشرة: " أنهم خزّان الله في أرضه وسمائه ".

ويشهد لهذه الطائفة أخبار متواترة أيضاً، وهل يُعقَل لخزّان الله في أرضه وسمائه أنْ لا يكونوا مسدَّدين بالعلم الحضوري؟، وهل تكون الخزانة من دون تسديد بما ذكرنا؟!.

من هذه الطائفة ما رواه الصفّار أعلى الله مقامه المقدَّس:

(١) . حدثنا أحمد بن الحسين بن سعيد عن علي بن أسباط عن أبيه أسباط بن سورة بن كليب قال : قال لي أبو جعفر (عليه السلام): والله إنا لخزّان الله في سمائه وأرضه لا على ذهب ولا على فضة إلا على علمه (١٩٩).

وبالجملة:

فإنّ لآل البيت عليهم السَّلام مقاماً محموداً لا يدركه أحدٌ من الأوّلين والآخرين إلى قيام يوم الدّين، وما أوردناه من الطوائف للتّدليل على سعة علومهم وحضورها لديهم كافيةٌ ووافية، وإنْ كان ثمّة الكثير ممّا لم نورده رعايةً للإختصار، ودفعاً للملل، ولكنّنا ذكرناها لنوضح للقارئ وجود تلكم الأخبار المتواتَرة الدّالة على المطلوب، إلاّ أنّ المشكِّكين تغا فلوا عن كلّ ذلك ابتغاء الفتنة وحبّ الدّنيا، والتقرُّب إلى حكّام وقضاة العامّة .

ومَن أراد المزيد فليراجع المصادر المعتَبَرة عند الإماميّة لا سيّما بصائر الدرجات والكافي وبحار الأنوار فيجد بغيته وينال مطلوبه، وغايتنا أنْ نعرّف النّاس ما كان عليه أئمّة آل البيت عليهم السَّلام، ولا تكون معرفتهم إلاّ بما عرّفونا وأبانوه لنا من ذلك المكنون في أوعية صدورهم .

وبما أوردناه يحصل الغَرَض المطلوب والضّالّة المنشودة، وإنّ ما أورَدْناه قطرة من غيث، وغَرْفة من بحر ما جاء عنهم في ذلك من الأخبار والآثار، فتأمّل.

إشكالات وردود:

قبل بيان الأخبار المعارِضة لأخبار العلم الحضوري، أودُّ عَرْض بعض الإشكالات التي قد يتصوَّرها بعضٌ، فأُريد إثارتها والإجابة عليها ليكون البحث مستوعِباً لأطرافه حتى لا يبقى منفذٌ لشبهةٍ أو تشكيك .

● الإشكال الأوّل:

إنّ بعض الطوائف المشار إليها، تختصّ بالأحكام وموضوعاتها الكليّة، فلا تشمل الموضوعات الصَّرْفة والجزئيّات الخارجيّة، فلا تدلّ على المطلوب وهو أنّ علمهم حضوري تامّ .

يرد عليه:

أوّلاً: دعوى عدم دلالتها على المطلوب بحاجةٍ إلى دليل، إذ من أين يُستكتشَفْ عدم دلالتها على الحضور، مع أن اللّفظ عامّ، والعموم ألْيَق بتلك المنزلة وهي سريان علمه بما كان وسيكون،فالأصل كونه عامّاً شامِلاً للأحكام والموضوعات الصَّرْفة، حتى تأتي قرينة تصرفه عن عمومه، وهي مفقودة في البَيْن.

ثانياً: إنّ مَن يتحلّى بتلك الصفات الشّريفة التي أخبرت عن بعضها هذه الأحاديث لا يستغرب من علمه إذا كان حضوريّاً وحاصِلاً لديه في كلّ حين، ومَن يكون مختلَفاً للملائكة وموضِعاً للرسالة وبيتاً للرحمة، وشجرةً للنبوّة، وحجّةً على الخلق، ونوراً يُستضاء به، كيف لا يكون حاضرَ العلمِ يدري بما يعمل النّاس ويصف لهم ما تنطوي عليه سرائرهم؟! .

● الإشكال الثاني:

إنّ الوراثة المذكورة في الطّائفة الخامسة مثلاً مختصَّة بالعلوم الشّرعيّة، ولا علاقة لها بالموضوعات الصَّرْفة، فتعميم الوراثة إلى الموضوعات الصَّرْفة خلاف التقييد بـ " الوراثة من الأنبياء السّابقين ".

يرد عليه:

أوّلاً: ما أوردناه على الإشكال الأوّل، يرد هنا حَذو القُذَّة بالقُذَّة والنّعل بالنّعل.

ثانياً: ليس معنى وراثة النبيّ والأئمّة عليهم السَّلام للأنبياء السّابقين أنهم سمعوه مباشرةً من الأنبياء، لوضوح موت الأنبياء قبل مجيء النبيّ وعترته الطّاهرة عليهم السَّلام، بل بمعنى وراثتهم لهم أنهم حصلوا على ما حصل عليه الأنبياء من حروف الإسم الأعظم الّذي من خلاله عرفوا العلوم والأحكام التي نزلت على الأنبياء، فوراثتهم لهم بمعنى إحاطتهم لما علمه الأنبياء، وليس بمعنى تناقل الأحكام إليهم عبر التلقين الحاصِل بالسُّماع .

إنْ قيل: قد ورد أنهم عليهم السَّلام يعرفون جميع الكتب السّماويّة التي نزلت على الأنبياء، فهي محفوظة عندهم، وعليه تكون وراثتهم مخصوصة بما حفظوه من كتب الأنبياء .

قلنا: ما ذُكِرَ صحيح، وهو القدر المتيْقَّن من مفهوم الوراثة، بل هو أحد مصاديقها، لكنْ هذا لا يمنع من كونهم وارثين وراثةَ إحاطةٍ، وذلك لشمول لفظ الوراثة لكِلا المعنَيَين، مضافاً إلى وجود قرائن قطعيّة . كآياتٍ وأخبارٍ . دلَّت على إحاطتهم اللّدنيّة للمعارف والعلوم قبل هبوط أرواحهم إلى أجسادهم المطهَّرة، بل إنّ الأنبياء إنّما صاروا علماء ببركة ذواتهم المقدَّسة عليهم السَّلام .

فدعوى قصر الوراثة على السُّماع أو الحفظ من الكتب خلاف الإطلاق الدّال على الشّمول بمقدِّمات الحكمة .

ودعوى الإنصراف أو التبادر إلى خصوص السُّماع أو الحفظ، مردودة من حيث إنّ التبادر انسباق المعنى إلى الذّهن إنما هو من حاقّ ال لّفظ من دون قرينة تعيِّن المراد، ولكنْ مع وجودها . حسبما أشرنا آنفاً . فلا مجال لدعوى التبادر أو الإنصراف، وعلى فَرْض صحّة التبادر، فلا يمنع من التمسّك بالمعنى الآخر الّذي لم يتبادر من حاقّ اللّفظ وإنما كان لوجود القرينة، إذ ليس لحضور المعنى منشأ إلاّ أحد أمرين: إمّا الوضع أو القرينة، فإذا انتفى الأوّل ثبُتَ الثاني .

● الإشكال الثالث:

الطائفة التي دلّت على أنهم عليهم السَّلام يخبرون النّاس بما يجري في المستقبل، ويتكلمون اللّغات، إنما تدلّ . حسبما أفاد الشيخ الصّدوق . على أنّ الإمام يُخبر بما يكون في غدٍ بعهدٍ واصلٍ إليه من رسول الله، وذلك مما نزل به عليه جبرائيل عليه السلام من أخبار الحوادث الكائنة إلى يوم القيامة (٢٠٠).

يرد عليه:

أوّلاً: إنّ الأخبار المتواترة الدالّة على كون الإمام محدَّثاً وأنه مؤيّد بروح القدس، وأنّ الملائكة والرّوح تنزل عليه في ليلة القدر و غيرها تغني عن هذا التكلُّف . حسبما أفاد العلاّمة المجلسي . لكنّه أخطأ قدّس سرّه عندما صحّح للشيخ الصّدوق شبهته في نسبة الصحّة إلى توجيه الصّدوق المتقدّم، إذ من أين له وجه الصحّة وهو على هذه الهيئة من التكلُّف أيضاً، مضافاً لمخالفته للعمومات والإطلاقات .

ثانياً: الأخذ بهذا الوجه الّذي قال به الصّدوق يستلزم أنْ يكون بعض الأنبياء بل جلُّهُم إنْ لم يكن كلُّهم، أفضل من أئمتنا الأطهار، إذ إنّ الأنبياء يخبرون عن الله دون واسطة بشر، والأئمّة يخبرون بواسطة بشر، وهو خلف كونهم عليهم السَّلام أئمّة يهدون بأمره عزّ وجلّ .

● الإشكال الرابع:

أشارت الطّائفة التاسعة إلى أنّ علماً خاصّاً لا يعلمه آل البيت عليهم السَّلام بل يعلمون العلم العامّ الّذي يتساوى به الأنبياء والملائكة، فما وجه الدّعوى القائلة بأنهم يعلمون كلّ شيء فعلاً؟!!.

يرد عليه:

أوّلاً: إذا كان الأئمة عل يهم صلوات الله يتساوون مع ما عَلِمَه الأنبيَاءُ والمرسَلون فأيّ فضيلة إذاً لآل البي ت عليهم السَّلام ما داموا متساو ين مع غيرهم؟ بل هم من هذه النّاحية ورثةٌ ونقلةٌ وحفظةٌ لعلوم الأنبياء، والتّساوي يتعارض مع قوله تعالى: ﴿**وفوق كلّ ذي علمٍ عليم**﴾، ويتعارض مع الأخبار التي دلّت إلى أنّ معهم إثنين وسبعين حرفاً من الإسم الأعظم .

ثانياً: إنّ لسان تلك الأخبار إنما هو العلم الخاصّ الّذي لم يُطلع اللهُ عليه أحداً من الأنبياء، أمّا الأئمّة عليهم السَّلام فإنّ الله أطلعهم على علمه الخاصّ دون سائر الخلق، ويشهد لما قلنا ما ورد عن الصفّار "قدّسَ سرّه":

(**١**) . بإسناده إلى ضُريس عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام، قال ضريس: سمعتُ الإمام يقول: إنّ لله علمين، علم مبذولٌ وعلمٌ مكفوف، فأمّا المبذول

فإنه ليس من شيء يعلمه الملائكة والرُّسُل إلاّ ونحن نعلمه، وأمّا المكفوف فهو الّذي عنده في أمّ الكتاب، إذا خرج نفذ[٢٠١] .

وكون العلم المكفوف في أمّ الكتاب . أي اللّوح المحفوظ . يستلزم علمهم بما في أمّ الكتاب قال الله تعالى : ﴿ **كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب**﴾ الرعد/٤٣ .

(٢) . وفي مرفوعة أبي عبد الله البرقي يرفعه إلى الإما م أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ لله علمَيْن، علمٌ تعلمه الملائكة ورسُله، وعلمٌ لا يعلم غيره، فما كان مما يعلمه ملائكته ورسله فنحن نعلمه، وما خرج من العلم الذي لا يعلم غيره فإلينا يخرج[٢٠٢] .

فقوله في خبر ضريس : " إذا خرج نفذ " يوضّحه قوله في خبر محمّد بن خالد البرقي بقوله: " فإلينا يخرج " .

ولا يبعُد أنْ يُقرأ قوله بصيغة المضارع المجهول في الخبر الثّاني : " لا يُعلَم غيره " إلى صيغة المضارع المعلوم هكذا : " لا يَعلَمُه غيره " فيكون التّصحيف قد وقع في العبارة الثّانية إلى ما هو مذكور في المصدر، أو أنّ مبغضي آل مح مّد عليهم السَّلام حرَّفوا عبارة " لا يعلمه غيره " إلى: " لا يعلم غيره " فتأمّل .

وبهذا نكون قد عالجنا بقيّة الأخبار التي لم تكن فيها عبارتا " لا يعلم غيره " و" ...في أمّ الكتاب إذا خرج نفذ " .

مضافاً إلى أنّ العبارتين المذكورتين بالكيفيّة التي أشرنا تفسّران بقيّة الأخبار التي أفادت انحصار قسم خاصّ من العلم به عزّ وجلّ، بمعنى أنّ العلم الخاصّ

الّذي استأثره الله عنده قد أخفاه على الملائكة المقرَّبين والأنبياء المرسَلين إلاّ على آل محمّد فإنّه خرج من عنده عزّ وجلّ ونفذ إليهم روحي فداهم .

والأقرب أنْ يكون هذا العلم الخاصّ الّذي إذا خرج نفذ إليهم هو البداء أو تفاصيل الأمور مطلقاً، فقد أطلعهم الله عزّ وجلّ عليها دون سائر خلقه من الأنبياء والمرسَلين والملائكة المقرَّبين، فبذا يتميّز آل محمّد على غيرهم من سائر العالمين،أو يحمل ذاك العلم الخاص على العلم بذا ته عزّ وجلّ، لكنّه مردود، وذلك لتساوي علم محمّد وآله بعلم الأنبياء والملائكة مع أنّ آل البيت عليهم السَّلام أعلم منهم قطعاً، وإذا تساوى العِلْمان فأيّ فضيلة لهؤلاء على أولئك؟!!.

• الإشكال الخامس:

أشارت الطّائفة الثانية عشرة إلى أنّ علمهم سرّ مستسرّ لا يحتمله لا ملك مقرَّب ولا نبيّ مرسَل ... مع أنها متعارِضة بنصوصٍ أخرى دلّت على أنه يمكن للملك أنْ يحتمله وكذا النبي المرسَل والعبد الممتحَن، فكيف يمكن علاج التعارض المذكور الّذي لو بقي يؤدّي إلى عدم الوثوق بتلك الأخبار للوهلة الأولى؟!!.

الجواب:

لا تعارض بين أخبار : " إنّ علمهم لا يحتمله لا ملكٌ مقرَّب ولا نبيٌّ مرسَل"، وبين أخبار : " إنّ حديث آل محمّد لا يؤمن به إلاّ ملَك مقرَّب أو نبيّ مرسَل أو عبدٌ امتحَن الله قلبه للإيمان ..."، وذلك لإمكان حمْل الطائفتين

من تلكم الأخبار المزبورة على تفاوت علومهم بحسب قابل   يات الملائكة والمرسَلين وعباد الله الصالحين، من هنا ورد انّ من بعض حديثهم ما لا يحتمله إلاّ هم(٢٠٣)، مضافاً إلى أنّه ورد عنهم عليهم السَّلام من أنّ حديثهم تشمأزّ منه القلوب فمن عرف فزيدوه ومن أنكر فذروه (٢٠٤).

الإشكال السادس: إنّ أخبار الطائفة الثانية عشرة تشير إلى أن سرّهم مقنَّع بالميثاق مَن هتكه(٢٠٥) أذلّه الله عزّ وجلّ، تتعارض مع أخبار " أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملَكٌ مقرَّب أو نبيّ مرسَل أو عبد ممتحَن..."، فكيف يكون صعباً مبالَغاً في صعوبته، ثمّ يتعرَّض صاحبه للإذلال والهتك، ألا تدلّ صعوبته على عدم جواز البوح به؟ وكيف يلقون بأسرارهم إلى مَن يعرفون أنه يبوح بها ويتعرّض للإذلال؟!!.

الجواب:إنّ أخبار الطائفة الثانية الدالّة على أنّ مَن هتك سرّهم أذلّه الله، تُحمل على ما لو أشاعه على المنكِرين للولاية ويشهد له ما ورد في موثقة الحارث بن حصير عن الأصبغ بن نباتة عن مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال:

سمعتُه يقول: إنّ حديثنا صعبٌ مستصعَب خشن مخشوش فانبذوا الناس نبذاً، فمَن عرف فزيدوه، ومَن أنكر فأمسِكوا، لا يحتمله إلاّ مَلَكٌ مقرَّب أو نبيٌّ مرسَل أو عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان(٢٠٦).

وكما في حسنة عبّاد بن يعقوب الأسدي قال:

حدَّثنا محمّد بن إبراهيم عن فرات بن أحمد [الأصحّ أحنف] قال: قال الإمام عليّ (عليه السلام): إنّ حديثنا تشمأزّ منه القلوب، فمَن عرف فزيدوهم، ومَن أنكر فذروهم(٢٠٧) .

وبالجملة: لا إشكال في بثّ بعض أسرارهم التي تتناول معاجزهم ولِؤاماتهم وشؤونهم وأحوالهم الروحيّة العالية على المؤمنين الممتحَنين، وعدم جواز ذلك على المنكرين والمشكِّكين لاستلزام ذلك الكفر، وإليه تشير صحيحة المفضّل عن مولانا الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال:

"إنّ حديثنا صعبٌ مستصعب ذكوان أجرد لا يحتمله ملك مقرَّب ولا نبيّ مرسَل ولا عبد امتحن الله قلبه للإيمان، أما الصعب فهو الذي لم يُركَب بعد، وأما المستصعب فهو الّذي يُهرَب منه إذا رأى، وأما الذكوان فهو ذكاء المؤمنين، وأما الأجرد فهو الّذي لا يتعلق به شيء من بين يديه ومن خلفه، وهو قوله: ﴿**الله نزّل أحسن الحديث**﴾ فأحسن الحديث حديثنا لا يحتمله أحد من الخلائق أمره بكماله حتى يحدّه لأنه مَن حدّ شيئاً فهو أكبر منه والحمد لله على التوفيق، والإنكار هو الكفر(٢٠٨) .

وما ورد عن عبد الرّحمان بن أبي هاشم عن عمرو بن شمر عن مولانا الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال:" إنّ حديثنا صعبٌ مستصعَب أجرد ذكوان وَعِرٌ شريف كريم، فإذا سمعتم منه شيئاً ولانت له قلوبكم فاحتملوه واحْمُدوا الله عليه، وإنْ لم تحتملوه ولم تطيقوه فردّه إلى الإمام العالِم من آل محمّد، فإنما الشقيّ الهالِك الّذي يقول: والله ما كان هذا، ثمّ قال : يا جابر إنّ الإنكار هو الكفر بالله العظيم "(٢٠٩).

وورد مثله في صحيحة المفضل فراجع.

• الإشكال السابع:

أشارت الطائفة السابعة عشرة إلى أنّ مصحف مولاتنا فاطمة روحي فداها هو إخبار جبرائيل، مع أنّ ثمة مشكّكاً يدّعي أنه من إملاء رسول الله، بمعنى أنّ الصدّيقة سيّدة النساء كانت تسمع من رسول الله وتك تبه، وحيث إنّ المصحف التكويني للصدّيقة الشهيدة أحد المنابع العلميّة لآل البيت عليهم السَّلام، فيه تفاصيل ما يجري على شيعتها إلى يوم القيامة وغير ذلك، لا يمكن حينئذٍ الجمع بين ما قيل من أنه حلالٌ وحرامٌ سمعته من رسول الله وبين ما سمعته من الملاك جبرائيل، فماذا تقولون؟.

يرد عليه :إنّ الأخبار متضافرة بل متواترة على أنّ مصحف مولاتنا الشهيدة فاطمة عليها السَّلام عبارة عن إخبارات تكوينية هبط بها الملاك جبرائيل ليسلّي عزاءها وغمّها مما أصابها من عمر بن الخطّاب وأبي بكر وزمرتهما يومذاك .

ودعوى بعض المشكّكين(*)؛ بأنّ المصحف هو ما كانت تكتبه مولاتنا الصدّيقة الزهراء البتول عليها السَّلام فيما تسمعه من أبيها وبعلها من الأحكام الشرعيّة، هذه الدّعوى دونها خرط القتاد، وأودّ التعرُّض لكلامه، حتى لا يُنسب إلينا أننا نفتري عليه بما هو منه براء، وحاشا لله أنْ نلصق بأحد تهمةً، كيف نفعل ذلك؟ وهو مبغوضٌ عند الله وموالينا الكرام، ويوجب

(*) هو السيد محمّد حسين فضل الله في كتابه : ثلاثة آلآف سؤال، والسيد هاشم معروف الحسني في كتابه: سيرة الأئمّة: ١/٩٦-٩٧ .

سخط الباري الجليل، والبعد عن أحبائي آل البيت عليهم السَّلام، وكما أنني لا أحبّ أنْ يلصق بي أحد شيئاً لم أفعله أو لم أقله، كذا لا أحبّ أنْ ألصق بالآخرين ما لم أحبّه لنفسي، إذ كما تدين بال باطل يأتي مَن يدينك بباطلٍ مثله .

سُئل صاحب الشبهة:

" ورد حديث في الكافي للكليني عن الإمام جعفر الصّادق عليه السلام يثير فيه إلى أنّ للشيعة مصحف يُسمّى بمصحف فاطمة، وورد أنّ هذا المصحف يوازي ثلاثة أضعاف القرآن الّذي بين أيدي المسلمين، ما مدى صحّة هذا الحديث وهل هناك بالفعل مصحف فاطمة؟ ثمّ هل صحيح الأحاديث الواردة بالكافي صحيحة، علماً بأنّ الكثير منها لا يوافق المنطق؟.

فأجاب: " أمّا بالنسبة إلى موضوع مصحف فاطمة، قطعاً الآن غير موجود عند أحد في العالم، غير موجود عند أي شخص من الشيعة، لا من العلماء ولا من غيرهم، ورد في حديثٍ، لكن كلمة المصحف ليس معناه القرآن، كلمة المصحف معناها الأوراق، ولهذا القرآن يسمى كمصحف باعتبار أنه يشتمل على أوراق مكتوب فيها هذا الشيء . فكلمة المصحف لا يراد منها أن هناك عند الشيعة قرآناً يسمّى مصحف، وإنما هو كتاب كانت تكتبه فاطمة، بعض الروايات تقول أنها كانت تكتبه فيما تسمعه من أبيها ومن عليّ عليه السلام حول قضايا الأحكام الشرعيّة، ولذا كان الإمام الصادق يقول لبعض بني عمّه من بني الحسن أنه هذا الحكم موجود في مصحف جدتك فاطمة عليها السَّلام، يعني في الكتاب الذي ألفته الزهراء

عليها السلام. وينقل أنّ الزهراء كان عندها كتابٌ وكانت تقرأ على النساء من خلال الكتاب . وهناك قول بأنّ الزهراء عليها السَّلام، أنّ الله أرسل . وهو غير ثابت . إليها مَلَكاً بعد وفاة أبيها ليؤنسها ويحدثها بأمور العالَم، وكانت تكتب ذلك . على كل حال ليس المراد بالمصحف القرآن أو م ا يكون بديلاً عن القرآن الإشتباه الذي حاصل إنما هو من إطلاق كلمة مصحف . يعني المفروض أنّ القرآن ليس اسمه مصحف . إنما سمي مصحف مثلما يسمى كل كتاب مصحف يعني من الصحف . مثل الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى أو صحف الناس .. أما مسألة موضوع الكافي فالكافي ليست كل الأحاديث الموجودة فيه صحيحة بل هناك أحاديث صحيحة وهناك أحاديث غير صحيحة ولهذا لا بدّ لنا في دراسة أحاديث الكافي لا بدّ أنْ ندرس أساليب الحديث ولا بدّ أنْ ندرس طبيعة الحديث من أنه موافقٌ للكتاب والسنّة القطعيّة وموافقٌ للعقل أو ليس موافق للعقل لنأخذ به أو لا نأخذ به"(*) .

وبالجملة: يُلاحظ على مقاله نقطتان:

النقطة الأولى: تشكيكه بأحاديث الكافي، وأنّ الخبر الصحيح هو ما كان موافِقاً للكتاب والسنّة والعقل .

النقطة الثانية : تفسيره للمصحف بأنه كتاب يشتمل على الأحكام الشرعية كانت كتبته الصدّيقة الشهي دة فيما تسمعه من أبيها وبعلها عليهما

(*) راجع كتاب حوار مع السيّد.. ثلاثة آلآف مسألة وجواب:٣١٧و٣١٨ .

السَّلام، مستشهِداً برواية عن الإمام جعفر الصّادق عليه السلام يُخبر فيها بعض بني عمّه من بني الحسن بعض الأحكام الشرعيّة .

مضافاً؛ إلى تشكيكه بالأخبار الدالّة على نزول جبرائيل على الصدّيقة المظلومة فاطمة عليها السَّلام بعد وفاة والدها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم ليؤنسها ويحدّثها بأمور العالَم، مدّعياً وجود خبرٍ ضعيفٍ من الناحية السّنديّة يدلّ على أنّ جبرائيل كان ينزل إليها .

يرد عليه:

أما النقطة الأولى : صحيح أنّ بعض أحاديث الكافي ليست قويّة سنداً كغيرها من الكتب المصدريّة عند الخاصّة والعامّة، ولا أحد يدّعي من الشيعة الإماميّة أنّ كلّ أسانيد الكافي صحيحة، لكنّ الدلالة أو المضمون يتطابقان ويتوافقان مع الكتاب والسنّة القطعيّة وأحكام العقل السليم، فأكثره صحيح من هذه الناحية وغير ملوَّث بشبهات العامّة وأباطيلهم وأر اجيزهم حيث ما فتئوا يشككون بكتاب أصول الكافي للكليني، ويشنّون الحملات على صاحبه الكليني أعلى الله مقامه الشّريف، والمشكِّك المذكور يسير على نفس المنوال والخطّ، ولا يترك مناسبة إلاّ ويتطرّق إلى الكافي، وكأنْ ليس في مكتبتنا سوى الكافي والبحار، ولكنّ الرّجل م عذورٌ . عند مقلّديه . لكونه أحد أعلام الوحدة بين الشيعة والسنّة، تلك الوحدة التي تريد تقويض التشيُّع كدينٍ لآل محمّد عليهم السَّلام، فلم نسمع أحداً من علماء العامّة شكّك بكتاب البخاري أو صحيح مسلم وغيرهما من الكتب عندهم التي تعجّ بالأباطيل والأكاذيب على رسول الله وبعض أصحابه المخلِصين أمثال عمّار وسلمان

وأبي ذر والمقداد وجابر، وما هذه الشنشنة التي يصدرها بين الفينة والأخرى إلاّ هديّة لعلماء العامّة والتقرُّب إلى بلاط حكّامهم وقضاتهم.

مضافاً؛ إلى أنّ ما شكّك به في تضعيفه لأكثر أحاديث الكافي، لا يتوافق حتى مع مسلكه الأصولي في تبنيه للخبر الموثوق الصّدور، ويظهر أنه من النّاحية العمليّة لا يعمل بمسلكه المتقدِّم، بل بما تمليه عليه الظروف والمصلحة الشخصيّة والإستحسانات والأقيسة العامية .

وأمّا النقطة الثانية فباطلة وذلك:

لأنّ الرواية المنقولة عن الإمام الصّادق عليه السلام ضعيفة سنداً من جهة وقوع سلمة بن الخطّاب في السند على قول بعضٍ، ومن جهة وقوع الحسين بن راشد، والأرجح ضعفه، واستظهر بعض كونه "الحسن بن راشد" وقد ضعّفه النجاشي .

وإليك الخبر : عن البرقي، عن سلمة بن الخطّاب، عن الحسين بن راشد، عن عليّ بن إسم اعيل الميثمي عن حبيب الخثعمي قال : كتب أبو جعفر الخليفة إلى محمّد بن خالد بن عبد الله القسريّ . وكان عامله على المدينة . أنْ يسأل أهل المدينة عن الخمسة في الزكاة من المائتين كيف صارت وزن سبعة ولم يكن هذا على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وأمره فيمن يسأل عبد الله بن الحسن، وجعفر بن محمّد عليه السلام .

فسأل أهل المدينة .

فقالوا: أدركنا مَن كان قبلنا على هذا .

فبعث إلى عبد الله وجعفر (عليه السلام)، فسأل عبد الله فقال كما قال المستفتون من أهل المدينة .

قال: فما تقول أنت يا أبا عبد الله؟ .

فقال: إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله جعل في كلّ أربعين أوقيّة؛ أوقيّة، فإذا حسبت ذلك كان على وزن سبعة [وقد كانت وزن ستة] كانت الدراهم خمس دوانيق .

قال حبيب: فحسبناه، فوجدناه كما قال .

فأقبل عليه عبد الله بن الحسن فقال: من أين أخذتَ هذا؟ .

فقال: قرأته في كتاب أمّك فاطمة عليها السَّلام . ثمّ انصرف .

فبعث إليه محمّد: إبعث إليّ بكتاب فاطمة عليها السَّلام .

فأرسل إليه الإمام أبو عبد الله (عليه السلام): إني إنما أخبرتك أني قرأته، ولم أخبرك أنه عندي .

قال حبيب: فجعل محمّد [بن خالد] يقول: ما رأيت مثل هذا قط[٢١٠] .

وعليه؛ فإنّ الخبر ضعيف من الناحية السندية، بالإضافة إلى مخالفته للأخبار المتضافِرة الدالّة على أنّ مصحف مولاتنا فاطمة إنما هو عكس المدَّعى، فحَسَب الصناعة الرجاليّة والفقهيّة لا يمكن تقديم الخبر الضعيف على الأخبار المتضافَرة والمتواترة، مع التأكيد على أنّ مورد الخبر أعمّ من المدَّعى، لأنّ المدَّعي هو ذكر المصحف وما ورد في الخبر إنما هو " كتاب أمّك فاطمة " والفرق واضح، إذ ليس في ذكر الكتاب إشارة إلى أنه

المصحف مورد النزاع، وقد يكون هذا الكتاب هو غير المصحف المذكور، إذ لمولاتنا مصحفان:

أحدهما: مصحف فاطمة أنزله الله تعالى عليها مكتوباً بواسطة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل كما في رواية "دلائل الإمامة" للطبري، عن أبي بصير قال: سألتُ الإمام أبا جعفر عليه السلام محمد بن علي عن مصحف فاطمة فقال : أنزل عليها بعد موت أبيها قلت : ففيه شيء من القرآن فقال : ما فيه شي ء من القرآن قلت: فصفه لي قال: له دفتان من زبرجدتين على طول الورق وعرضه حمراوين قلت: جعلت فداك فصف لي ورقه قال : ورقه من در أبيض قيل له كن فكان قلت: جعلت فداك فما فيه؟ قال: فيه خبر ما كان وخبر ما يكون إلى يوم القيامة وفيه خبر سماء سماء وعدد ما في السماوات من الملائكة وغير ذلك وعدد كل من خلق الله مرسلاً وغير مرسل وأسماؤهم وأسماء من أرسل إليهم وأسماء من كذب ومن أجاب وأسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين من الأولين والآخرين وأسماء البلدان وصفة كل بلد في شرق الأرض وغربها وعدد ما فيها من المؤمنين وعدد ما فيها من الكافرين وصفة كل من كذب وصفة القرون الأولى وقصصهم ومن وُلي من الطواغيت ومدة ملكهم وعددهم وأسماء الأئمة وصفتهم وما يملك كل واحدٍ واحدٍ وصفة كبرائهم وجميع من تردد في الأدوار . قلت: جعلت فداك وكم الأدوار؟ قال : خمسون ألف عام وهي سبعة أدوار فيه أسماء جميع ما خلق الله وآجالهم وصفة أهل الجنة وعدد من يدخلها وعدد من يدخل النار وأسماء هؤلاء وهؤلاء وفيه علم القرآن كما أنزل وعلم التوراة كما أنزلت وعلم الإنجيل كما أنزل وعلم الزبور

وعدد كل شجرة ومدرة في جميع البلاد قال مولانا أبو جعفر عليه السلام: ولما أراد الله تعالى أن ينزل عليها جبرائيل وميكائيل وإسرافيل أ ن يحملوه فينزلون به عليها وذلك في ليلة الجمعة من الثلث الثاني من الليل فهبطوا به وهي قائمة تصلي **فما زالوا قياماً حتى قعدت** ولما فرغت من صلاتها سلموا عليها وقالوا: السلام يقرئك السلام ووضعوا المصحف في حجرها فقالت : لله السلام ومنه السلام وإليه السلام وعليكم يا رسل الله السلام ثم عرجوا إلى السماء فما زالت من بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس تقرؤه حتى أتت على آخره ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس والطير والوحش والأنبياء والملائكة قلت : جعلت فداك فلمن صار ذلك المصحف بعد مضيها؟ قال : دفعته إلى أمير المؤمنين عليه السلام فلما مضى صار إلى الحسن عليه السلام ثم إلى الحسين عليه السلام ثم عند أهله حتى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر عليه السلام فقلت: إن هذا العلم كثير قال : يا أبا محمد إن هذا الذي وصفته لك لفي ورقتين من أوله وما وصفت لك بعد ما في الورقة الثانية ولا تكلمت بحرف منه (٢١١).

إشارة هامّة:

لو نظر المؤمن بعين الإعتبار ما لمولاتنا الصدّيقة من كرامات عند الله تعالى كما يشهد لها هذا الحديث الشريف الّذي دلّ على أنّ الملائكة العِظام بقوا واقفين إحتراماً وتعظيماً لمولاتهم الصدّيقة الكبرى التي على معرفتها دارت القرون الأولى، لرأى أنه ليس ثمة مخلوقٌ أفضل عند الله من الصدّيقة الطاهرة

على الإطلاق، فلم نسمع في خبرٍ صحيحٍ أنّ الملائكة الكرّوبيّين وقفوا قياماً إحتراماً لنبيٍّ كما فعلوا اتجاه مولاتهم الصدّيقة الطاهرة .

إنْ قيل: إنّ الملائكة سجدت لأبيها آدم فكيف تدّعون أنهم لم يقفوا قياماً لأحد، فالسجود أعظم من القيام .

قلنا: إنما سجدوا لآدم . حسبما جاء في النصوص المتضافرة . إكراماً لسيّدنا محمّد وآله الأطهار الميامين صلوات الله عليهم أجمعين .

وثانيهما: مصحفٌ آخر بإملاء رسول الله جبرائيل . وليس النبي الأكرم . وخطّ الإمام عليّ ، كما يشير إلى ذلك خبر محمّد بن عبد الحميد عن محمّد بن عمرو، عن حماد بن عثمان، عن عمر بن يزيد، قال : قلتُ للإمام أبي عبد الله : الذي أملى جبرائيل على عليّ أقرآن؟ .
قال : لا [٢١٢].

هذا مضافاً إلى أنّ الخبر أشار إلى أنّ الإمام الصادق نفى أنْ يكون الكتابُ عنده مع أنه قرأه، إذ أين هو الكتاب إذا لم يكن عند الإمام ؟ وهل هناك أحد ورث الصدّيقة غير الإمام ، وكون الكتاب فيه الحلال والحرام يستبعد من الإمام أنْ لا يريه إياه إلاّ إذا قلنا أنّ فيه أسراراً تكوينيّة لا يصحّ إطلاعها على السائل، فاستعمل الإمام معه التورية، والله أعلم بحقائق الأمور .

والأخبار التي تتحدّث عن المصحف وفيها ورد التعبير بـ " إملاء رسول الله " لا يُراد منها النبيّ محمّد حسبما توهّم كلُّ من أثبت تلك الأخبار في الكتب المعدّة لذلك، وإثباتهم بجنب كلمة رسول الله لفظ "صلّى الله عليه

وآله" ظناً منهم أنّ لفظ رسول الله عند الإطلاق يستلزم دائماً كونه النبيّ الأكرم محمّداً عليه وآله السَّلام .

من هنا استدرك العلاّمة المجلسي أعلى الله مقامه الشريف على خبر محمّد بن مسلم قال:

قال أبو عبد الله عليه السلام لأقوام كانوا يأتونه ويسألونه عمّا خلّف رسول الله ودفعه إلى عليّ عليه السلام، وعمّا خلّف عليّ عليه السلام ودفع إلى الحسن عليه السلام: ولقد خلّف رسول الله عندنا جلداً ما هو جلد جمال ولا جلد ثور ولا جلد بقرة إلاّ إهاب شاة فيها كل ما يحتاج إليه حتى أرش الخدش والظفر، وخلّفت فاطمة عليها السَّلام مصحفاً ما هو قرآن، ولكنه كلام من كلام الله أنزله عليها إملاء رسول الله وخطّ عليّ عليه السلام.

ثمّ عقّب المجلسي[٢١٣] فقال: والمراد برسول الله جبرائيل عليه السلام ولعلّ ما ورد في خبر إبن خنيس [٢١٤] من وجود كتاب عند الإمام الصادق عليه السلام بقوله: ما من نبيٍّ ولا وصيّ ولا ملك إلاّ في كتاب عندي "، يُقصد به الصحيفة أو الجفر المختصّ بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام .

كما أنّ التعبير بـ : "إنّ عندي لكتابين" الوارد في خبر إبن أُذينة [قال: سُئِلَ الإمام الصادق عن محمّد بن عبد الله فقال : إنّ عندي لكتابين، فيهما إسم كلّ نبي، وكلّ مَلِك يملك، لا والله، ما محمّد بن عبد الله في أحدهما][٢١٥].

يُراد بهما : مصحف مولاتنا فاطمة، وصحيفة مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

ولا يبعد وجود مصحف للصدّيقة فاطمة فيه حلال وحرام، نزل على رسول الله محمّد ثمّ دوَّنَته في كتاب، تماماً كما فعل أمير المؤمنين بالصحيفة والجامعة والجفر .

وبهذا يمكن الجمع بين الرواية التي ادّعى المشكِّك كونها عدّة روايات بقوله: " بعض الروايات " وبين الروايات المتضافرة التي دلّت على أنّ المصحف عبارة عن نزول جبرائيل بالإخبارات التكوينيّة تسليةً لغمّها وهمّها وإبرازاً لفضلها وعلوّ شأنها تماماً كما حصل لمريم حيث كان يهبط جبرائيل عليها ويحدّثها .

وصفوة القول : إنّ للصدّيقة سيّدة نساء أهل الجنّة، وليّة الله الكبرى فاطمة عليها السَّلام ثلاثة مصاحف:

- **المصحف الأوّل**: المصحف الّذي أنزله الله عليها، وحمله إليها جبرائيل وميكائيل وإسرافيل حسبما جاء في خبر دلائل الإمامة، وقد تقدّمت الإشارة إليه .
- **المصحف الثاني**: المصحف الّذي أملاه رسول الله جبرائيل عليها روحي فداها، وخطّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بيده .
- **المصحف الثالث**: المصحف الّذي فيه الحلال والحرام والأحكام الشرعية الأخرى، وهذا المصحف هو المروي عن سلمة بن الخطاب والذي قد توهمه البعض، أو قد يكون هذا المصحف أملاه أبوها على بعلها ثمّ ورثته منهما في حياتهما، من هنا وقع الإلتباس على السيّد هاشم معروف الحسني وأمثاله عندما حصروا مصحف الصدّيقة بالأحكام الشرعيّة دون غيرها من

الإخبارات التكوينيّة التي هبطت عليها مباشرةً من الملائكة الكرام ،لذا أُطلِق عليها بأمر من الله تعالى بأنها "محدَّثة" بصيغة إسم المفعول، لكونها محدَّثة وملهَمة من قِبَل ربّ العزّة جلّ جلاله .

حقيقة المصحف:

هنا يتضح لك أيها القارئ الكريم أنّ الرواية التي "ربّما ينتاقش بعضُهُم سنَدَها في هذا المجال "؛ لأنّ فيها فضيلة للصدّيقة الطاهرة . بنظر المشكِّك . ليست خبراً واحداً، بل أخبار متضافرة، وما ادّعاه من أنّ المصحف هو عبارة عما سمعته من الحلال والحرام من رسول الله إنما هو "بعض الروايات" خلاف الواقع، بل هو خبرٌ واحد لا يوجب عِلْماً ولا عملاً، كما إنّ دعواه بأنّ رواية نزول جبرائيل عليها ضعيفة مدَّعياً بأنّ "البعض يناقش في سندها"، أيضاً هذا خلاف الواقع، كما سوف يأتيك في عرض النصوص المتواترة الدالّة على المِصحف التكويني .

المصحف التكويني:

دلّت الأخبار المتواترة، وأكثرها صحيح سنداً وكلها صحيحة ومعتبرة دلالةً، على أ نّ مصحف مولاتي فاطمة عليها السَّلام هو عبارة عن نزول جبرائيل عليها بالإخبارات الكونيّة وما شابه ذلك، ولا علاقة للأحكام الشرعيّة فيه بوجه على الإطلاق، وإليك طائفة من هذه الأخبار، لا سيّما ما رواه الشيخ الكليني أعلى الله مقامه في الكافي، باب في ذكر الصحيفة و الجفر والجامعة ومصحف الصدّيقة فاطمة، وكلّها أخبار صحيحة وموثقة، وموافقة للكتاب الكريم وأحكام العقل السليم، بل جلّ ما فيه صحيح ومعتمَد .

(١) . عدّةٌ من أصحابنا عن أحمد بن محمّد عن عبد اللّه بن الحجّال عن أحمد بن عمر الحلبيّ عن أبي بصير قال : دخلت على أ بي عبد اللّه عليه السلام فقلت له: جعلت فداك إني أسألك عن مسألة هاهنا أحدٌ يسمع كلامي قال: فرفع أبو عبد اللّه عليه السلام سترا بينه وبين بيت آخر فاطّلع فيه ثمّ قال : يا أبا محمّد سل عمّا بدا لك قال: قلت: جعلت فداك إنّ شيعتك يتحدّثون أنّ رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم علّم علياً عليه السلام باباً يفتح له منه ألف باب قال: فقال يا أبا محمّد علّم رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّاً عليه السلام ألف باب يفتح من كلّ باب ألف باب قال : قلت: هذا واللّه العلم قال: فنكت ساعة في الأرض ثمّ قال: إنّه لعلمٌ وما هو بذاك قال: ثمّ قال: يا أبا محمّد! وإنّ عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال : صحيفةٌ طولها سبعون ذراعا بذراع رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وإملائه من فلقِ فِيهِ وخطّ عليّ بيمينه فيها كلّ حلال وحرام وكلّ شيء يحتاج النّاس إليه حتى الأرش في الخدش وضرب بيده إليّ فقال : تأذن لي يا أبا محمّد قال : قلت: جعلت فداك إنّما أنا لك فاصنع ما شئت قال: فغمزني بيده وقال: حتى أرش هذا كأنّه مغضبٌ قال : قلت: هذا واللّه العلم قال: إنه لعلمٌ وليس بذاك ثمّ سكت ساعة ثمّ قال : وإنّ عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر قال : قلت: وما الجفر؟ قال: وعاءٌ من أدم فيه علم النّبيّين والوصيّين وعلم العلماء الّذين مضوا من بني إسرائيل قال : قلت: إنّ هذا هو العلم قال: إنه لعلمٌ وليس بذاك ثمّ سكت ساعة ثمّ قال : وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السّلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السّلام

قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السّلام؟ قال : مصحفٌ فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات واللّه ما فيه من قرآنكم حرفٌ واحدٌ قال : قلت: هذا واللّه العلم قال : إنه لعلمٌ وما هو بذاك ثمّ سكت ساعة ثمّ قال : إنّ عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائنٌ إلى أن تقوم السّاعة قال : قلت: جعلت فداك هذا واللّه العلم قال : إنه لعلمٌ وليس بذاك قال : قلت: جعلت فداك فأيّ شيء العلم قال : ما يحدث باللّيل والنّهار الأمر من بعد الأمر والشّي ء بعد الشّيء إلى يوم القيامة (٢١٦).

(**٢**) . عدّةٌ من أصحابنا عن أحمد بن محمّد عن عمر بن عبد العزيز عن حمّاد بن عثمان قال : سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: تظهر الزّنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة عليها السّلام قال : قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال : إنّ اللّه تعالى لما قبض نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم دخل على فاطمة عليها السّلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلاّ اللّه عزّ وجلّ فأرسل اللّه إليها ملكا يسلّي غمّها ويحدّثها فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصّوت قولي لي فأعلمته بذلك فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلّ ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً قال: ثمّ قال: أما إنه ليس فيه شيءٌ من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون(٢١٧) .

تنبيه:

ما ذكره المحشّي على الخبر في أصول الكافي من أنّ السّبب في شكايتها لما سمعته من جبرائيل هو عدم حفظها أو رعبها من الملَك حال وحدتها به

وانفرادها بصحبته يُعتبر افتراءاً على الصدّيقة وتقصيراً في البحث عمّا يناسب وعصمتها عليها السَّلام .

(٣) . وفي حسنة أو موثّقة الحسين بن أبي العلاء قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول إنّ عندي الجفر الأبيض قال : قلت: فأيّ شيء فيه قال: زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم عليه السلام والحلال والحرام ومصحف فاطمة ما أزعم أنّ فيه قرآنا وفيه ما يحتاج النّاس إلينا ولا نحتاج إلى أحد حتى فيه الجلدة ونصف الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش وعندي الجفر الأحمر قال: قلت: وأيّ شيء في الجفر الأحمر قال: السّلاح وذلك إنّما يفتح للدّم يفتحه صاحب السّيف للقتل فقال له عبد اللّه بن أبي يعفور : أصلحك اللّه أيعرف هذا بنو الحسن؟ فقال إي واللّه كما يعرفون اللّيل أنّه ليلٌ والنّهار أنّه نهارٌ ولكنّهم يحملهم الحسد وطلب الدّنيا على الجحود والإنكار ولو طلبوا الحقّ بالحقّ لكان خيراً لهم[٢١٨] .

تنبيه:

الضمير في قوله :" فيه " المتّصل بقوله :"ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحدٍ حتى فيه الجلدة " راجعٌ إلى الجفر لا إلى المصحف حسبما توهّمه بعضٌ،لوجود أخبارٍ منها موثّقة حمّاد وغيرها من الأخبار الدّالة على أن مصحف الصّديقة فاطمة ليس قرآناً ولا يوجد فيه شيءٌ من الحلال والحرام وإنّما إخبارات غيبيّة وحوادث زمنيّة وما شابه ذلك

إن قيل: أليست الإخبارات الغيبيّة والحوادث الزمنيّة داخلةً في عناوين الحلال والحرام،فكيف تقولون بأنّ مصحفها لا يشمل الحلال والحرام؟

قلنا: إنّ المراد بقوله لا يوجد فيه شيءٌ من الحلال والحرام بعنوانه الأوّلي ،أمّا الثانوي الطّارىء على الموضوعا ت فلا بدّ أن يتّصف الموضوع بأحد التكاليف الشّرعيّة الأربعة،دون المباح الّذي قد يتّصف بحكمٍ وقد لا يتّصف،هذا إذا قلنا أنّ المباح ليس من التكاليف الشّرعيّة المقرّرة، أمّا لو قلنا بأنّه كذلك فيكون ما في المصحف هو عبارة عن موضوعاتٍ تتعلّق بأحكامٍ شرعيّة أحدها المباح ،فيكون المراد من نفي وجود حلالٍ وحرام فيه بالقصد الأوّلي الذي ذكرناه،أو قد يُراد منه نفي نزول حلالٍ وحرام بواسطة الملك على الصّدّيقة لأنّ ذلك مختصٌّ برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

والإخبارات الغيبيّة الموجودة في المصحف هي تماماً كالإخبارات الغيبيّة الّتي تتعلّق بالحوادث الكونيّة إلى يوم القيامة والتي صدرت من أبيها وبعلها وبنيها عليهم السّلام.

(٤) . وفي صحيحة محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن إبن محبوب عن إبن رئاب عن أبي عبيدة قال : سأل أبا عبد اللّه عليه السلام بعضُ أصحابنا عن الجفر فقال هو جلد ثور مملوءٌ علماً قال : له فالجامعة ،قال : تلك صحيفةٌ طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالج فيها كلّ ما يحتاج النّاس إليه وليس من قضيّة إلّا وهي فيها حتى أرش الخدش . قال: فمصحف فاطمة عليها السّلام قال: فسكت طويلاً ثمّ قال : إنّكم لتبحثون عمّا تريدون وعمّا لا تريدون إنّ فاطمة مكثت بعد رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم خمسة وسبعينَ يوماً وكان دخلها حزنٌ شديدٌ على أبيها وكان جبرائيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيّب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما

يكون بعدها في ذرّيّتها وكان عليٌّ عليه السلام يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة عليها السّلام [٢١٩] .

(**٥**) . وفي موثّقة أحمد بن محمّد عن صالح بن سعيد عن أحمد بن أبي بشر عن بكر بن كرب الصّيرفيّ قال : سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول إنّ عندنا ما لا نحتاج معه إلى النّاس وإنّ النّاس ليحتاجون إلينا وإنّ عندنا كتاباً إملاء رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وخطّ عليّ عليه السلام صحيفة فيها كلّ حلال وحرام وإنّكم لتأتونا بالأمر فنعرف إذا أخذتم به ونعرف إذا تركتموه[٢٢٠].

ملاحظة: المراد من الكتاب هنا هو تلك الصحيفة التي فيها كلّ حلالٍ وحرام وليس المراد منه مصحف الصّديقة التكويني .

(**٦**) . وفي موثّقة عبد الملك بن أعين قال لأبي عبد اللّه عليه السلام إنّ الزّيديّة والمعتزلة قد أطافوا بمحمّد بن عبد اللّه فهل له سلطانٌ ؟فقال: واللّه إنّ عندي لكتابين فيهما تسمية كلّ نبيّ وكلّ ملك يملك الأرض، لا واللّه ما محمّد بن عبد اللّه في واحد منهما[٢٢١].

تنبيه:

المراد من الكتابين في الصحيفة المتقدّمة هو ما أشرنا إليه سابقاً من أنه صحيفة مولانا أمير المؤمنين . أي الجفر . وصحيفة الصدّيقة المتعلّقة بالحوادث . أي المصحف التكويني .

(**٧**) . موثّقة فضيل بن سكّرة قال: دخلت على أبي عبد اللّه عليه السلام فقال يا فضيل أتدري في أيّ شيء كنت أنظر قبيل قال : قلت: لا، قال: كنت أنظر

في كتاب فاطمة عليها السّلام ليس من ملك يملك الأرض إلّا وهو مكتوبٌ فيه باسمه واسم أبيه وما وجدت لولد الحسن فيه شيئاً[٢٢٢].

(٨) . ما رواه الطبري في صحيحة أبي بصير في خبر مصحف الصديقة، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام عن مصحف فاطمة ؟فقال:أُنزل عليها بعد موت أبيها،قلت:ففيه شيءٌ من القرآن ؟ فقال: ما فيه شيءٌ من القرآن، قلت : فصفه لي،فقال: له دفّتان من زبرجدتين على طول الورق، وعرضه حمراوين ،قلت جعلت فداك : فصف لي ورقه؟ قال :ورقه من درٍّ أبيض قيل له كُن فكان، قلت جعلت فداك : فما فيه؟ قال :فيه خبر ما كان وخبر ما يكون إلى يوم القيامة...."[٢٢٣]. الخبر طويل قد أوردناه سابقاً، فراجع.

ملاحظة: يُستفاد من هذا الحديث الشريف أن لمولاتنا فاطمة مصحف نزل من عند الله تعالى مكتوبٌ على صحيفة من دُر، وهو غير المصحف الذي كتبه أمير المؤمنين بيده ،ويشهد لما قلنا أمران: **أحدهما** أنّه كتابٌ أوراقه من دُر مما يعني أنه مكتوبٌ على هذا الدّر،لا أنّ الأمير عليه السلام كتبه بيده.

ثانيهماأنّ الملائكة الكرّوبيين الثلاث :جبرائيل وميكائيل وإسرافيل،ملوك العلم والحياة نزلوا إليها ليهدوها من الله عزّ اسمه هذا الكتاب الدّري.

أمّا الذي أملاه جبرائيل وكتبه أمير المؤمنين عليه السلام فيختلف عن الكتاب المتقدّم،فللصّدّيقة الطاهرة صحفٌ كثيرة حسبما أشرنا سابقاً،ولما رواه الصفّار بإسناده إلى : محمد بن حسان ويعقوب بن إسحاق عن أبي عمران الأرمني عن محمد بن علي بن أسباط ع ن يعقوب بن سا لم عن أبي الحسن العبدي

عن علي بن ميسرة عن أبي أراكة قال : كنا مع علي بمسكن فحدثنا أن علياً عليه السلام ورث من رسول الله السيف وبعض يقول البغلة وبعض يقول ورث صحيفة في حمائل السيف إذ خرج علي عليه السلام ونحن في حديثه فقال ايم الله لو انبسط ويؤذن لي لحدّثتكم حتى يحول الحول لا أعيد حرفاً، وايم الله إن عندي لصحف كثيرة قطائع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته وإن فيها لصحيفة يقال له العبيطة وما ورد على العرب أشد عليهم منها وإن فيها لستين قبيلة من العرب مبهرجة ما لها في دين الله من نصيب[٢٢٤].

ولما روي عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن سيف العميرة عن أبي بكر الحضرمي عن رجل من بني حنيفة قال : كنت مع عمّي فدخل على علي بن الحسين عليه السلام فرأى بين يديه صحايف ينظر فيها،فقال له : أيّ شيءٍ هذه الصحف جُعلت فداك؟قال: هذا ديوان شيعتنا ،قال:أفتأذن أطلب إسمي فيه،قال: نعم ،فقال: فإنّي لست أقرأ وابن أخي على الباب فتأذن له فيدخل حتى يقرأ؟ قال :نعم،فأدخلني عمّي فنظرت في الكتاب فأوّل شيءٍ هجمت عليه إسمي فقلت : إسمي وربّ الكعبة،قال : ويحك فأين أنا ،فجزت بخمسة أسماء أو ستّة ثمّ وجدت إسم عمّي ..."[٢٢٥].

(**٩**) . ما رواه المجلسي عن الاحتجاج والإرشاد عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال: علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب ونقر في الأسماع وإن عندنا الجفر الأحمر والجفر الأبيض ومصحف فاطمة عليها السّلام وعندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج الناس إليه، فسُئل عن تفسير هذا الكلام فقال أما الغابر فالعلم بما يكون وأما المزبور فالعلم بما كان، وأما النكت في القلوب فهو

الإلهام وأما النقر في الأسماع فحديث الملائكة عليهم السّلام نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم، وأما الجفر الأحمر فوعاءٌ فيه سلاح رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولن يخرج حتى يقوم قائمنا أهل البيت وأما الجفر الأب يض فوعاء فيه توراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وكتب الله الأولى وأما مصحف فاطمة عليها السّلام ففيه ما يكون من حادث وأسماء من يملك إلى أن تقوم الساعة وأما الجامعة فهو كتاب طوله سبعون ذراعاً إملاء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من فلق فيه وخط علي بن أبي طالب عليه السلام بيده فيه والله جميع ما يحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة حتى أن فيه أرش الخدش والجلدة ونصف الجلدة[٢٢٦].

تنبيه: قوله : "نسمع كلامهم . أي الملائكة . ولا نرى أشخاصهم " يتعارض مع الأخبار الصحيحة التي دلّت على أنهم يرون الملائكة، بل هم مختلف الملائكة ،فلا بدّ من تأويل هذا المقطع على صحة فرض صدوره عن المعصوم، بما يتناسب والإطلاقات الدّالّة على رؤيتهم للملائكة ،أو أن يقال أنه لا تلازُم بين السماع والرؤية،إذ عدم الرؤية ليس نقصاً في قابليّاتهم،إذ إنّ الرؤيّة قلبيّة فلا داعي للرؤية البصرية ما داموا عارفين بحقائق الملائكة وكينونتهم، والأوّل هو الأرجح .

(١٠) .ففي الكافي عن سهل عن محمد بن سليمان عن أبيه عن أبي بصير قال: بينا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ذات يوم جالساً إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إن فيك شبها م ن عيسى ابن مريم لو لا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في

عيسى إبن مريم لقلت فيك قولا لا تمر بملأٍ من النّاس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة قال : فغضب الأعرابيان والمغيرة بن شعبة وعدة من قريش معهم فقالوا ما رضي أن يضرب لابن عمه م ثلًا إلا عيسى ابن مريم فأنزل الله على نبيّه فقال : ﴿**ولمّا ضرب إبن مريم مثلًا إذا قومك منه يصدّون وقالوا ءآلهتنا خيرٌ أم هو ما ضربوه لك إلّا جدلاً بل هم قومٌ خصِمون إن هو إلّا عبدٌ أنعمنا عليه وجعلناه مثلًا لبني إسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم**﴾ يعني من بني هاشم ﴿**ملائكة في الأرض يخلفون** ﴾قال: فغضب الحارث بن عمرو الفهري فقال اللّهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك أن بني هاشم يتوارثون هرقلاً بعد هرقل فأمطر علينا حجارةً من السّماء أو ائتنا بعذاب أليم فأنزل الله عليه مقالة الحارث ونزلت هذه الآية :﴿**وما كان اللّه ليعذّبهم وأنت فيهم وما كان اللّه معذّبهم وهم يستغفرون** ﴾ ثم قال: يا أبا عمرو إمّا تبت وإما رحلت، فقال: يا محمد بل تجعل لسائر قريش شيئاً مما في يديك فقد ذهبت بنو هاشم بمكرمة العرب والعجم، فقال له النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ليس ذلك إلي ذلك إلى الله تبارك وتعالى، فقال: يا محمد قلبي ما يتابعني على التوبة ولكن أرحل عنك ! فدعا براحلته فركبها فلما سار بظهر المدينة أتته جندلة فرضت هامته ثم أتى الوحي إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: ﴿**سأل سائلٌ بعذاب واقع للكافرين**﴾ بولاية علي ﴿ **ليس له دافعٌ من اللّه ذي المعارج**﴾ قال: قلت: جُعلت فداك إنا لا نقرؤها هكذا فقال هكذا نزل بها جبرائيل على محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وهكذا هو والله **مثبتٌ في مصحف فاطمة** عليها السّلام فقال رسول الله

صلّى الله عليه وآله وسلّم لمن حوله من المنافقين انطلقوا إلى صاحبكم فقد أتاه ما استفتح به قال: الله عز وجل واستفتحوا وخاب كلّ جبّار عنيد[٢٢٧].

(١١) . وعن إبن الوليد عن ابن أبان عن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمّد عن عبد الصّمد بن بشير عن فضيل سكّرة قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: يا فضيل أتدري في أيّ شيء كنت أنظر؟ فقلت : لا، قال: كنت أنظر في كتاب فاطمة عليها السّلام فليس ملك يملك إلاّ وهو باسمه واسم أبيه، فما وجدت لولد الحسن عليه السلام فيه شيئاً [٢٢٨].

(١٢) . وعن محمد بن العباس عن محمد بن خالد عن الحسن بن القاسم عن عمر بن الحسن عن آدم بن حماد عن حسين بن محمد عن سفيان مثله وقال: أيضا حدثنا أحمد ابن القاسم عن أحمد بن محمد السّيّاري عن محمد بن خالد عن محمد بن سليمان عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه تلا هذه الآية: ﴿**سأل سائلٌ بعذاب واقع** ﴾ للكافرين بولاية علي ﴿**ليس له دافعٌ**﴾ ثم قال:: هكذا هي في مصحف فاطمة عليها السّلام.

وروى البرقي عن محمد بن سليما ن عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:: هكذا والله أنزلها جبرائيل على النبي وهكذا هو مثبت في مصحف فاطمة عليها السّلام[٢٢٩] .

(١٣) . وفي رواية الأعمش قال : عليه السلام ألواح موسى عندنا وعصا موسى عندنا ونحن ورثة النبيين وقال عليه السلام :

علمنا غابر ومزبور ونكتٌ في القلوب،ونقرٌ في الأسماع وإنّ عندنا الجفر الأحمر والجفر الأبيض ومصحف فاطمة، وإنّ عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج النّاس إليه(٢٣٠).

(١٤) . سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن محمد بن عبد الله بن الحسن فقال عليه السلام : ما من نبي ولا وصي ولا ملك إلا وهو في كتاب عندي يعني مصحف فاطمة والله ما لمحمد بن عبد الله فيه اسمٌ وأنشأ الصادق عليه السلام يقول :

وفينا يقيناً يعد الوفـاء   وفينا تفرخ أفراخــه

رأيت الوفاء يزين الرجال   كما زين العذق شمراخـه(٢٣١)

(١٥) . روى الصّفار بإسناده إلى أحمد بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه الحسن بن علي بن فضال عن أبي بكير وأحمد بن محمد عن محمد بن عبد الملك قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام نحواً من ستّين رجلاً وهو وسطنا فجاء عبد الخالق بن عبد ربّه فقال له كنت مع إبراهيم بن محمّد جالساً فذكروا أنك تقول إن عندنا كتاب علي عليه السلام فقال لا والله ما ترك علي كتاباً وإن كان ترك علي كتاباً ما هو إلا إهابين ولوددت أنه عند غلامي هذا فما أبالي عليه قال: فجلس أبو عبد الله عليه السلام ثم أقبل علينا فقال : ما هو والله كما يقولون إنهما جفران مكتوب فيهما لا والله إنهما لإهابان عليهما أصوافهما وأشعارهما مدحوسين كتباً في أ حدهما وفي الآخر سلاح رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعندنا والله صحيفة طولها سبعون ذراعاً ما خلق

الله من حلال وحرام إلا وهو فيها حتى إن فيها أرش الخدش وقام بظفرة على ذراعه فخطّ به وعندنا مصحف أما والله ماهوبالقرآن[٢٣٢].

(١٦) . وبإسناده إلى حدثنا محمد بن الحسين عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن حماد بن عثمان عن علي بن سعيد قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده محمد بن عبد الله بن علي إلى جنبه جالساً وفي المجلس عبد الملك بن أعين ومحمد الطيار وشهاب بن عبد ربه فقال رجل من أصحابنا جعلت فداك إن عبد الله بن الحسن يقول لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا فقال أبو عبد الله عليه السلام بعد كلام : أما تعجبون من عبد الله يزعم أن أباه علي لم يكن إماماً ويقول إنه ليس عندنا علم،وصدق والله ما عنده علم، ولكن والله . وأهوى بيده إلى صدره . إنّ عندنا سلاح رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلَّم وسيفه ودرعه وعندنا والله مصحف فاطمة ما فيه آية من كتاب الله وإنه لإملاء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم وخطّه علي عليه السلام بيده وعندنا والله الجفر وما يدرون ما هو مسْكُ شاة أو مسْكُ بعير ثم أقبل إلينا وقال : أبشروا أما ترضون أنكم تجيئون يوم القيامة آخذ ين بحجزة علي عليه السلام وعلي آخذ بحجزة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم[٢٣٣].

ملاحظة: ورد في الحديث المتقدّم أنّ مصحف مولاتنا فاطمة عليها السَّلام من إملاء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم وخطَّه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بيده، فأضاف النسّاخ إلى كلمة رسول الله ذكر الصّلاة عليه

وعلى آله، ظنّاً منهم أنه لا بدّ من إضافة الصّلاة عليه وعلى آله عند إطلاق كلمة رسول الله، وذلك للإنصراف الذهني، وهو اشتباه محض، إذ لو كان المصحف إملاء النبيّ محمّد، لكانت مولاتنا الزهراء هي الكاتب لا زوجها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، اللهمّ إلاّ إذا قلنا أنّ المراد من المصحف هنا غير المصحف التكويني الّذي سمعَتْه من جبرائيل أيّ أنّ ثمّة مصحفاً آخر كان عندها حسبما فصّلنا سابقاً؛ أو أنْ يكون هذا المصحف هو حلال وحرام، أملاه أبوها على بعلها، لكنها ورثته منهما في حياتهما عليهما السَّلام .

(١٧) . وعن عبّاد بن سليمان عن سعد بن سعد عن علي بن أبي حمزة عن العبد الصالح عليه السلام قال: عندي مصحف فاطمة ليس فيه شي ء من القرآن (٢٣٤).

إشكال:

إنْ قيل لنا: إنّ المراد من المصحف الّذي كان عند الإمام الصادق عليه السلام هو ما سمعَته الصدّيقة من أحكام شرعيّة من أبيها، وذلك للتباد ر والإنصراف .

قلنا: عند إطلاق كلمة مصحف مضافاً إلى الصدّيقة الطاهرة لا يصحّ الحمل على التبادر أو الإنصراف لوجود قرائن كثيرة من الأخبار توضّح المراد منه وأنه عبارة عن إخبارات جبرائيل لها، ووجود رواية على المدَّعى لا يوجب

الإنصراف عن الأخبار المتواترة ا لدالّة على الخلاف، كما أنّ وجود رواية لا يوجب انصرافاً في مقابل أخبار متعدّدة .

(١٨) . عن أحمد بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه الحسن عن أبي المعزى عن عنبسة بن مصعب قال : كنا عند أبي عبد الله عليه السلام فأثنى عليه بعض القوم حتى كان من قوله وأخزى الله عدوك من الجن والإنس فقال أبو عبد الله: لقد كنا وعدونا كثير ولقد أمسينا وما أحد أعدى لنا من ذوي قراباتنا ومن ينتحل حبنا أنهم ليكذبون علينا في الجفر قال : قلت: أصلحك الله وما الجفر؟ قال : هو والله مسك ماعزٍ ومسك ضأن ينطق أحدهما بصاحبه، فيه سلاح رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلَّم والكتب ومصحف فاطمة، أما والله ما أزعم أنه قرآن[٢٣٥].

(١٩) . وعن أحمد بن موسى عن الحسن بن علي بن النعمان عن أبي زكريا يحيى عن عمرو الزيات عن أبان وعبد الله بن بكير قال : لا أعلمه إلا ثعلبة أو علاء بن رزين عن محمد بن مسلم عن أحدهما : أنه لم يكن إمام حتى خرج وأشهر سيفه وإنما تصلح في قريش يعني الإمامة قال: فقال أبو عبد الله لأقوام كانوا يأتونه ويسألونه عما خلف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم إلى علي عليه السلام وعما خلف علي إلى الحسن عليه السلام ولقد خلف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم عندنا جلداً ما هو جلد جمال ولا جلد ثور ولا جلد بقرة إلا إهاب شاة فيها كل ما يحتاج إليه حتى أرش الخدش والظفر **وخلفت فاطمة مصحفاً** ما هو قرآن ولكنه كلام من كلام الله أنزل عليها إملاء رسول الله وخط علي عليه السلام[٢٣٦].

(٢٠) . عن يعقوب بن يزيد ومحمد بن الحسين عن محمد بن أبي عمير عن عمر بن أذينة عن علي بن سعد قال : كنت قاعداً عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده أناس من أصحابنا فقال له معلى بن خنيس : جعلت فداك ما لقيت من الحسن بن الحسن؟ ثم قال : له الطيار جعلت فداك: بينا أنا أمشي في بعض السكك إذ لقيت محمد بن عبد الله بن الحسن على حمار حوله أناس من الزيدية فقال لي : أيها الرجل إلي إلي فإن رسول الله قال : من صلى صلواتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله من شاء أقام ومن شاء ظعن فقلت: له اتقِ الله ولا يغرّنّك هؤلاء الذين حولك فقال أبو عبد الله للطيار : ولم تقل له غير هذا؟ قال : لا قال: فهلا قلت له : إن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم قال : ذلك والمسلمون مقرون له بالطاعة ولما قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم ووقع الاختلاف انقطع ذلك فقال محمد بن عبد الله بن علي: العجب لعبد الله بن الحسن أنه يهزأ ويقول هذا في جفركم الذي تدعون فغضب أبو عبد الله عليه السلام فقال: العجب لعبد الله بن الحسن يقول ليس فينا إمام صدق ما هو بإمام ولا كان أبوه إماماً ويزعم أن علي بن أبي طالب عليه السلام لم يكن إماماً ويرد ذلك، وأما قوله في الجفر فإنما هو جلد ثور مذبوح كالجراب فيه كتب وعلم ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة من حلال وحرام إملاء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم وخطَّه عليّ عليه السلام بيده **وفيه مصحف فاطمة ما فيه آية من القرآن،** وإن عندي خاتم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم ودرعه وسيفه ولواءه وعندي الجفر على رغم أنف من زعم(٢٣٧).

(**٢١**) . عن محمد بن عبد الحميد عن محمد بن عمرو عن حماد بن عثمان عن عمر بن يزيد قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الذي أملاه جبرائيل على علي عليه السلام أقرآن هو؟ قال عليه السلام: لا[٢٣٨].

ملاحظة: ما أملاه جبرائيل على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام هو نفسه ما ورد في خبر عليّ بن سعد المتقدِّم وغيره من الأخبار الموجود فيها لفظ رسول الله.

(**٢٢**) . وعن السندي بن محمد عن أبان بن عثمان عن علي بن الحسين عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن عبد الله بن الحسن يزعم أنه ليس عنده من العلم إلا ما عند الناس فقال : صدق والله عبد الله بن الحسن ما عنده من العلم إلا ما عند الناس ولكن عندنا والله الجامعة فيها الحلال والحرام وعندنا الجفر أيدري عبد الله بن الحسن ما الجفر؟ مسك معز أم مسك شاة؟ **وعندنا مصحف فاطمة عليها السَّلام، أما والله ما فيه حرف من القرآن** ولكنه إملاء رسول الله . أي جبرائيل عليه السلام . وخط عليّ كيف يصنع عبد الله إذا جاء الناس من كل أفق ويسألونه[٢٣٩]؟

(**٢٣**) . وعن أحمد بن محمد عن النضر بن سويد عن هشام بن سالم عن سليمان بن خالد قال : سمعته عليه السلام يقول: إن في الجفر الذي يذكرونه لما يسوؤهم أنهم لا يقولون الحق وإن الحق لفيه فليخرجوا قضايا عليّ وفرائضه إن كانوا صادقين وسلوهم عن الخالات والعمات **وليخرجوا مصحفاً فيه وصية فاطمة عليها السلام** وسلاح رسول الله قال الله تعالى : ﴿**ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين**﴾ [٢٤٠] .

ملاحظة: الضمير في قوله: (وليخرجوا مصحفاً **فيه** وصيّة فاطمة وسلاح رسول الله) لا يصحّ إرجاعه على المصحف؛ إذ كيف يستوعب المصحف ذا الحجم الصغير، سلاحاً لرسول الله وهو كثير يشتمل على الرماح والسيوف والمغافر ووو ...، فلا بدّ إذاً من حَمله على الجفر الّذي هو عبارة عن جلد كبير وُضِعَ فيه مصحف الصدّيقة وأسلحة رسول الله محمّد النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلَّم، ويشهد لما قلنا ما سيأتي في حديث رقم (٢٦)؛ فلاحظ .

(٢٤) . وعن محمد بن عبد الجبار عن إبن فضال عن حماد بن عثمان قال: حدثني أبو بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ما مات أبو جعفر عليه السلام حتى قبض مصحف فاطمة عليها السَّلام[٢٤١].

(٢٥) . وعن عبد الله بن جعفر عن موسى بن جعفر عن الوشاء عن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **مصحف فاطمة ما فيه شيء من كتاب** الله وإنما هو شيء ألقي عليها بعد موت أبيها صلّى الله عليهما[٢٤٢].

(٢٦) . وعن عمران بن موسى عن محمد بن الحسين عن عبيس بن هشام عن محمد بن أبي حمزة وأحمد بن عايذ عن إبن أذينة عن علي بن سعيد قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال له محمد بن عبد الله بن علي : تعجب لعبد الله بن الحسن يهزأ أو يقول هذا جفركم الذين تدعون فغضب أبو عبد الله فقال : العجب لعبد الله يقول ليس فينا إمام صدق وليس هو بإمام وما كان أبوه بإمام يزعم أن عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم يكن إماماً

وكذب وأما قوله في الجفر فإنه جلد ثور مدبوغ كالجراب **فيه كتب وعلم** ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة من حلال وحرام إملاء رسول الله بخط علي عليه السلام **وفيه مصحف فاطمة** ما فيه آية من القرآن وإن عندي لخاتم رسول الله ودرعه وسيفه ولواه وعندي الجفر على رغم أنف من زعم(٢٤٣).

(٢٧) . وعن محمد بن إسماعيل عن إبن أبي نجران عن محمد بن سنان عن داود بن سرحان ويحيى بن معمر وعلي بن أبي حمزة عن الوليد بن صبيح قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا وليد إني **نظرت في مصحف فاطمة** فأُسْأَل فلم أجد لبني فلان فيها إلا كغبار النعل(٢٤٤) .

(٢٨) . عن محمد بن الحسين عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن أبان بن عثمان عن علي بن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قيل له: إن عبد الله بن الحسن يزعم أنه ليس عنده من العلم إلا ما عند الناس فقال : صدق والله ما عنده من العلم إلا ما عند الناس ولكن عندنا والله الجامعة فيها الحلال والحرام وعندنا الجفر أفيدري عبد الله أمسك بعير أو مسك شاة **وعندنا مصحف فاطمة أما والله ما فيه حرف من القرآن** ولكنه إملاء رسول الله [صلّى الله عليه وآله وسلَّم] وخطّ عليّ عليه السلام كيف يصنع عبد الله إذا جاءه الناس من كل فن [أفق] يسألونه أما ترضون أن تكونوا يوم القيامة آخذين بحجزتنا ونحن آخذون بحجزة نبينا ونبينا أخذ بحجزة ربه(٢٤٥).

(٢٩) . عن يعقوب بن يزيد عن إبن أبي عمير عن عمر بن أذينة عن جماعة سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول وقد سئل عن محمد فقال : إن عندي

لكتابين فيهما إسم كل نبي وكل ملك يملك والله ما محمد بن عبد الله في أحدهما[٢٤٦] .

(٣٠) . عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمد عن عبد الصمد بن بشير عن فضيل سكرة قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام قال: يا فضيل أتدري في أي شيء كنت أنظر فيه قبل؟ قال : قلت: لا قال: كنت أنظر في **كتاب فاطمة عليها السلام** فليس ملك يملك إلا وفيه مكتوب إسمه واسم أبيه ما وجدت لولد الحسن فيه شيء[٢٤٧] .

(٣١) . عن علي بن إسماعيل عن صفوان بن يحيى عن العيص بن القاسم عن معلى بن خنيس قال : قال أبو عبد الله عليه السلام: ما من نبي ولا وصي ولا ملك إلا في كتاب عندي، لا والله ما لمحمد بن عبد الله بن الحسن فيه اسم[٢٤٨] .

(٣٢) . عن يعقوب بن يزيد عن محمد بن أبي عمير عن محمد بن عمران عن سليمان بن خالد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن عندي لصحيفة فيها اسم الملوك ما لولد الحسن فيها شيء[٢٤٩] .

ملاحظة: المراد من الصحيفة هنا هي المصحف التكويني وليس الصحيفة التي فيها الحلال والحرام، وذلك بقرينة أنّ فيها أسماء الملوك ومَن يحكم من الحكّام . فالمصحف إذا أُطلِقَ من دون قرينة "الحلال والحرام" يُحمَل على الإخبارات الغيبيّة، وأنه مما سمعَته من جبرائيل .

(٣٣) . عن محمد بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن إبن سنان، عن داود بن سرحان ويحيى بن معمّر وعليّ بن أبي حمزة عن الوليد بن صبيح قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا وليد إني نظرت في مصحف فاطمة عليها السَّلام فلم أجد لبني فلان فيه إلاّ كغبار النعل[٢٥٠] .

(**٣٤**) . عن يعقوب بن يزيد عن الحسن بن علي بن فضال عن ظريف بن ناصح وغيره عمن رواه عن حبابة الوالبية قالت: قلت: لأبي عبد الله (عليه السلام) إن لي إبن أخ وهو يعرف فضلكم وإني أحب أن تعلِمَني أمن شيعتكم؟ قال : وما اسمه؟ قالت : قلت: فلان بن فلان قالت : فقال: يا فلانة هات الناموس فجاءت بصحيفة تحملها كبيرة فنشرها ثم نظر فيها فقال: نعم هو ذا اسمه واسم أبيه هاهنا[٢٥١] .

(**٣٥**) . عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرمي عن رجل من بني حنيفة قال : كنت مع عمي فدخل على علي بن الحسين فرأى بين يديه صحائف ينظر فيها فقال له : **أي شيء هذه الصحف** جعلت فداك؟ قال: هذا ديوان شيعتنا قال : أفتأذن أطلب اسمي فيه؟ قال: نعم فقال: فإني لست أقرأ وابن أخي على الباب فتأذن له فيدخل حتى يقرأه؟ قال: نعم فأدخلني عمي فنظرت في الكتاب فأول شيء هجمت عليه اسمي فقلت : اسمي ورب الكعبة قال : ويحك فأين أنا فجزت بخمسة أسماء أو ستة ثم وجدت اسم عمي فقال علي بن الحسين (عليه السلام): أخذ الله ميثاقهم معنا على ولايتنا لا يزيدون ولا ينقصون إن الله خلقنا من أعلى عليين وخلق شيعتنا من طينتنا أسفل من ذلك وخلق عدونا من سجين وخلق أولياءهم منهم من أسفل النار [٢٥٢].

(**٣٦**) . عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن سيف عن حسان عن أبي محمد البزاز قال : حدثني حذيفة بن أسيد الغفاري صاحب النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم قال : دخلت على علي بن الحسين (عليه السلام) فرأيته

يحمل شيئا قلت: ما هذا؟ قال: هذا ديوان شيعتنا قلت: أرني أنظر فيها اسمي فقلت: إني لست أقرأ قال : إبن أخي يقرأ فدعا بكتاب فنظ ر فيه فقال إبن أخي: اسمي ورب الكعبة قلت: ويلك أين اسمي فنظر فوجد بعد اسمه بثمانية أسماء(٢٥٣).

(٣٧) . عن يعقوب بن يزيد عن الحسن بن علي بن الوشاء عن أبي حمزة قال: خرجت بأبي بصير أقوده إلى باب أبي عبد الله عليه السلام قال: فقال لي: لا تتكلم ولا تقل شيئا فانتهيت به إلى الباب فتنحنح فسمعت أبا عبد الله عليه السلام فقال: يا فلانة إفتحي لأبي محمد الباب قال: فدخلنا والسراج بين يديه فإذا سفط بين يديه مفتوح قال : فوقعت عليَّ الرعدة فجعلت أرتعد فرفع رأسه إلي فقال: أبزّاز أنت؟ قلت: نعم جعلني الله فداك قال : فرمى إلي بملأة قوهية(هامش:**ضربٌ من الثياب بيض، منسوبة إلى قوهستان**) كانت على المرفقة فقال: إطو هذه فطويتها ثم قال : **أبزاز أنت وهو ينظر في الصحيفة** قال: فازددت رعدة قال: فلما خرجنا قلت: يا أبا محمد ما رأيت كما مرَّ بي الليلة إني وجدت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام **سفطاً قد أخرج منه صحيفة** فنظر فيها فكلما نظر فيها أخذتني الرعدة قال : فضرب أبو بصير يده على جبهته ثم قال : ويحك ألا أخبرتني فتلك والله الصحيفة التي فيها أسامي الشيعة ولو أخبرتني لسألته أن يريك اسمك فيها(٢٥٤).

(**٣٨**) . عن علي بن الحسن عن الحسين بن الحسن السجاني عن الحسين بن يسار عن داود الرقي قال: قلت: لأبي الحسن الماضي عليه السلام: إسمي عندكم في السفط التي فيها أسماء شيعتكم فقال: إي والله في الناموس[٢٥٥].

(**٣٩**) . عن عبد الله بن محمد عن محمد بن الحسن السري عن عمه علي بن السري الكرخي قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه شيخ ومعه ابنه فقال له الشيخ: جعلت فداك أمن شيعتكم أنا؟ **فأخرج أبو عبد الله عليه السلام صحيفة** مثل فخذ البعير فناوله طرفها ثم قال : له أدرج فأدرجه حتى أوقفه على حرف من حروف المعجم فإذا اسم إبنه قبل اسمه فصاح الابن فرحا : إسمي والله فرحم الشيخ ثم قال : له أدرج فأدرج ثم أوقفه أيضا على اسمه كذلك [٢٥٦].

(**٤٠**) . عن إبراهيم بن هاشم عن الحسين بن سيف عن أبيه عن فضيل بن عثمان عن أبي عبيدة الحذاء قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا أبا عبيدة مَن كان عنده سيف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ودرعه ورايته المغلبة **ومصحف فاطمة** قرّت عينه[٢٥٧] .

وزبدة المخض:

إنّ هذا الكمّ الهائل من أخبار المصحف التكويني للصدّيقة الطاهرة الشهيدة يدفع كلّ شبهة تقف بوجهها، ولا تبقي مجالاً لأحد كي يناقش . بحسب دعوى المذكور . سند رواية نزول جبرائيل على الصدّيقة وإخبارها عن الحوادث التكوينية . خيرها وشرّها . التي ستجري على شيعتها و محبيها وغير

ذلك، كما لا تُبقي . هذه الأخبار المتواترة . مجالاً لدعواه بوجود بعض الروايات الدالّة على أنّ المصحف هو ما كانت تسمعه من أبيها وبعلها حول قضايا الأحكام الشرعيّة، إذ إنّ خبر الواحد لا يعارض الأخبار المتواترة، مع أنّ المذكور إدّعى أنّ إثبات المصحف التشريعي إنما تمّ بواسطة بعض الروايات، وأما المصحف التكويني فإثباته بواسطة رواية واحدة، ليوهمَ القارئَ ويشكّكه بعدم وجود أخبار تدلّ على إثبات المصحف التكويني، وقد مرّ عليك . أخي القارئ . تلكم الأخبار الدالّة على المطلوب وهي غيض من فيض .

اللهمّ أنت ا لحكم الفصل يوم الحشر والنشر، تعدل بين عبادك بالحقّ وأنت خير الحاكمين، وسيعلم الّذين ظلموا . آل بيت محمّد . أيّ منقلبٍ ينقلبون والعاقبة للمتقين .

عود على بدء:

بعد عرض الإشكالات والرّدود على طوائف الأخبار الدّالة على العلم الفعلي الحضوري للنبيّ والصدّيقة الطاهرة والأئمّة الأطهار عليهم صلوات الله الملك الحنان، نشرع ببيان الأخبار المعارِضة لطوائف العلم الفعلي .

الأخبار المعارِضة:

ربّما يتوهّم بأنّ ثمّة أخباراً صحيحة سنداً ومضموناً، تدلّ على أنّ علم آل البيت عليهم السّلام وإنْ كان زاخر العباب ، بعيد القطر، إلاّ إنه لم يكن حاضراً لديهم، حاصِلاً عندهم ساعةً بساعةٍ، وحيناً بحينٍ، وإنما يكون حضوره بالأمر إذا شاءوا علِمَ ذلك الأمر، أو أرادوا ذلك الشيء، ولم يكون العلم منهم سابقاً على الإشاءة، حاضِراً قبل الإرادة .

وعليه؛ فتكون الأخبار المعارِضة مضيِّقةً لتلك الدائرة الواسعة . وهي سعة علومهم الحضوريّة . وحصرها في مجال دون ذلك المجال المفروض فيثبت المطلوب هو عدم فعليّة علومهم .

والأخبار التي استدلّ بها هذا الفريق من الناس على عدم حضوريّة علومهم، يمكن تصنيفها إلى أربع طوائف هي كالآتي:

الطائفة الأولى: توجد طائفة من النصوص المستفيضة تشير إلى أنّ مِن عَلِمِ الغيب ما استأثر اللهُ به، وأنّ الأئمة عليهم السَّلام لا يعلمون الغيب، من هذه الطائفة ما رواه الكليني:

عن عبّاد بن سليمان، عن محمّد بن سليمان، عن أبيه؛ عن سدير قال : كنتُ أنا وأبو بصير ويحيى البزّاز وداود بن كثير في مجلس الإمام أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج إلينا وهو مغضب فلمّا أخذ مجلسه قال : « يا عجب لأقوامٍ يزعمون أنا نعلم الغيب وما يعلم الغيب إلاّ الله عزّ وجلّ لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمتُ في أيّ بيوت الدار هي » قال سُدَير: فلمّا إن قام من مجلسه وصار في منزله دخلتُ أنا وأبو بصير وميسر وقلنا له : جَعَلَنا الله فداك سمعناك وأنتَ تقول كذا وكذا في أمر جاريتك، ونحن نعلم أنك تعلم علماً كثيراً، ولا ننسبك إلى علم الغيب، قال : فقال: «يا سدير أمَا تقرأ القرآن » قلتُ: بلى، قال : «فهل وجدتَ فيما قرأتَ من كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿**قال الّذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفُك**﴾»، قال: قلتُ: جُعِلْتُ فداك قد قرأتُهُ .

قال: فهل عرفت الرّجل؟ وهل علمتَ ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال: قلتُ: أخبرني به؟، قال : قدر قطرة من الم اء في البحر الأخضر فما يكون ذلك من علم الكتاب؟ ! قال: قلتُ: جُعِلْتُ فداك ما أقلّ هذا، فقال : يا سُدَير ما أكثر هذا أنْ ينسبه الله عزّ وجلّ إلى العلم الّي أخبرُكَ به يا سدير فها وجدتَ ما قرأتَ في كتاب الله عزّ وجلّ أيضاً : ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَ ن عنده علم الكتاب** ﴾ قلت: قرأته جعلتُ فداك، قال : أفمن عنده علم الكتاب كلّه أفهم أم مَن عنده علم الكتاب بعضه قلت : لا بل مَن عنده علم الكتاب كلّه قال : فأومى بيده إلى صدره، وقال: وعلم الكتاب والله كلّه عندنا علم الكتاب والله كلُّهُ عندنا[٢٥٨].

مضافاً إلى ذلك فإنّ سيرة الأئمّة قولاً وفعلاً تشهد على عدم حضوريّة علومهم عليهم السّلام، ويشهد له المؤيّدات التالية:

المؤيد الأول : ما روي عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام في صحيحة الحلبي[٢٥٩] من أنه رفع الستر ليعلم هل في البيت أحدٌ يسمع؟ .

المؤيد الثاني: ما روي في صحيحة عبد الله بن سنان عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام[٢٦٠] من أنه بقيت لمعة في ظهره لم يغسلها، فلمّا ذكّروه، مسح عليها .

المؤيّد الثالث :ما رواه عبد الحميد بن سعيد عن مولانا الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام من أنه أكل بيضة قامر بها غلامٌ له، فلمّا علم بذلك تقيّأها[٢٦١].

لكنّ الإنصاف بعد التأمّل والتدقيق، أنّ هذه الطائفة التي نفت العلم الحاضر عنهم عليهم السَّلام لا تصلح لأنْ تكون معارِضةً لتلك الأخبار المثبتة وذلك لما يلي:

(**أوّلاً**): إنّ هذه الطائفة النافية في مقام نفي علم الغيب الذاتي عنهم عليهم السَّلام وليس العرضي الموهوب من عند علاّم الغيوب، وذلك لما أشرنا سابقاً من وجوه الفرق بين علمه تعالى وعلمهم، وأنّ علمه تعالى عين ذاته، وأنّ علمهم صفة خارجة عن الذات زائدة عليها، وأنه عزّ وجل أفاضه عليهم إكراماً لهم، وتعظيماً لشأنهم، وحجّة على مَن سواهم، وهذا لا ينافي أ نهم لا يعلمون الغيب بالذّات، بل إنما يعلمونه بالتعليم والمنحة منه تعالى .

(**ثانياً**): على فرض صحّة نفي علم الغيب عن غير الله تعالى إلاّ أنّ تخصيص القرآن الكريم بالسنّة جائز ووارد، وقد جاء في المقام في تفسير قوله تعالى:﴿**إلاّ مَن ارتضى من رسول** ﴾ (الجن/٢٦): " وكان والله محمّد ممن ارتضاه[٢٦٢]، وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأولاده المطهّرون هم المرتضون من الرسول" حسبما جاء في الأخبار أيضاً [٢٦٣].

وعليه؛ فالرواية المذكورة بعد التخصيص شاهدٌ واضحٌ على أنّ النبيّ وآله يعلمون الغيب بما أعلمهم الله عزّ وجلّ .

وما ورد في خبر سدير من نفي علمهم بالغيب، فهو بالغض عن جهالة سنده يُحمل على شيئين:

الأول: إمّا على التورية لئلاّ يُنسب الإمام إلى الربوبيّة، فقوله عليه السلام: "فما علمتُ" أراد به علماً مستنداً إلى الأسباب الظاهرة، أو علماً غير مستفاد

بحاسّة من الحواس الظاهريّة بمكا ن الجارية، وهذا لايستلزم إنكار الإنكشاف الواقعي، فقوله: "فما علمت" أي ما رأيتها بعيني في أيّ بيت دخلت وإلاّ فمن يقول في صفة علمه: "لم يفتنِ ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عني" لا يخفى عليه أمر الجارية، ولما طرق الباب ميسرٌ بيّاع الزّطي، وخرجت جارية خماسيّة تفتحه، فقبض على يديها، فناداه الإمام عليه السلام من أقصى الدّار: أدخل لا أبا لك، ثمّ قال له: أما والله يا ميسر، لو كانت هذه الجدران تحجب أبصارنا كما تحجب عنكم أبصاركم، لكنّا وأنتم سواء[٢٦٤].

مضافاً لما قال لمحمّد بن مسلم: لئن ظننتم أنـّا لا نراكم، ولا نسمع كلامكم، لبئس ما ظننتم، لو كان كما تظنون أنّا لا نعلم ما أنتم فيه وعليه ما كان لنا على الناس فضل[٢٦٥].

وما قاله مولانا الإمام الصادق عليه السلام لعبد العزيز الصايغ: أترى أنّ الله استرعى راعياً على عباده، واستخلف خليفةً عليهم، يحجب شيئاً من أمورهم[٢٦٦].

وما رواه إسماعيل الأزرق عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال: إنّ الله أحكم وأكرم وأجلّ وأعلم من أنْ يكون احتجّ على عباده بحجّة ثمّ يغيب عنهم شيئاً من أمرهم[٢٦٧].

الثاني: وإما على التقيّة حذراً من المخالفين أو ضعفاء العقول من الشيعة، لئلاّ يتوهّموا فيهم ما هم منه براء، أو لعدم وجود قابليّةِ تحمُّل غامضِ علومهم عليهم السَّلام، لا سيّما وأنّ في المجلس ممن يُحتمَل عدم تحمُّلِه وعورة علومهم صلوات الله عليهم، فأراد الإمام أبو عبد الله عليه السلام بنفي علم الغيب

عن نفسه تثبيت عقيدة هؤلاء، ويؤيّده أنّ سدير الراوي لهذا الحديث دخل عليه في وقت آخر وذكر له استغراب ما سمعه منه من نفي علم الغيب، فطمأنه الإمام (عليه السلام) بأنه يعلم ما هو أرقى من ذلك وهو العلم بالكتاب كلّه وما حواه من فنون المعارف وأسرارها .

وبالجملة؛ فإنّ إنكار مولانا الإمام الصادق (عليه السلام) على مَن قال بأنّهم يعلمون الغيب، لا يخفى شأنه على ذي حجى وبصيرة، لأنّهم أعلم الناس وأعرفهم بضعف عقولهم وعدم تحمُّلِهِم، فلو أنهم كانوا يتظاهرون دوماً بما مُنِحُوا من ذلك العلم لاعتقد بهم أهل الضعف أنهم أرباب أو غير ذلك مما يؤدي إلى الشِّرْك .

ولقد اعتقد بهم ذلك كثير من الناس في عهودهم إلى زمن غيبة مولانا الإمام المهديّ (عليه السلام) في يومنا هذا، على أنهم كانوا ينفون عنهم تلك المقدرة وذلك العلم أحياناً، وليسوا بأهل السلطة ليقيموا أود الناس بالتأديب بعد الوعظ والزجر، كما سبق لأمير المؤمنين (عليه السلام) مع أصحاب إبن سبأ، بل كانوا غرضاً لفراعنة أيامهم، وهدفاً لنبالهم ، ولم يكونوا بذلك المظهر عندهم، فلو تظاهروا بتلك الخَلَّة كيف ترى يحمل الحسد أولئك الطواغيت على الفتك بهم، وهم المحسودون على ما آتاهم الله من فضله، وأي حائل يحجز عما يريدونه بهم وبأوليائهم .

وقد لاقوا من المصائب والنوائب والحوادث والوقائع والفجائع ما تسيخ منه شم الجبال، ويشيب من هوله الرُّضَّع، بسبب ما ظهر منهم من فضلٍ ونعمٍ جليلة أسبغها عليهم المولى سبحانه، مع أنهم لم يُطْلِعُوا أعداءَهم ولا

سواد أوليائهم على جميع ما رُزقوا من ذلك الفضل، ولو لم يكونوا على قدر كبير من الجلد والصبر لما استطاع أن يحم ل ما تحملوه بشرٌ، وهل مات أحد منهم حتف أنفه دون أنْ يتجرّع غصص السّمّ النقيع أو يصافح حدود الصوارم، ويعتنق قدود الرماح، هذا فوق ما يرونه من الهتك للحرمات، وتسيير العقائل والسبّ والسّلب، والغصب للحقوق، والتلاعب بالدّين، وتضييع أحكام الشريعة .

نعم، لا يظهر بتلك المنح الإلهيّة جميعها إلاّ مولانا الإمام المهديّ المنتظر عجلّ الله تعالى فرجه الشريف؛ لأنه لا يخشى ذلك التسرّب إلى ضعاف البصائر، لو صارح بما وُهِبَ من الفضل، لقدرته على الرّدع والتأديب، ولا يخاف حَسَدَ حاسدٍ، أوسطوةَ ظالمٍ، كيف! وهو صاحب السلطة والسيف .

على أنّ في ذيل خبر سدير ما يفصح بتلك السعة، وينبئ عن ذلك التعميم والحضور، فإنه عليه السلام قال: " علم الكتاب والله كلّه عندنا، علم الكتاب والله كلّه عندنا "، والكتاب كما أنبأ عنه المولى الجليل جاء بياناً لكلّ شيء .

الإيراد على المؤيّدات المتقدِّمة:

أما حادثة رفع الستر الواردة في المؤيّد الأوّل، فلعلّه لاطمئنان أبي بصير، وكيف يعلم بخبيئة أبي بصير حين دخل عليه، ولا يعلم بما وراء الستر؟!

أو لعلّه من باب المماشاة على قدر عقولهم بضرب من التقيّة أو السياسات المدينة للبيانات التدريجيّة، أو من باب التنبيه على أنّ مسؤوله أمر

ينبغي صونه عن الأجنبي، إلى غير ذلك من الحِكَم الخفيّة والجليّة لسائر المتشابهات الواردة عنهم أو المنسوبة إليهم .

وأما حادثة بقاء اللمعة الواردة في المؤيد الثاني، فلعلّها كانت من تخيل الناظر، أو لتنبيه الناظر أنْ ليس عليه بأسٌ إذا لم يخبر، وإلاّ كيف تبقى لمعة والغسل كان ارتماسياً، وكيف لا يستولي الماء على جميع بدن المرتمِس؟!

وأما حادثة القيء الواردة في المؤيّد الثالث، فلعلّه كان مجاراةً للمخبر، ولو أصرّ الإمام على أنّ البيضة لم تكن مما أكتسِبَ من القمار لاتَّهَمَ المخبرُ الإمامَ عليه السلام بالجهل وسخر منه، أو غير ذلك مما يكون من المخبر لتصديق خبره .

كل ذلك لو قلنا بصحّة صدورها عن الأئمّة عليهم السَّلام وإلاّ فلا يخفى ضعف أسانيد بعضها، ومخالفة مداليلها من حيث نسبة الجهل إلى الإمام عليه السلام في الموضوعات التي يترتّب عليها حكم شرعيّ و هو مخالف لأدلّة العصمة عقلاً ونقلاً .

وصفوة القول: إننا لا ننكر أنهم قد يتظاهرون أحياناً بعدم العلم قولاً أو فعلاً، إلاّ أنّ لذلك وجوهاً جمّة لا تخفى على البصير، فلا توجب أنْ تحمل تلك الأدلّة الصّريحة بالعلم الحاضر، وتصرف عن وجهها لبعض تلك الظواهر؛ فتأمّل .

الطائفة الثانية:

دلّت هذه الطائفة على أنّ النبي وأئمّة آل البيت عليهم السَّلام صدر منهم السّهو، فلو كان علمهم حاضراً لكان الأجدر ألاّ يقعوا في السّهو، إذ

مَن كان علمه حاضراً يعلم كلّ شيء من أفعال العباد، لا يتطرّق إلى أفعاله خلاف ما اتصف به مِن الحضور، فوقوعهم في السّهو يستلزم القول بعدم حضوريّة علومهم عليهم السَّلام .

من هذه الطائفة ما رواه العامّة:

(١) . عن مولى إبن أبي أحمد قال: سمعتُ أبا هريرة يقول: صلّى بنا رسول الله صلّى الله عليه [وآله وسلّم] صلاة العصر فسلّم في ركعتين، فقام ذو اليدين فقال: أقصرت الصّلاة أم نسيت؟ فقال رسول الله :كل ذلك لم يكن، فقال:قد كان بعض ذلك يا رسول الله، فأقبل رسول الله على الناس فقال : أصدق ذو اليدين؟قالوا: نعم يا رسول الله،فأتم رسول الله ما بقي من الصّلاة ثمّ سجد سجدتين بعد السَّلام وهو جالس(٢٦٨).

(٢) . وعن علقمة عن عبد الله أنّ النبيّ صلّى الظهر خمساً، فقيل له : أزيد في الصّلاة؟ قال : ما ذاك؟ فقالوا: صلَّيْت خمساً، فسجد سجدتين وهو جالس(٢٦٩) .

(٣) . وعن علقمة عن عبد الله قال : صلّى رسول الله، قال إبراهيم : فلا أدري أزاد أم نقص، فلمّا سلّم قيل ل هـ: يا رسول الله أحدث في الصّلاة شيء؟ قال: وما ذاك؟ قالوا : صلَّيْتَ كذا وكذا، قال : فثنى رجليه واستقبل القبلة فسجد بهم سجدتين ثمّ سلَّم، فلمّا انفتل أقبل علينا بوجهه فقال : إنه لو حدث في الصّلاة شيء أنبأتكم به ولكن إنما أنا بشرٌ أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكّروني ...(٢٧٠).

والأخبار عندهم كثيرة في هذا المجال فليُراجع المصدر السابق.

ونَقَلَ هذه الأخبار بنفس ألفاظها تقريباً الشيخان الصَّدوق (٢٧١) والطّوسي بأسانيد متعدِّدة: من أنّ النبيّ صلّى بالناس الظهر ركعتين ثمّ سهى .

فقال له ذو الشمالين: أحدث في الصَّلاة شيء؟

فقال: وما ذاك؟

قال: إنما صلَّيْتَ ركعتين .

فقال صلّى الله عليه وآله وسلَّم: أتقولون مثل قوله؟ .

قالوا: نعم .

فقام وأتم الصّلاة وسجد سجدتيّ السّهو(٢٧٢) .

بإسناده إلى الحسين بن علوان عن عمرو بن خالد عن زيد بن عليّ عن آبائه عن علي [أمير المؤمنينّ] عليه السلام قال: صلّى بنا رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم الظّهر خمس ركعات ثمّ انفتل فقال : له بعض القوم يا رسول اللّه هل زيد في الصّلاة شيء؟ فقال: وما ذاك قال : صلّيت بنا خمس ركعات قال: فاستقبل القبلة وكبّر وهو جالسٌ ثمّ سجد سجدتين ليس فيهما قراءةٌ ولا ركوعٌ ثمّ سلّم وكان يقول: هما المرغمتان(٢٧٣) .

وفي خبر آخر: أحمد بن محمّد بن عيسى عن عليّ بن النّعمان عن سعيد الأعرج قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: صلّى رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ سلّم في ركعتين فسأله من خلفه : يا رسول اللّه أحدث في الصلاة شيءٌ؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: إنما صلّيت ركعتين فقال: أكذاك يا ذا اليدين؟ وكان يدعى ذا الشّمالين فقال : نعم فبنى على صلاته فأتم الصّلاة

أربعا وقال: إنّ اللّه عزّ وجلّ هو الّذي أنساه رحمة للأمّة ألا ترى لو أنّ رجلا صنع هذا لعيّر وقيل ما تقبل صلاتك فمن دخل عليه اليوم ذلك قال : قد سنّ رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وصارت أسوة وسجد سجدتين لمكان الكلام [٢٧٤].

ومن أخبار هذه الطائفة ما رووه عن العرزميّ عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: صلّى عليٌّ عليه السلام بالنّاس على غير طهرٍ وكانت الظّهر فخرج مناديه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام صلّى على غير طهر فأعيدوا وليبلّغ الشّاهد الغائب[٢٧٥].

وما رواه الصدوق بإسناده إلى أبي الصلت الهروي قال : قلت للرضا عليه السلام يا ابن رسول الله إن في سواد الكوفة قوما يزعمون أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يقع عليه السهو في صلاته؟ فقال : كذبوا لعنهم الله إ ن الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا هو..[٢٧٦].

وما رواه الحر العاملي عن السرائر عن ربعيّ بن عبد اللّه عن الفضيل قال: ذكرت لأبي عبد اللّه عليه السلام السّهو فقال: ويفلت من ذلك أحدٌ ربّما أقعدت الخادم خلفي يحفظ عليَّ صلاتي[٢٧٧].

يرد على هذه الطائفة:

(**أوّلاً**): جلّ روايات السّهو بل كلّها ضعيفة ومضطربة دلالةً، عدا عن أنها موافقة لأخبار العامّة، ومخالفة أيضاً ومعارضة للآيات وللأخبار الصحيحة الدالّة على خلاف ذلك، مضافاً إلى مصادمتها لأحكام العقل الدّال على عصمة النبيّ والإمام عليهما السَّلام .

(**ثانياً**): إنّ هذه الطائفة من الأخبار لم يعمل بها فقهاء الإماميّة برمّتهم عدا الشيخ الصّدوق وأستاذه إبن الوليد، وما أوردناه عن الشيخ الطوسي لا يتوهّم منه عمله بها لأنّ ما تضمنته . أي أخبار السَّهو . هي من الأحكام المعمول بها لذا قال : " الّذي أفتي به ما تضمنه هذا الخبر . أي خبر أنّ الرسول لم يسجد سجدتي السَّهو قط . فأمّا الأخبار التي قدمناها من أنّ النبيّ سها فسجد فإنها موافقة للعامّة؛ وإنما ذكرناها؛ لأنّ ما تتضمّنه من الأحكام؛ معمول بها على ما بيّنا"[٢٧٨]،وقال في موضع آخر تعقيباً على خبر العرزمي: "هذا خبر شاذ مخالف للأحاديث وما هذا حكمه لا يعمل عليه وقد تضمّن أيضا من الفساد ما يقدح في صحّته وهو أنّ أمير المؤمنين عليه السلام صلّى بالنّاس على غير وضوء وقد آمننا من ذلك دلالة عصمته عليه السلام "[٢٧٩].

وعلى فرض صحّة صدورها تحمل على وجوه:

إمّا من باب التجاهل لا الجهل بإظهار صورة السّهو في الظاهر للتعليم من دون تفويت شيء عليه في الواقع .

وإما من باب مماشاته مع المتوهِّم سهوه من غير سهوٍ كما كان يكلّم الناس على قدر عقولهم، كأنْ صلّى في الواقع نافلةً فظنوها متمّمة للفريضة.

وإما أنه سجد سجدتين شكراً لله فظنّوها سهواً، إظهاراً لصورة السّهو عمداً لدفع مفسدة الغلوّ والتفويض .

وبالغضّ عن كلّ هذه الوجوه، فالأصحّ طرح تلك الأخبار لكونها من الآحاد التي لا يجوز العمل بها في أصول الدّين، مضافاً إلى شذوذها . كما أشرنا . وضعف أسانيدها واضطراب مداليلها وفساد مذهب أكثر رواتها

ببطلان ما نسب إلى النبيّ بل وإلى سائر الأنبياء السّلف من الحزازات اللائقة بحزب الشيطان، المنافية لرتبة خلفاء الرحمان، وليس رواية سهو النبيّ بأشهر من رواية العامّة أيضاً من سهو النبيّ في صلاة الفجر حال قراءته لسورة النجم حتى انتهى إلى قوله: ﴿**أفرأيتم اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى**﴾ (النجم/٩) ألقى الشيطان على لسانه "تلك الغرانيق العلى وإنّ شفاعتهنّ لترتجى" ثمّ نبّه على سهوه فخرّ ساجداً، فسجد المسلمون اقتداءاً به .

وصفوة القول:

لا يجوز العمل بهذه الأخبار حتى لو صحّت سنداً واتضحت دلالةً، إذ ليس المعتبر إ لاّ حكم العقل، والعقل يمنع من صدور أمثال ذلك عن المعصوم المقتدى، وإنّ صدور أمثال ذلك لا يوافق مقام النبوّة ومنزلة الإمامة، بل هو حطٌّ من تلك الكرامة، ونقص من ذلك المنصب الإلهيّ .

ولو سلَّمنا جَدَلاً بتلك الأخبار على سبيل المجاراة مع الخصم، فالأدلّة الخاصّة تأبى اتّصافهم بما حملته هذه الأحاديث في طيّاتها، وكفى منها ما سبق من تلك الطوائف سوى الأخبار التي نفت خصوص السّهو والنسيان عنهم، لا سيّما وأنّ الطبع يمجّ تلك النسبة إليهم، ويأبى عن قبول هاتيك الدّعاوى، فضلاً عن إباء العقل والفِقه لها .

الطائفة الثالثة:

وفيها من الأخبار من قِبَل الطرفين خاصّة وعامّة ما يدلّ على أنّ النبيّ نام عن صلاة الصبح حتى أيقظه حرّ الشمس، وعُلِّلَ هذا النوم بأن الله عزّ وجلّ ألقاه على نبيّه الكريم رحمةً بالناس، لئلاّ يعيّر المؤمنُ أخاهُ المؤمنَ لو نام عن الصَّلاة .

وهل بعد هذا أوضح من أن علمهم ليس حاضراً، إذ لو كان حاضراً لما نام عن الصَّلاة إلى أنْ تطلع الشمس .

روى ذلك العامّة بأسانيد متعدّدة عن حمران بن حصين، وأبي قتادة، وأبي هريرة .

(١) . ففي حديث أبي قتادة قال : فمال النبيّ عن الطريق فوضع رأسه ثمّ قال: " إحفظوا علينا صلاتنا " فكان أوّل مَن استيقظ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم والشمس في ظهره فقمنا فزعين فقال : "إركبوا" فسرنا حتى ارتفعت الشمس ثم دعا بميضاة كانت معي فيها شيء من ماء فتوضأنا منها وذكر الحديث قال: ثمّ نادى بلال بالصّلاة فصلّى رسول الله صلّى ا لله عليه وآله وسلَّم ركعتين، ثمّ صلّى الغداة فصنع كما كان يصنع كلّ يوم ثمّ ركب النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم وركبنا فجعل بعضنا يهمس إلى بعض ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم : "ما هذا الّذي تهمسون دوني؟" فقلنا: يانبيّ الله تفريطنا في صلاتنا فقال : "أما لكم فيَّ أسوة" ثمّ قال: " أنه ليس في النوم تفريط إنما على مَن لم يصلّ الصلاة حتى يجيء وقت الأخرى فإذا كان ذلك فليصلّها حين يستيقظ فإذا كان من الغد فليصلّها عند وقتها"[٢٨٠] .

(٢) . وعن عمران بن حصين قال : سرينا م ع رسول الله في غزاة أو قال سرية فلما كان في آخر السحر عرسنا فما اسيقظنا حتى أيقظنا حرّ الشمس فجعل القوم منا ينتبه فزعاً دهشاً، فلما استيقظ رسول الله أمرنا فارتحلنا ثمّ سرنا حتى ارتفعت الشمس ثمّ نزلنا فقضى القوم حوائجهم ثمّ أمر بلالاً فأذن فصلّينا ركعتين ثمّ أمره فأقام ثمّ صلّى الغداة فقلنا : يا نبيّ الله ألا نقضيها من الغد لوقتها؟ قال لهم رسول الله: "ينهاكم الله عن الربوا ويقبله منكم"[٢٨١].

(٣) . وعن أبي هريرة قال : أنّ رسول الله حين قفل من غزوة خيبر سار ليلة حتى إذا أدركه الكرى عرس، وقال لبلال : إكلأ لنا الليل فصلّى بلال ما قدر له ونام رسول الله وأصحابه، فلما اقترب الفجر إستند بلال إلى راحلته مواجه الفجر فغلبت بلالاً عيناه وهو مستند إلى راحلته فلم يستيقظ رسول الله ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس، فكان رسول الله أولهم استيقاظاً ففزع رسول الله فقال: أي بلال، فقال بلال : أخذ بنفسي الّذي أخذ بنفسك بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال : إقتادوا، فاقتادوا رواحلهم شيئاً ثمّ توضّأ رسول الله وأمر بلالاً فأقام فصلّى بهم الصّبح، فلما قضى الصَّلاة قال : "مَن نسي الصَّلاة فليصلِّها إذا ذكرها فإنّ الله عزّ وجلّ قال: أقم الصَّلاة لذِكري"[٢٨٢].

(٤) . وعن عبد الله بن مسعود قال : كنا مع رسول الله مرجعه من الحديبية فعرسنا فقال : "مَن يحرسنا لصلاتنا وقال شعبة : "مَن يكلأنا" فقال: بلال: أنا قال المسعودي في حديثه : إنك تنام ثم قال : من يحرسنا لصلاتنا فقال إبن مسعود : قلت: أنا يا رسول الله فقال رسول الله : " إنك تنام "

فحرستهم حتى إذا كان وجه الصبح أدركني ما قال رسول الله فنمت فما استيقظنا إلاّ بالشمس، قال: فقام رسول الله فصنع ما كان يصنع ثمّ قال : إنّ الله لو أراد أنْ لا تناموا عنها لم تناموا ولكن أراد أنْ يكون لمن بعدكم فهكذا فافعلوا مَن نام منكم أو نسي"(٢٨٣).

(٥) . وعن أبي قتادة أيضاً قال : سرينا مع رسول الله ونحن في سفر ذات ليلة فقلنا: يا رسول الله لو عرست بنا فذكر الحديث في نومهم عن الصلاة فقال رسول الله: "إنّ الله قبض أرواحكم حين شاء وردّها عليكم حين شاء " ثمّ أمرهم فانتشروا لحاجتهم وتوضأوا وارتفعت الشمس فصلّى(٢٨٤).

وأما الخاصّة فقد رووا القصّة في بعض الكتب الإخباريّة بأسانيد فيها الصحيح والضعيف، هي كالآتي:

(١) . روى الحسن بن محبوب عن الرّباطيّ عن سعيد الأعرج قال : سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: إنّ اللّه تبارك وتعالى أنام رسوله صلّى الله عليه وآله وسلَّم عن صلاة الفجر حتى طلعت الشّمس ثمّ قام فبدأ فصلّى الرّكعتين اللّتين قبل الفجر ثمّ صلّى الفجر وأسهاه في صلاته فسلّم في ركعتين ثمّ وصف ما قاله ذو الشّمالين وإنما فعل ذلك به رحمة لهذه الأمّة لئلاّ يعيّر الرّجل المسلم إذا هو نام عن صلاته أو سها فيها فيقال : قد أصاب ذلك رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم(٣٨٥).

قال الصّدوق تعقيباً على الخبر المذكور : إنّ الغلاة والمفوّضة لعنهم اللّه ينكرون سهو النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم ويقولون لو جاز أن يسهو عليه السلام في الصّلاة جاز أن يسهو في التبليغ لأنّ الصّلاة عليه فريضةٌ كما أنّ التبليغ

عليه فريضةٌ وهذا لا يلزمنا، وذلك لأنّ جميع الأحوال المشتركة يقع على النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم فيها ما يقع على غيره وهو متعبّدٌ بالصّلاة كغيره ممّن ليس بنبيّ وليس كلّ من سواه بنبيّ كهو، فالحالة الّتي اختصّ بها هي النّبوّة والتبليغ من شرائطها ولا يجوز أن يقع عليه في التبليغ ما يقع عليه في الصّلاة لأنها عبادةٌ مخصوصةٌ والصّلاة عبادةٌ مشتركةٌ وبها تثبت له العبوديّة وبإثبات النّوم له عن خدمة ربّه عزّ وجلّ من غير إرادة له وقصد منه إليه نفي الرّبوبيّة عنه لأنّ الّذي لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ هو اللّه الحيّ القيّوم، وليس سهو النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم كسهونا؛ لأنّ سهوه من اللّه عزّ وجلّ وإنما أسهاه ليعلم أنه بشرٌ مخلوقٌ فلا يتخذ ربّاً معبودا دونه وليعلم النّاس بسهوه حكم السّهو متى سهوا، وسهونا من الشّيطان وليس للشّيطان على النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم والأئمّة صلوات اللّه عليهم سلطانٌ إنما سلطانه على الّذين يتولّونه والّذين هم به مشركون وعلى من تبعه من الغاوين، ويقول الدّافعون لسهو النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم أنه لم يكن في الصّحابة من يقال له ذو اليدين وإنه لا أصل للرّجل ولا للخبر، وكذبوا لأنّ الرّجل معروفٌ وهو أبو محمّد عمير بن عبد عمر والمعروف بذي اليدين وقد نقل عنه المخالف والمؤالف وقد أخرجت عنه أخباراً في كتاب "وصف قتال القاسطين بصفّين" وكان شيخنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه اللّه يقول أوّل درجة في الغلوّ نفي السّهو عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم ولو جاز أن تردّ الأخبار الواردة في هذا المعنى لجاز أن نردّ جميع الأخبار وفي ردّها إبطال الدّين والشّريعة وأنا أحتسب الأجر في تصنيف كتاب منفرد في إثبات

سهو النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم والرّدّ على منكريه إن شاء اللّه تعالى[٢٨٦].

(٢) . وفي الذكرى للشهيد الثاني بإسناده إلى مولانا أبي جعفر عليه السلام: قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم عرس في بعض أسفاره وقال : من يكلؤنا فقال بلال : أنا فنام بلال وناموا حتى طلعت الشمس فقال : يا بلال ما أرقدك؟ فقال: يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بأنفاسكم فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم : قوموا فتحولوا عن مكانكم الذي أصابكم فيه الغفلة وقال : يا بلال أذن فأذن فصلى رسول الله ركعتي الفجر وأمر أصحابه فصلوا ركعتي الفجر ثم قام فصلى بهم الصبح ثم قال: من نسي شيئا من الصلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله عز وجل يقول : ﴿**وأقم الصّلاة لذكري**﴾ قال: زرارة فحملت الحديث إلى الحكم وأصحابه فقال : نقضت حديثك الأول فقدمت على أبي جعفر عليه السلام فأخبرته بما قال القوم فقال : يا زرارة ألا أخبرتهم أنه قد فات الوقتان جميعا وأن ذلك كان قضاء من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم[٢٨٧].

ثم قال الشهيد رحمه الله: ولم أقف على راد لهذا الخبر من حيث توهم القدح في العصمة [٢٨٨].

وقال الشيخ البهائي قدس الله روحه بعد نقل هذا الخبر وخبر إبن سنان : وربما يظن تطرق الضعف إليهم ا لتضمنهما لما يوهم القدح في العصمة لكن قال شيخنا في الذكرى: إنه لم يطلع على راد لهما من هذه الجهة وهو يعطي

تجويز الأصحاب صدور ذلك وأمثاله عن المعصوم وللنظر فيه مجال واسع؛ انتهى [٢٨٩].

(٣) . محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن عثمان بن عيسى عن سماعة بن مهران قال: سألته عن رجل نسي أن يصلّي الصّبح حتى طلعت الشّمس قال: يصلّيها حين يذكرها فإنّ رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم رقد عن صلاة الفجر حتى طلعت الشّمس ثمّ صلاّها حين استيقظ ولكنّه تنحّى عن مكانه ذلك ثمّ صلّى[٢٩٠].

(٤) . محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن عليّ بن النّعمان عن سعيد الأعرج قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: نام رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الصّبح واللّه عزّ وجلّ أنامه حتى طلعت الشّمس عليه وكان ذلك رحمة من ربّك للنّاس ألا ترى لو أنّ رجلا نام حتى تطلع الشّمس لعيّره النّاس وقالوا: لا تتورّع لصلواتك فصارت أسوة وسنّة فإن قال رجلٌ لرجل : نمت عن الصّلاة قال : قد نام رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم فصارت أسوة ورحمة رحم اللّه سبحانه بها هذه الأمّة[٢٩١].

يرد على هذه الطائفة:

أولاً: إنه وإنْ كان بعضها صحيح سنداً، إلاّ أنه مخالِف للعصمة دلالةً ومتناً، عدا عن موافقتها لأخبار العامّة لا سيّما ما ورد في حديث أبي قتادة رقم (٣١٧١) من التعليل بقوله صلّى الله عليه وآله وسلَّم : "إنّ الله قبض أرواحكم حين شاء وردّها عليكم حين شاء " وكذا حديث رقم (٣١٨٢)

بقوله صلّى الله عليه وآله وسلَّم : "إنّ الله لو أراد أنْ لا تناموا عنها لم تناموا، ولكن أراد أنْ يكون لمن بعدكم فهكذا فافعلوا، مَن نام منكم أو نسي " .

وكأنّ يد الدسّ كانت بارعة في أخبارنا حيث ركبت تلك الأسانيد الشيعيّة على المتون الأشعريّة، ففازت بقدح السبق، ونالت بغيتها التي تمنت . وهي على فرض صحّة صدورها، محمولة على التقيّة .

ثانياً: لقد ثبت في المستفيض أنّ نومه صلّى الله عليه وآله وسلَّم كان كيقظته، وكان يعلم في النوم ما يعلم في اليقظة، وعليه؛ فكيف ترك الصَّلاة مع علمه بدخول الوقت وخروجه ؟، وهل اللائق بمثل شخص النبيّ ذي المنزلة الجليلة والمقام الربّاني، وبمن لا تغمض عينه إلاّ خلسةً أنْ ينام عن الفريضة حتى يوقظه حرّ الشمس؟ ولو ارتكبه أقلّ أرباب العبادة والتهجّد لكان عاراً عليه وحزازة، فكيف بسيّد الأنبياء؟ ! وهل انحصر رفع التعيير عن النيام إلاّ بنوم النبيّ؟ أوليس هذا من دفع القبيح بالأقبح؟ أفلا يكفي البيان والإعلان باللسان في دفع التعيير عمن ينام؟! .

ثالثاً: هذه الطائفة مخالِفة للإجماع القطعي عندنا . نحن الشيعة . وخروج الصّدوق وأستاذه . في مسألة سهو النبيّ ونومه عن الصَّلاة . لا يقدح بصحّته وانعقاده، لأنّ وجود إجماع كهذا من قِبَل الطائفة مع كون الروايات بمرأى من أعينهم، دليلٌ على بطلان مفاد تلك الروايات المستدَل بها على المطلب؛ واشتهار بعضها بصحّة السند لا اعتبار به، وذلك لإعراض الطائفة المحقّة عنها مما يستلزم رفض مضمون الرواية، لأنّ الإعراض يدلّ على مزيد من الخلل في الرواية؛ مضافاً إلى أنّ الأخبار التي تمسّك بها الصَّدوق ومَن اتبعه

أخبار آحاد لا توجب علماً ولا عملاً . حسبما أسلفنا آنفاً . مع موافقتها لأخبار العامّة .

وعليه؛ فإذا كانت من أخبار الآحاد وموافِقة لأخبار العامّة، كيف يجوز حينئذٍ الأخذ بها، وترْك ما عملت به الطائفة الإماميّة، مع تأكيد النصوص عنهم بطرح الأخبار الموافِقة للعامّة عند التعارض لأنّ الرّشد في خلافهم؟!!.

رابعاً: إذا كانت المصلحة في سهوه ونومه صلّى الله عليه وآله وسلَّم عن الصَّلاة هي أنْ لا يعيّر المؤمنُ أخاهُ المؤمنَ، فلِمَ لا تسوّغ هذه المصلحة جعل النبيّ أعرجاً أو أعوراً أو أحولاً لئلاّ يعيَّر المسلم من ذوي الآفات والعاهات والمناقص المنفِّرة .

مضافاً إلى أنّ النوم عن الصّلاة يستدعي التنفير وعدم الوثوق بالنبيّ، من حيث كونها طاعة، فتركَهَا يوجب استخفافاً واستهانةً بالنبيّ، وهو بدوره يؤدّي إلى التنفير وعدم القبول والوثوق .

وقفة مع الشهيد الثاني والمفيد:

أشرنا سابقاً إلى ما قاله الشهيد الثاني ووافقه عليه الشيخ البهائي أعلى الله مقامهما مدّعياً أنه " لم يقف على رادّ لخبر نوم النبيّ عن صلاة الصّبح من حيث توهّم القدح في العصمة " وهو غريب صد وره عنه، وذلك لأنّ المسألة ليست من الفروع المحضة حتى ينتظر الشهيدُ ردَّ بعض الأصحاب لها أو مخالفتهم لمضمونها، لوضوح تعلّقها بماهيّة العصمة ومقام التبليغ، فإنامة النبيّ قهراً عن صلاة الصبح يعتبر إغراءاً للمكلَّفين بالقبيح، وجعل النوم عن

الصّلاة سُنةً وقدوةً حسنةً يؤجر عليها المؤمن، مع أنه مكروه حسبما جاء في الأخبار المستفيضة .

والأغرب منه ما عن الشيخ المفيد حيث عدّ صدور السّهو عن المعصوم عيباً يجب التنزّه عنه دون النوم فقال:

[ولسنا ننكر أنْ يغلب النوم على الأنبياء في أوقات الصّلوات حتى تخرج فيقضوها بعد ذلك، وليس عليهم في ذلك عيب ولا نقص، لأنه ليس ينفكّ بشر من غلبة النوم، ولأنّ النائم لا عيب عليه، وليس كذلك السهو، لأنه نقص عن الكمال في الإنسان وهو عيب يختصّ به مَن اعتراه، وقد يكون من فِعْل الساهي تارةً كما يكون من فِعْل غيره، والنوم لا يكون من مقدورهم لم يتعلّق به نقص وعيب لصاحبه لعمومه جميع البشر، وليس كذلك السهو..."[٢٩٢].

وفيه ما فيه من اللغط والخطأ وذلك:

أوّلاً: لأنّ النوم وإنْ لم يكن من مقدور العباد فلا عيب فيه؛ لكنّ صدوره جبراً من الله تعالى لأجل عدم التعيير يوجب تضييق القدرة الإلهيّة بعجزها عن الإتيان ببديل غير تنويم النبيّ عن الصَّلاة، إذ بإمكانه عزّ وجلّ أنْ يوجِد بديلاً يستطيع من خلاله أنْ لا يعيّر المؤمن أخاه لو نام عن الصَّلاة.

ثانياً: إنّ هذا الإدعاء موافق لأخبار العامّة التي أشرنا إلى بعضها سوى أنّ صاحبها رتّب ألفاظها ونسّق معانيها .

ثالثاً: النوم بما هو هو لا عيب فيه، ولكنه إذا أدّى إلى تفويت حقٍّ أو تضييع واجب يصبح عيباً، ونومه عن صلاة الصّبح وإنْ كان بغير اختياره بل

باختيار الله له، فإنه يستلزم أنْ يفوِّت عليه حقّ الإحترام من قِبَل الناس وعدم الوثوق به، وإلاّ تسري النو بة إلى إلغاء كثير من التكاليف جبراً من الله عليه حرصاً على أنْ لا يعيّر المؤمن أخاه، وفيه تضييعٌ لتكاليف الشريعة ومَحْقٌ لأحكامها واجتثاثٌ لأصولها .

رابعاً: تفصيل المفيد بين السهو والنوم، وإنْ كان تفصيلاً في تفصيل الصَّدوق؛ إلاّ إنه مستلزم لِمَا استلز مه تفصيل الصَّدوق، إذ كما لا فرق بين السهو في تبليغ الأحكام والسهو في العبادة من حيث النقص والعيب المنافي لرتبة الإمامة كذلك لا فرق في السهو في العبادة بين ما هو ناشئ عن النوم المفوّت لأدائها في وقتها وبين الناشئ عن غيره، ودعوى وجود فارق خارقٌ للإجماع، بل يمكن أنْ يكون تفويت الصَّلاة في وقتها أشدّ نقصاً وعيباً من تفويت السَّهو لها بغير النوم مع اشتراكهما في السَّهو . أي الإشتراك في النوم عند الصَّلاة في وقتها والسَّهو في الصَّلاة . والطعون التي أدلى بها المفيد على الصَّدوق، يُطعَن بها عليه حرفاً بحرفٍ .

الطائفة الرابعة:

تشير هذه الطائفة من الأحاديث المبثوثة في الكافي وبصائر الدرجات على عدم فعليّة علم الإمام عليه السلام بل إذا شاء أنْ يعلم لعلم، وحديث واحد في أنه هل يعلم الغيب؟ قال: لا، ولكن لو شاء أنْ يعلم أعلمه الله .

من هذه الأخبار ما رواه الصفّار:

(١) . بإسناده إلى محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى عن إبن مسكان عن بدر بن الوليد عن أبي الربيع الشامي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام: العالم إذا شاء أن يعلم علم[٢٩٣].

(٢) . وبإسناده أيضاً إلى الهيثم النهدي عن الحسن بن الحسين اللؤلؤي عن صفوان بن يحيى عن إبن مسكان عن يزيد بن فرقد النهدي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم[٢٩٤].

(٣) . وعن أحمد بن الحسن بن علي بن فضال عن عمر بن سعيد المدايني عن مصدق بن صدقة عن عمار الساباطي أو عن أبي عبيدة عن عمار الساباطي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإمام أيعلم الغيب؟ قال: لا ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء علّمه الله ذلك[٢٩٥].

(٤) . وعن عمران بن موسى عن موسى بن جعفر عن عمرو بن سعيد المدايني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أراد الإمام أن يعلم شيئا علّمه الله ذلك[٢٩٦].

وروى الكلَيْنيُّ نفسَ هذه الأ حاديث بأسانيدها وطرقها إلاّ الثالث لم يروه أصلاً[٢٩٧].

وهذه الطائفة هي الوحيدة تقريباً التي يُعوِّل عليها أصحاب نظريّة عدم العلم الحضوري للإمام، فهي النمرقة الوسطى التي عندها اجتماع ما اختلف من الأدلّة، وائتلاف ما افترق من الأحاديث، فتحمل تلك الطوائف . بنظر هؤلاء . على أنّ علمهم يكون حاضِراً لديهم إذا شاؤا ذلك، كما يكون

حاصِلاً إذا أرادوا، ولا يكون حضوره دوماً، وحصوله ابداً، بل إنّ تجلّي الأمور وانكشاف الأشياء عند الإشاءة منهم والإرادة لها .

والجواب:

أوّلاً: أسانيد هذه الأحاديث كلّها مجاهيل وضعاف إلاّ واحدة هي موثقة يزيد بن فرقد النهدي، ولا يعدو كونها خبراً واحداً لا يصحّ التعويل عليه في أصول العقيدة، من حيث إنّ نسبة الجهل إلى الإمام في العلم الحضوري يخدش في مقام العصمة المطلقة للإمام عليه السلام، وينافي آية التطهير التي دلّت على الطهارة المطلقة له عليه السلام، والقول بعدم الحضور خلاف التطهير المطلَق.

والعمل بخبر واحد في أصول العقيدة يُعتبر ظنّاً، يجب العدول عنه إلى ما يقتضي العلم واليقين لقوله تعالى:

﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم**﴾ (الإسراء/٣٦) .

﴿**وأنْ تقولوا على الله ما لا تعلمون**﴾ (البقرة/١٦٩) .

﴿**إلاّ مَن شهد بالحقّ وهم يعلمون**﴾ (الزخرف/٨٦) .

﴿**وما يتبع أكثرهم إلاّ ظناً إنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئاً**﴾ (يونس/٣٦).

﴿**وإنْ يتبعون الظنّ وإنْ هم إلاّ يخرصون**﴾ (الأنعام/١١٦) .

﴿**قل ءالله أذِنَ لكم أم على الله تفترون**﴾ (يونس/٥٩).

﴿**تالله لتسئلنّ عمّا كنتم تفترون**﴾ (النحل/٥٦).

فالقول بعدم فعليّة علم الإمام خلاف اللطف المقرِّب الّذي يجب أنْ يتصف به الإمام عليه السلام لكونه أقرب إلى طاعة العباد وأبعد عن معصيتهم، فيجب على الحكيم أنْ يهبه لحجّته وسفيره تماماً كوجوب عصمته ونصبه لقضاء الضرورة بذلك .

ثانياً: هذه الطائفة المقيّدة لعلمه بما لو شاء أنْ يعلم لعَلِم . وإنْ كانت أفضل من سابقاتها التي نفت فعليّة علمه وحضوره . لا يمكنها أنْ تعارض أخبار العِلْم الحضوري لِمَا سيأتي، فلا بدّ من حملها على أحد الوجوه الخارجة عن محلّ النزاع على سبيل منع الخلوّ .

إمّا بحملها على العلم الذاتي الخاصّ بذات الواجب الّذي لا يشاركه الممكن فيه، كما هو محمل عموم النفي في قوله تعالى : ﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو** ﴾ (الأنعام/٥٩)؛ مع احتمال عموم نفيه بمن عدا الراسخين بقرينة استثنائهم في آية: ﴿**وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم**﴾ (آل عمران/٧) .

فيكون المعنى: إنّ الإمام عليه السلام لو شاء أنْ يعلم الخاصّ من العلم عند الله تعالى الّذي لا يشاركه فيه ممكن على الإطلاق لَعَلِمَ ذلك.

وبعبارة أخرى: لعلّ هذا العلم الخاصّ هو العلم بذاته تعالى المقدَّسة .

وإمّا بحملها على العلم الخاصّ المستأثر به الله عزّ وجلّ لنفسه ولم يُطلع عليه مَلَكاً مقرَّباً ولا نبيّاً مرسَلاً، ومحمل جملة من الآيات النافية مثل قوله تعالى: ﴿**لو كنتُ أعلم الغيب لاستكثرتُ من الخير** ﴾ بقرينة سياقه وكونه

من تتمّة الجواب عن قوله : ﴿**يسألونك عن الساعة أيّان مرساها** ﴾ حيث يُعدّ هذا من العلم الخاصّ ا لمستأثر، وهو نظير قوله تعالى : ﴿**تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنتَ علاّم الغيوب** ﴾ (المائدة/١١٦) بقرينة ما في تفسيرها عن مولانا الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام من أنّ الإسم الأكبر ثلاثة وسبعون حرفاً، إحتجب الربّ بحرف، فمن ثمّ لا يعلم أحد ما في نفسه عزّ وجلّ.."[٢٩٨]، أو بقرينة ما ورد من أنّ الإسم الأعظم ثلاثة وسبعون، أعطى منه محمّداً وآل محمّد إثنين وسبعين وادّخر لنفسه حرفاً واحداً، كما وأعطى الأنبياء على حسب مراتبهم فقوله :﴿**تعلم ما في نفسي**﴾ أي تعلم الحروف العظمى التي أعطيتنيها، ﴿**ولا أعلمُ ما في نفسك**﴾ لأنك احتجبتَ بذلك الحرف فلا يعلم أحد ما في نفسك إلاّ آل البيت فإذا شاؤا أنْ يعلموا أعلمتهم ذلك يا ربّ .

وإمّا تحمَل على العِلْم الخاص المستأثر به الله كعِلْم الساعة والآجال ونزول المطر وغير ذلك بحيث لا يعلمه أحد إلاّ هو ولم يأذن في ظهوره لأحدٍ كالمصير المحتوم الّذي لا يتغير بالبداء، فلا أحد يطّلع عليه إلاّ هم صلوات الله عليهم، ولو شاؤا لأخبروا به من يستحق ذلك .

وإمّا تُحْمَل على التورية بمعنى أنّ الإمام عليه السلام قصد من قوله: ﴿**إذا شاء أنْ يعلم لَعَلِم** ﴾ شيئاً خاصّاً، نحن لا ندري ماهيّة هذا الشيء، فلا بدّ من الإستسلام لمشيئهم التي هي مشيّة الباري عزّ وجلّ .

وإمّا أن تحمَل على التقيّة لموافقتها العامّة، ومعلوم أنّ التقيّة كما تدعو إلى الفتوى بموافقة العامّة، كذلك تدعو إلى الرّواية بموافقتهم بل وإلى الفتوى والرواية بمشابهتهم في مجرَّد إختلاف الرّأي أو الرّواية .

وإمّا أنْ تطرَح لكونها من الآحاد التي لا يجوز العمل بها في أصول العقيدة؛ مضافاً إلى اضطراب متنها وتشابهه وإجماله، وفساد مذهب بعض رواتها .

ثالثاً: توجد قرائن ومرجِّحات دلاليّة وسنديّة تأبى عن الجمع المذكور . أي العلم الإشائي . إذ عند التعارض بين الروايات النافية وبين المثبتة، يُقدَّم ما كان أكثر دلالةً على المطلوب وأرجح سنداً، مضافاً إلى أنّ الأصل تقديم المثبت على النّافي، والناقل على المقرِّر عند تعارضهما، كما أنّ القاعدة الأصوليّة تقتضي رجووع الظاهر إلى النصّ والأظهر، والمجمل إلى المبيَّن ، والمتشابَه إلى المحكَم، وذلك لما روي من أنّ الأخبار كالقرآن يفسّر بعضه بعضاً، منها ما ورد عن مولانا الإمام الرّضا عليه السلام قال:

"مَن ردّ متشابَه القرآن إلى محكَمه فقد هُدِيَ إلى صراط مستقيم، ثمّ قال : إنّ في أخبارنا محكَماً كمحكَم القرآن، ومتشابهاً كمتشابَه ا لقرآن، فردّوا متشابَهَها على محكَمنا ولا تتبعوا متشابَهَهَا دون محكمها فتضلّوا"[٢٩٩].

ومن القرائن الدلاليّة ما يلي:

القرينة الأولى:

إنّ العلم الإرادي المقيَّد بالمشيّة من معاني العلم المجازيّة لا الحقيقيّة، لتبادر غيره وصحّة السّلب عنه، فيخرج عن فرديّة العلم المطلَق القابل لتقييد إطلاقه حسبما توهّمه بعضُ مَن قال بالعلم الإشائي .

القرينة الثانية:

صراحة المطلقات المثبِتة لعلمهم في الإطلاق والعموم والفعليّة على وجه تأبى عن التبعيض والتقييد بالمشيئة كما لايخفى على مَن راجع تلك النصوص البهية القطعيّة، ودلالاتها الصريحة الجليّة، كقوله عليه السلام في صحيحة البزنطي: " الله أكرم وأرأف بعباده من أنْ يفرض عليهم طاعة عبد يحجب عنه خبر السماء صباحاً أو مساءً "(٣٠٠).

وفي خبر آخر : " إنّ الله أجلّ وأعظم من أنْ يحتجّ بعبد من عباده ثمّ يخفى عنه شيئاً من أخبار السماء والأرض"(٣٠١).

وقوله في المتضافر :" إنّ منا أهل البيت لمن الدنيا عنده بمثل هذه وعقد بيده عشرة" (٣٠٢)، وفي لفظ آخر: " إنّ الدنيا تمثل للإمام في فلقة الجوز، فما تعرض لشيء منها، وإنّه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء فلا يعزب عنه منها شيء(٣٠٣)".

وكذا التعبير بقوله: " والّذي نفسي بيده إني لأعلمُ عِلْمَ النبيّ وعِلْمَ ما كان وعِلْمَ ما هو كائنٌ فيما بيني وبين قيام الساعة(٣٠٤)".

وقوله عليه السلام: " جعل عليّاً خازنه على ما في السّماوات وما في الأرض من شيء وائتمنه عليه ﴿**ألا إلى الله تصير الأمور**﴾ (٣٠٥)".

كيف لا يخفى عليه شيء من أخبار السّماء والأرض، وهو خازن عِلْم الله على ما في السّماوات والأرض والمؤتمَن عليه، والدّنيا لديه كالجوزة في يد أحدنا، وفي نفس الوقت لو شاء أنْ يعلم لعَلِمْ؟!!!.

القرينة الثالثة:

ورود مطلَقات إثبات العلم لهم في مقام بيان إمتنان الملِك العلاّم بتلك المنن الجسام، وتعداد العلائم الخاصّة بالإمام، وإعطاء الضابط الكلّي من خصائصه ومكارمه العظيمة، كلّ ذلك يناسب تعميم علمه وأنه حضوريّ، ويأبى عن التقييد والتبعيض .

القرينة الرابعة:

ورود مطلَقات إثبات العلم لهم في سياق بيان سائر صفاتهم الكريمة غير المقيَّدة بحال دون حال، ولا بزمان دون زمان لكونهم المعصومين من الذّنوب، المطهَّرين عن العيوب، العالِمين بالغيوب، وأنهم قادة الأمم وأولياء النِّعَم وأبواب الإيمان، وخلفاء الرّحمان على الإنس والجانّ وعلى أهل السماوات والأرضين في جميع الأمكنة والأزمنة حتى بعد وفاتهم، بل وقبل حياتهم، كما يؤيّده نصوص أخْذ أنبياء السَّلَف العهود والمواثيق من أممهم على نبوّة نبيّنا وخلافة خلفائه؛ من هذه النصوص ما أورده الصفّار في كتابه بصائر الدرجات:

(**١**) . ما ورد عن أبو جع فر أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن مفضل بن صالح عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿**ولَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً**﴾ قال: عهد إليه في محمد

والأئمة من بعده فترك ولم يكن له عزم فيهم أنهم هكذا وإنما سمي أولو ا لعزم أولي العزم لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته فأجمع عزمهم أن ذلك كذلك والإقرار به(٣٠٦) .

(**٢**) . أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن داود العجلي عن زراره عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق خلق ماء عذبا وماء مالحاً أجاجاً فامتزج الماءان فأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركا شديدا فقال لأصحاب اليمين وهم فيهم كالذر : يدبون إلى الجنة بسلام وقال لأصحاب الشمال: يدبون إلى النار ولا أبالي ثم قال: ﴿**ألست بربكم**﴾ قالوا: ﴿**بلى**﴾ شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غاف لين قال ثم أخذ الميثاق على النبيين فقال : ﴿**ألست بربكم**﴾ ثم قال: وإن هذا محمد رسول الله وإن هذا علي أمير المؤمنين قالوا : ﴿**بلى**﴾ فثبتت لهم النبوة وأخذ الميثاق على أولي العزم ألا إني ربكم ومحمد رسولي وعلي أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاة أمري وخزان علمي وإن ا لمهدي أنتصر به لديني وأظهر به دولتي وأنتقم به من أعدائي وأعبد به طوعا وكرها قالوا أقررنا وشهدنا يا رب ولم يجحد آدم ولم يقر فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي ولم يكن لآدم عزم على الإقرار به وهو قوله عز وجل ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ ولم نَجِدْ لَهُ عَزْماً**﴾ قال: إنما يعني فترك ثم أمر ناراً فأججت فقال لأصحاب الشمال: ادخلوها فهابوها وقال لأصحاب اليمين: ادخلوها فدخلوها فكانت عليهم بردا وسلاما فقال أصحاب الشمال : يا رب أقلنا

فقال: قد أقلتكم اذهبوا فادخلوها فهابوها فثم ثبتت الطاعة والمعصية والولاية(٣٠٧).

(٣) . ورواه أيضا عن علي بن الحكم عن هشام بن سالم عن رجل عن أبي عبد الله (عليه السلام) مثله.

(٤) . حدثنا عبد الله بن عامر عن أبي عبد الله البرقي عن الحسين بن عثمان عن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة قال : قال أبو جعفر (عليه السلام): إن علياً آية لمحمد ص إن محمداً يدعو إلى ولاية علي (عليه السلام)(٣٠٨).

(٥) . حدثنا أحمد بن محمد عن الحسن بن موسى عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله تعالى ﴿و**إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُم** ﴾ إلى آخر الآية قال : أخرج الله من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر فعرفهم نفسه ولو لا ذلك لم يعرف أحد ربه ثم قال : ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى** ﴾ وإن هذا محمد رسولي وعلي أمير المؤمنين خليفتي وأميني(٣٠٩) .

(٦) . حدثنا محمد بن الحسين عن النضر بن سويد عن خالد بن حماد ومحمد بن الفضيل عن الثمالي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: أوحى الله إلى نبيه ﴿**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ قال: إنك على ولاية عليّ وعليّ هو الصراط المستقيم (٣١٠).

(٧) . حدثنا عبد الله بن عامر عن أبي عبد الله البرقي عن الحسين بن عثمان عن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة قال : قال أبو جعفر (عليه السلام): إن علياً (عليه السلام) آية لمحمد وإن محمدا يدعو إلى ولاية عليّ (عليه السلام) (٣١١).

(**٨**) .حدثنا يعقوب بن يزيد عن الحسن بن محبوب عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن ﷺ قال:ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ولن يبعث الله نبيا إلا بنبوة محمد وولاية وصيه عليّ ﷺ(٣١٢).

(**٩**) . حدثنا أحمد بن محمد عن العباس عن عبد الله بن المغيرة عن أبي جعفر ﷺ عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال : رأيت رسول الله وسمعته يقول: يا علي ما بعث الله نبياً إلا وقد دعاه إلى ولايتك طائعاً أو كارهاً (٣١٣).

(**١٠**) . حدثنا أحمد بن محمد عن إبن أبي عمير عن جميل والحسن بن راشد عن أبي عبد الله ع في قول الله تبارك وتعالى : ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾ قال فقال بولاية أمير المؤمنين علي ﷺ(٣١٤).

(**١١**) . حدثنا الحسن بن علي بن النعمان عن يحيى بن أبي زكريا بن عمرو الزيات قال: سمعت من أبي ومحمد بن سماعة يرويه عن فيض بن أبي شيبة عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر ﷺ يقول: إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبيين على ولاية عليّ ﷺ وأخذ عهد النبيين بولاية عليّ ﷺ (٣١٥).

(**١٢**) . حدثنا أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن بعض أصحابه عن حنان بن سدير عن سلمة بن الحناط عن أبي جعفر ﷺ في قول الله عز وجل ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ قال: هي الولاية لأمير المؤمنين (٣١٦).

(**١٣**) . حدثنا أبو الجوزاء عن الحسين بن علوان عن سعد بن طريف قال : قال: أبو جعفر عليه السلام قال: رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم ألا إن جبرائيل أتاني فقال يا محمد ربك يأمرك بحب علي بن أبي طالب ويأمرك بولايته(٣١٧) .

(**١٤**) . حدثنا السندي بن محمد عن يونس بن يعقوب عن عبد الأعلى قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما نبئ نبي قط إلا بمعرفة حقنا وبفضلنا عمن سوانا (٣١٨).

(**١٥**) . حدثنا علي بن إسماعيل عن محمد بن عمرو عن يونس بن يعقوب عن عبد الأعلى عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما من نبي نبئ ولا من رسول أرسل إلا بولايتنا وبفضلنا عمن سوانا(٣١٩).

القرينة الخامسة: الآيات والنصوص الدالّة على الإعتدال الحقيقي في مزاج الإمام عليه السلام على وجه لولا طروّ الموانع الخارجيّة لم يعرضه الموت، فضلاً عن الجهل فيما لو لم يشأ أنْ يعلمه . أي في الشيء الّذي لا يريد الإمام أنْ يعلمه هو حقيقة جاهلاً به . مضافاً إلى السَّهُو والنسيان، فالإطلاق في قوله تعالى: ﴿**ذومِرّة فاستوى**﴾ يشمل الناحيتين الجسديّة والمعنويّة، ولا تقييد في البين .

القرينة السادسة: الإستقراء في كلّ واحدٍ من القوى والأرواح المخلوقة من الحواس الظاهريّة كالباصرة والشامة والذّائقة واللامسة، وكذا الباطنيّة كالمدرِكة والحافِظة والمتخيِّلَة، والجاذبة، والماسِكة، والهاضِمة، والدّافِعة، حيث إنّ تأثير كلٍّ من تلك القوى الظاهريّة والباطنيّة إنما يكون على وجه الفعليّة لا الشأنيّة، والتعميم لا التبعيض من حيث الإقتضاء، لولا طروّ الموانع الخارجيّة،

فكذا القوّة المخلوقة في الإمام لإدراكه المغيبات يقتضي أنْ يكون على هذا الوجه تامّ الإقتضاء بالإستقراء المذكور، وإلحاق المشكوك بالأعمّ الأغلب .

القرينة السابعة: الإستقراء أيضاً في إخباراتهم الغيبيّة وأنبائهم الغريبة عن الضمائر والأحوال، وعمّا في أرحام النساء وأصلاب الرّج ال، وعن المنايا والآجال، وعن المسائل قبل السؤال، وعمّا يبعث لهم من الهدايا والأموال قبل قبضها وكشف الحال، وعن منطق الطير والثعبان والإبل وسائر أفراد الحيوان ما يشهد لتعميم علمهم ووفور فضلهم، فقد ذكر الخاصّة والعامّة من قضايا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام العجيبة الغريبة المتضمِّنة لعلمه الفعلي الحضوري بجميع الأشياء والفنون، وما كان وما يكون وغير ذلك مما هو أظهر من أنْ يخفى، وأكثر من أنْ يُحصى .

القرينة الثامنة: إنّ طائفة العلم الإشائي صريحة بأنّ علمهم موقوف على الإشاءة منهم، ولكن لا دلالة فيها على أنهم لا يشاؤ ن إلاّ في وقت دون آخر، فأيّ صراحة فيها تعارض ما دلّ على أنهم يشاؤون أبداً ويريدون دوماً؟ .

وبعبارة أخرى: إنّ تلك النصوص ليس فيها دلالة على تحديد علمهم في وقت خاصّ؛ بل تدلّ على أنّ إعمال تلك القوّة القدسيّة لديهم عند الولادة موقوف على إرادتهم المتوقِّفة على وجود المصلَحة في إبراز الحقائق المستورة، وإظهار ما عندهم من مكنون العلم .

القرائن والمرجِّحات السَّنَديّة:

وأما المرجِّحات والقرائن السَّنَديّة للأخبار الدالّة على عموم وفعليّة علم الإمام عليه السلام فكثيرة منها:

القرينة الأولى: إنّ روايات العلم ا لإشائيّ أو الإرادي جُلُّها، بل كلّها ضعيفة السَّنَد ومضطربة المتن، عدا عن أنها مجملة ومتشابهة فلا بدّ من

تأويلها . كما سوف نفعل بعد قليل .، ووجود موثَّقة ضمن هذه الطائفة لا يصحّح مسارها، وينقلها من الضعف إلى القوّة، لِمَا عرفتَ من أنّ أصول العقيدة لا تقوم على الخبر الواحد بالإتفاق بين عامّة فقهاء الإماميّة .

القرينة الثانية : إنّ مجموع النصوص النافية لعلمهم والمقيّدة بالمشيئة، وكذا نصوص السَّهو والنسيان على كثرتها، لم تبلغ عُشْر معشار النصوص المثبتة والعامّة، لا في الكثرة ولا في قوّة الدَّلالة، فالنصوص المثبِتة أكثر جدّاً وأصحّ سَنَدَاً، وأصرح دلالةً من النصوص المعارِضة لها .

القرينة الثالثة: إنّ النصوص النافية من الروايات شاذّة وموافِقة للعامّة، بخلاف النصوص المثبتة فإنها مشهورة ومخالِفة للعامّة، وكلٌّ منها من المرجّحات المنصوصة لطرح المعارض، أو حمله على التقيّة طبقاً لِمَا أجمع عليه فقهاء الإماميّة .

والسرّ في كون تلك النصوص النافية للعلم الحضوري شاذةً هو أنها تنسب الجهل للإمام في بعض الأشياء أو الأمور، فالتعبير بقوله : "لو شاء الإمام أنْ يعلَم لَعَلِم" فيه دلالة واضحة إلى نسبة الجهل إليه في الأمور التي يريد أنْ يعلم بها فيما لو شاء ذلك، ولو لم يشأ لبقي على جهله بها وهو قبيح يتنزَّه عنه أقلّ العباد رتبةً فكيف بسيّدهم وهو الإمام عليه السلام؟!! .

على أنه إذا كان علمهم موقوفاً على الإرادة منهم، فلِمَ لا يريدون عِلْمَ الأشياء؟!، ومَن الّذي لا يريد أنْ يكون عِلْمه بأعلى مراتب الكمال وهو قادر على نيله باختياره وإرادته؟ !؛ فإنّ الناس تريد حصول المراقي الرفيعة من الفضيلة، ولا تكون إلاّ بالكدّ والجدّ والتعب والنّصَب، فكيف يمتنع أحد عن تحصيلها، وهي بالرغبة والإشاءة من دون كلفة وجهاد؟ ! ولِمَ لا يحصل على تلك الرُّتب السّامية وهو يعرف تلك الفضيلة، ويعلم هاتيك الدُّرج العالية؟!!

لا أظنّ عاقِلاً يرفض أنْ يكون في تلك المنزلة الرفيعة باختياره ثمّ لا يطلبها!!.

القرينة الرابعة: إنّ النصوص النافية والمقيَّدة بالإشاءة والإرادة من أخبار الآحاد التي لا يجوز التعويل عليها في أصول الدين والعقيدة، بل يجب العدول عنها حسبما أسلفنا سابقاً، بخلاف النصوص المثبتة فإنها بلغت في الكثرة والقوّة حدّ العِلْم والتواتر التي قلّما يتفق معشاره في شيء من المعلومات والمتواتَرات الدينيّة .

بيان في تأويل نصوص العلم الإشائي:

بعدما عرفتَ من أنّ أخبار العلم الحضوري الفعلي مرجَّحة على العلم الإشائي؛ وبما أنّ الجمع أَوْلى من الطَّرْح، لا بدّ أنْ نؤوِّل أخبار العلم الإشائي على وجوه:

الوجه الأوّل: تُحمل على العلم الذّاتي أو الخاصّ المستأثر به عند الله تعالى حسبما أشرنا في الجواب الثاني في الرّد على الطائفة الرابعة فراجع .

الوجه الثاني: المراد من قوله : "إذا شاء أنْ يَعْلَم عَلِم " أي إذا شاء أنْ يَعْلَم عند الولادة بكلّ شيء لَعَلِم، بمعنى أنّ إعمال تلك القوّة القدسيّة الثابتة لديهم عند ولادتهم موقوف على إرادتهم المتوقِّفة على وجود المصلَحة في إبراز الحقائق المستورة، وإظهار ما عندهم من مكنون العِلْم .

وبمعنى آخر: إنّ كلّ العلوم هي في الإمام بالقوّة في خزانة الخيال عنده فلو أراد أنْ تكون بالفعل لَشَاء ذلك، ولكنّه لم يُرِد ذلك حرصاً على المصالح والمفاسد الواقعيّة المترتبة على إبراز ذلك .

الوجه الثالث : أنْ يُراد منها أنّ الإمام عليه السلام عندما يرتحل من الدنيا قادر بإشاءته . التي هي في طول إشاءة المولى . يُعَلّم كلَّ ما سيجري من موضوعات بعد وفاته، ولكنه لا يفعل لفقدان المقتضي ووجود المانع.

الوجه الرابع: أنْ يكون لفظ "علم " على صيغة الماضي المجهول (عُلِمَ) أو بناء على ما ورد في نسخة الكافي: " إذا شاء أنْ يعلم أُعْلِم " مع قراءة: " يَعْلَم " بصيغة المضارع المجهول أيضاً أي : (يُعْلَم) فالعبارة هكذا: (إذا شاء أن يُعْلَمْ عُلِم) أي لو شاء الإمام أنْ يُعْرَف على حقيقته الكاملة لدى عامّة الخلق لفعَل ولكنّه لا يفعل لعدم وجود مَن يحمل القابليّة لذلك، أو لو شاء الإمام أنْ يُعْرَف ويُعْلَم الله تعالى على حقيقته بواسطتهم لَفَعَل، ولكنّه مأمور بأنْ لا يُعَرِّف اللهَ بحقيقته أو بصفاته لنقص في قابليّات الخلق .

الوجه الخامس: أنْ تُقرَأ لفظتي "يعلم علم" بصيغتيّ المضارع والماضي المعلوم فالمعنى هكذا: "إذا شاء أنْ يُعَلِّمْ لَعَلَّم " بتشديد اللاّم وكسرها في الأولى، وتشديد اللاّم وفتحها في الثانية، أي للإمام عليه السلام الإشاءة والإرادة والإختيار في أنْ يعلّم مَن شاء ويمنع العِلْم عمَّن يشاء تماماً كما ورد في قوله تعالى: ﴿**ولكن يضلّ مَن يشاء ويهدي مَن يشاء** ﴾ (النحل/٩٣) ﴿**إنّك لا تهدي مَن أحببت ولكنّ الله يهدي مَن يشاء** ﴾ (القصص/٥٦) ﴿ **كذلك يضلّ الله مَن يشاء ويهدي مَن يشاء** ﴾ (المدّثر/٣١) ﴿ **فيغفر لمَن يشاء ويعذِّب مَن يشاء**﴾ (البقرة/٢٨٤) .

وهداية الله لمن يشاء من عباده دون البعض الآخر، وكذا إضلاله لبعض دون بعض ليس على سبيل الإنتقاء الجبري بل مشروط بوجود قابليّات الهداية والضلال عند الأفراد الموصوفين بالهداية أو الضَّلال، أي أنّ الله يهدي إلى الهداية الخاصّة . بعد أنْ عمل بالهداية العامّة . مَن يشاء الهداية الخاصّة وكذا يُضلّ عن الهداية الخاصّة مَن لم يعمل بالهداية العامّة (٣٢٠). هكذا أئمّة آل البيت عليهم السَّلام، فإنّ الإمام منهم يهدي مَن يشاء الهداية بأمر من الله تعالى، ويمنع عمَّن لا يشاء الهداية باختياره .

مضافاً إلى أنه عليه السلام ليس له أنْ يجيبَ إنْ سُئِلَ حسبما جاء في الأخبار المتواترة والتي أورد الصفّار منها أربعة عشر حديثاً فيها الموثَّق والصَّحيح وبألفاظ صريحة؛ أروي شطراً منهاوهي الآتي:

(١) . محمد بن الحسين عن محمد بن إسماعيل عن منصور بن يونس عن أبي بكر الحضرمي قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام ودخل عليه الورد أخو الكميت فقال: جعلني الله فداك اخترت لك سبعين مسألة ما يحضرني مسألة واحدة منها قال: ولا واحدة يا ورد؟ قال : بلى قد حضرني واحدة قال : وما هي؟ قال : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُون**﴾ قال : يا ورد أمركم الله تبارك وتعالى أن تسألونا ولنا إن شئنا أجبناكم وإن شئنا لم نجبكم(٣٢١) .

(٢) . وفي موثَّقة الوشاء عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سمعته يقول: قال علي بن الحسين عليه السلام: على الأئمة من الفرض ما ليس على شيعتهم وعلى شيعتنا ما ليس علينا أمرهم الله أن يسألونا فقال: ﴿**فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ**

إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ فأمرهم أن يسألونا وليس علينا الجواب إن شئنا أجبنا وإن شئنا أمسكنا[٣٢٢] .

(٣) . وفي موثقة أحمد بن محمّد عن أحمد بن أبي نصر قال : كتبت إلى الرضا عليه السلام كتابا فكان في بعض ما كتبت إليه قال الله عز وجل : ﴿**فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُون** ﴾ وقال تعالى : ﴿**وما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ولِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ فقد فُرِضَت عليكم المسألة ولم يُفْرَض علينا الجواب قال عز وجل : ﴿**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ ومَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ**﴾ (القصص/٥٠)[٣٢٣] .

(٤) . وفي صحيحة أحمد بن محمّد عن إبن أبي عمير عن هشام بن سالم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى : ﴿**فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ من هم؟ قال : نحن قال : قلت: علينا أن نسألكم؟ قال:نعم قلت:عليكم أن تجيبونا؟ قال: ذلك إلينا[٣٢٤] .

(٥) . وفي صحيحة محمّد بن عبد الجبار عن الحسن بن عليّ بن فضال عن ثعلبة عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى : ﴿**فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ من هم؟ قال : نحن، قلت : فمن المأمورون بالمسألة؟ قال: أنتم، قال: قلت: فإنا نسألك كما أم رنا وقد ظننت أنه لا يمنع

مني إذا أتيته من هذا الوجه قال: فقال: إنما أمرتم أن تسألونا وليس لكم علينا الجواب إنما ذلك إلينا[٣٢٥].

(٦) . وعن المعلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿**فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ قال: هم آل محمد فعلى الناس أن يسألوهم وليس عليهم أن يجيبوا ذلك إليهم إن شاءوا أجابوا وإن شاءوا لم يجيبوا[٣٢٦].

وفي الباب ٢٠ من البصائر: باب في أنّ الأئمّة يكون عندهم الحلال والحرام في الأحوال كلّها ولكن لا يجيبون؛ إستعرض الصفّار هناك خمسة أحاديث منها بإسناده إلى:

(١) . علي بن إسماعيل عن صفوان بن يحيى عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت: يكون الإمام يسأل عن الحلال والحرام فلا يكون عنده فيه شيء؟ قال: لا ولكن قد يكون عنده ولا يجيب[٣٢٧] .

(٢) . أحمد بن محمد بن سليمان النوفلي عن محمد بن عبد الرحمن الأسدي والحسن بن صالح قال : أتاه رجل من الواقفة وأخذ بلجام دابته وقال: إني أريد أن أسألك فقال : إذاً لا أجيبك فقال :ولم لا تجيبني قال : لأن ذلك إلي إن شئت أجبتك وإن شئت لم أجبك[٣٢٨] .

(٣) . وعن أحمد بن محمد عن أبي عبد الله النوفلي عن القاسم عن جابر قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن مسألة أو سئل عنها فقال: إذا لقيت موسى فاسأله عنها قال: فقلت: أولا تعلمها قال: بلى قلت: فأخبرني بها قال: لم يؤذن لي في ذلك[٣٢٩] .

(٤) . عن عباد بن سليمان عن سعد بن سعد عن صفوان بن يحيى قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام: يكون الإمام في حال يسأل عن الحلال وا لحرام والذي يحتاج الناس إليه فلا يكون عنده شيء؟ قال: لا ولكن قد يكون عنده ولا يجيب[٣٣٠] .

(٥) . عن محمد بن الحسين عن صفوان بن يحيى عن محمد بن حكيم قال سألت أبا الحسن عليه السلام عن الإمام هل يسأل عن شي ء من الحلال والحرام والذي يحتاج الناس ولا يكون فيه شي ء قال: لا ولكن يكون عنده ولا يجيب ذاك إليه إن شاء أجاب وإن شاء لم يجب[٣٣١] .

تنبيه:

ليس المراد من قوله في هذه الأحاديث : " إنْ شاء أجاب وإنْ شاء لم يجب" أنه يمنع العِلْم عمّن يستحقه، وإلاّ فلا تتمّ الحجّة من الله على العبيد، بل هو خلاف قوله تعالى: ﴿**فسئلوا أهل الذكر إنْ كنتم لا تعلمون** ﴾، بل يراد منها أنه يعطي مَن يشاء العِلْم، ويمنع عمّن لا يشاء العلم، وهذا نظير فعل الله بقوله :﴿**إنّ الله يضل من يشاء ويهدي إليه مَن أناب** ﴾ (الرّعد/٢٧)، ﴿**فيضلّ الله مَن يشاء ويهدي مَن يشاء**﴾ (إبراهيم/٤).

أو أنها تحمل على أسرارهم التي كتموها إلاّ عمَّن شاءوا حسبما أوردنا سابقاً في المتواتَر .

فالأئمّة عليهم السَّلام إذَن، إنْ شاءوا أجابوا وإلاّ فلا، وكذا إذا شاءوا أنْ يُعَلِّموا علَّموا وإلاّ فلا .

وعليه؛ فأيّ خصوصيّة بعدُ لحَمْلِ تلك النصوص على ظاهرها المتشابَه حتى يتمسَّك بها مَن ليس له حظٌّ وافر من الفقاهة في أمر آل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين؟ أليس أَوْلى لمن لا يملك حظّاً أو نصيباً من الفقاهة الصحيحة أنْ يسلِّم لأمرهم دون أنْ يُقحم نفسه في مغبّة المتشابهات بل المحرَّمات من حيث إلصاق الجهل بساحتهم الشريفة، والقول فيهم بالظّن؛ وإنّ الظّنّ لا يُغني من الحقّ شيئاً، أجارنا الله تعالى من فلتات اللسان وشطحات الأقلام بحقّ ذواتهم المقدَّسة عليهم السَّلام .

إشكال وحلّ:

مفاد الإشكال: هناك طائفة لا يُستهان بها من الأخبار مفادها : أنّ الأئمّة عليهم السَّلام يُبسط لهم العلم فيعلَمون ويُقبَض عنهم فلا يعلَمون، وأنهم يزدادون في كلّ ليلة جمعة، وأنه لولا ذلك لنفد ما عندهم، فكيف تصورون مثل هذا مع ما قلتم من أنّ علمهم حضوريّ وفعليّ، أليس هذا تناقضاً في المسلَك الّذي تدّعون؟!.

من هذه الطائفة ما رواه الكليني في الصحيح عن:

(١) . معمّر بن خلاّد قال: سأل الإمام أبا الحسن عليه السلام رجلٌ من أهل فارس فقال له: أتعلَمون الغيب؟ فقال: قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: يُبسَط لنا العلم فنعلَم ويُقبَض عنا فلا نعلَم، وقال : سرُّ الله عزّ وجلّ أسرَّه إلى جبرائيل عليه السلام، وأسرَّه جبرائيل إلى محمّد، وأسرَّه محمّد إلى مَن شاء الله[٣٣٢].

(٢) . وفي خبر يوسف الابزاري، عن المفضّل قال: قال لي الإمام أبو عبد الله عليه السلام ذات يوم وكان لا يكنّيني قبل ذلك : يا أبا عبد الله قال : قلتُ:

لبّيك، قال: إنّ لنا في كلّ ليلة جمعة سروراً قلتُ: زادك الله وما ذاك؟ قال: إنْ كان ليلة الجمعة وافى رسول الله العَرْش ووافى الأئمّة عليهم السَّلام العَرْش معه ووافينا معهم، فلا تردُّ أرواحنا إلى أبداننا إلاّ بعِلْمٍ مُسْتفاد، ولولا ذلك لأنفدنا [٣٣٣].

(٣) . وعن صفوان بن يحيى قال : سمعتُ أبا الحسن عليه السلام يقول: كان جعفر بن محمّد عليهما السلام يقول: لولا أنا نزداد لأنفَدْنا[٣٣٤].

والجواب:

(أوّلاً): لا يمكن لهذه الطائفة التي جلّ أسانيدها من المجاهيل والضعفاء والمهمَلين أنْ تعارض عموم وإطلاقات الآيات الدالّة على الحضور والفعليّة، وكذا ما ورد في الأخبار القطعيّة الدالّة على أنّ جُلّ علومهم دفعيّة لدنيّة من علاّم الغيوب القادر على كلّ مقدور، لا سيّما تلك الأخبار الدالّة على علوّ مقامهم وأنهم أوّل ما خلق الله، وأنهم خُلِقُوا من نور الله، إذ كيف يكونون مخلوقين من نور الله تعالى وهم يتساوون مع غيرهم في تحصيل العلوم عن طريق الكسب والسَّعي؟ فمَن خُلِقَ من نور الله، لا بدّ له من مائزٍ يختلف به عن النّاس، وهذا المائز هو حضوريّة علمه وفعليّته ! مضافاً إلى ما ورد من أنهم عالِمون بما كان وبما سيكون إلى ما بعد قيام السّاعة، بل علمهم بذات الباري وباللّوح المحفوظ بإذن الله تعالى وبقدرته، كيف لا؟ وهم صفاته وعلاماته وأعلامه وبراهينه وآياته وحججه وبيناته، سبحان الله ما أعظمه في خلقهم،وما أكبره في أمرهم، جلّ ثناؤه وكَرُمَت صنايعه وفعاله!.

. فهذه الطائفة لا تتناسب مع ما ذكرته تلك النصوص الجليّة حسبما أشرنا، فلا بدّ من تأويل تلك الأخبار لتتوافق مع الآيات والأخبار المحكَمة، وحينئذٍ يُحمَل المتشابه على المحكم من خلال وجوه:

الوجه الأوّل : تُحمل على الترقيات الروحية كلّ يوم وكلّ جمعة، إذ لولا اتصالهم الروحي كلّ آن، وتأكّده كلّ جمعة، من حيث الإنقطاع التامّ عن الخلق كلّ جمعة مما يستلزم دوام الفيض والإستمداد م ن القدرة الإلهيّة اللامتناهية، لأنّ دوام العلوم عندهم مشروط باتصالهم الدائم بالذات المقدَّسة

.

ويشهد له ما ورد في خبر أبي يحيى الصنعاني عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا أبا يحيى إنّ لنا في ليالي الجمعة لشأناً من الشأن، قال: قلت: جعلت فداك وما ذا ك الشأن؟، قال : يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى عليهم السَّلام وأرواح الأوصياء الموتى وروح الوصيّ الّذي بين ظهرانيكم، يعرج بها إلى السماء حتى توافي عرش ربها، فتطوف به أسبوعاً وتصلّي عند كلّ قائمة من قوائم العرش ركعتين، ثمّ تردّ إلى الأبدان التي كانت فيها فتصبح الأنبياء والأوصياء قد مُلِئوا سروراً ويصبح الوصيّ الّذي بين ظهرانيكم وقد زيد في علمه مثل جمٌّ غفير(٣٣٥) .

فقوله: " إنّ لنا...لشأناً من الشأن" وقوله: " قد مُلِئوا سروراً " إشارة إلى التجليات الروحيّة والتي لا نفقه حقيقتها على التفصيل، وهو بدوره علم مستفاد قطعاً، كيف لا؟ والقرب منه تعالى غاية المعلوم وأشرفها عند الأولياء المقرَّبين، من هنا قال : " وقد مُلئوا سروراً ".هذا مضافاً إلى أنّ ورود أرواح

الأنبياء والأوصياء إلى أبدانهم مسرورةً كان نتيجةَ اللقاء الروحي أو الإستفاضة الربوبيّة وليس شيئاً آخر كتلقي المع ارف الإعتباريّة المتعلِّقة بعا لم التكوين، وذلك لانتهاء مهمتهم التبليغيّة، فلا داعي لأنْ يستزيدوا منها، وعليه فلا بدّ إذن من القول بأنّ تلك الإستزادة هي عبارة عن الترقيات المعنويّة والروحيّة، والتعبير بـ " زيد في علمه " أي علمه بربّه وليس بشيء آخر، إشارة لم ذكرنا.

إنْ قيل: إنّ المراد من " العلم المستفاد " هو العلم بالموضوعات الصرفة فكيف حملتموها على الترقيات الروحية المعنويّة؟

قلنا: لا يصحّ أنْ يكون ما ازداد لديهم يوم الجمعة هو ما ذكره السؤال، لضرورة أنّ العلم بالموضوعات الصَّرْفة هو أثرٌ من آثار ولاي تهم وإمامتهم، مضافاً إلى أنّه لم يثبت لدينا بدليلٍ قاطعٍ وجود موضوعات صَرْفة من دون أنْ يترتّب عليها حكم شرعي .

الوجه الثاني: أنْ يكون المراد من "العلم المستفاد كلّ ليلة جمعة " ما يوحيه إليهم ربّهم من الإمضاءات الجارية على التقديرات أو البداءات التي ستحصل كلّ اسبوع على سبيل الحتم، وإنْ كانوا عالمين بها من الأوّل، إلاّ أنه يتجدد لهم هذا العلم تأكيداً وتفصيلاً .

الوجه الثالث: إنّ التعبير بالقبض والبسط والإزدياد كلها إشارات إلى تعلُّق الممكن بواجب الوجود وحاجته إليه على نحو تعلُّق المعلول بالعلّة وارتباطه بها وجوداً وعدماً، فكما أنّ المعلول بحاجة إلى العلّة ابتداءاً هو بحاجة إليها بقاءاً وارتباطاً، فلولا الإرتباط والفقر الذاتي للعلّة لاندثر المعلول لعدم إمكانيّة بقائه لوحده دون أنْ تصبغ عليه العلّةُ الحياةَ استمراراً دائماً بلا انقطاع .

ولعلّ الّذي يبسط لهم ويُقبَض هو العلم بخطرات النفوس وعزمات القلوب حسبما أشار العلاّمة المازندراني في شرحه، أو إشارة إلى علم الغيب الّذي لا يكون مستفاداً عن سبب يفيده، وذلك إنما يصدق في حقه تعالى إذ كلّ علم هو مستفاد من بسطة وجوده عزّ وجلّ بواسطة أو بلا واسطة لا يحصل عليه كلّ الناس بل يختصّ بنفوس خُصَّت بعناية إلهيّة لقوله تعالى :﴿**عالِم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحداً إلاّ مَن ارتضى من رسول**﴾.

أو أنّ بسطهم عبارة عن حصول الصّور الكائنة في نفوسهم المقدَّسة بالفعل فهم يعلمونها، وقبضهم عبارة عن عدم حصولها لهم بالفعل وإنْ كانت موجودة في خزانة خيالهم الشريف بحيث تنكشف من الخزانة إلى مرآة عقولهم بأمرٍ من الله تعالى والتعبير عنه بـ " سرّ الله أسرَّه إلى جبرائيل " أي أظهره إليه ثم أظهَره إلى رسول الله محمّد ثمّ إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، لعلّه إشارة إلى الحلال والحرام بحسب الظاهر وإلاّ فالنبيّ يعلمه قبل أنْ يظهره جبرائيل عليه، وكذا أمير المؤمنين عليه السلام يعلَمه قبل أنْ يُظْهِرَه النبيّ عليه .

ولما كان عِلْم الغيب من مختصّات الله تعالى قد يفتحه على بعض عباده المخلِصين، وقد لا يفعل لحِكَم ومصالح، تعيّن على الإمام أنْ يقول : يُبسط لنا فنعلم ويُقبَض عنا فلا نعلم،والله أعلم بحقائق حججه وأسراره .

(**ثانياً**): إنّ أهل البيت عليهم السَّلام نزّلوا أنفسهم منزلة بقيّة الأنبياء . وإنْ كانوا أفضل وأعلم منهم . حتى لا يقول أحد فيهم ما لا يجوز حسداً لهم، فاضطروا إلى مجاراتهم بالأسباب الظاهرية في تحصيل العلم،وذلك لأنهم مأمورون بالتعبّد بالأسباب رحمةً بالعباد لئلاّ ينسبوهم إلى السِّحْر أو الكفر

وما شابه ذلك بحيث يؤدّي إلى ما لا تُحمد عقباه، فكيف يسعهم حينئذٍ أنْ يُظهِروا ما عندهم، وقد ورد عنهم القول : : أمرنا صعبٌ ومستصعب"، و"إنّ عندنا سرّاً من سرّ الله وعِلْ ماً من عِلْم الله، أُمِرْنا بتبليغه فبلّغنا عن الله عزّ وجلّ ما أُمِرْنا بتبليغه، فلم نجد له موضِعاً ولا أهلاً ولا حمّالةً يحتملونه حتى خلق الله لذلك أقواماً " .

(ثالثاً): إنّ أخبار العلم الإشائي محمولة على التقيّة . على فَرْض صدورها . دَفْعاً لمحذور الغلوّ فيهم، أو لجهة دفع نقمة الأعداء على أتباعهم، وغير ذلك من جهات التورية عندهم حسبما أفادوا بقولهم : " إنّي لأتكلّم بالكلمة الواحدة لها سبعون وجهاً إنْ شئت أخذت كذا وإنْ شئت أخذتُ كذا[٣٣٦] .

وبما ورد أيضاً : "إني لأحدّث الناس على سبعين وجهاً لي ففي كلّ وج ه منها المخرج"[٣٣٧] .

وما ورد من " أنّ كلامهم كالقرآن حمّال ذو وجوه، وأنّ أمْر النبيّ مثل القرآن فيه ناسخ ومنسوخ وخاصّ وعامّ، ومُحْكَم ومُتشابَه،وقد يكون من رسول الله الكلام له وجهان،وكلام عامّ وكلام خاصّ مثل القرآن "[٣٣٨].

وبهذا العمق في دلالات ألفاظهم كيف يمكن للفقيه المتمرِّس أنْ يجزم بضرس قاطع بأنّ علْمَهم إراديّ أو إشائيّ؟!

أوليست هذه الأخبار أمام ناظريه؟ ! لستَ أدري إنْ كان يصحّ إطلاق مصطلح فقهاءٍ ومجتهدين على أمثال هؤلاء إلاّ على مبدأ إجتهاد أبي حنيفة ،ولو أنّ هؤلاء جاسوا خلال الديار في الأخبار مع التسليم والرِّضا

لأمر آل محمّد لكانوا أفقه الناس على الإطلاق حسبما ورد عن مولانا الإمام الصَّادق عليه السلام قال:

"أنتم أفقه الناس إذا عَرَفتم معاني كلامنا..."(٣٣٩) .

. زبدة المخض:

إنّ الله تعالى أفاض على خلفائه الأطهار ملكةً نوريّة تمكنوا بواسطتها م ن استعلام ما يقع من الحوادث وما في الكائنات من خواصّ الطبائع وأسرار الموجودات وما يحدث في الكون من خيرٍ وشرّ، ولا غلوّ فيه بعد قابليّة ذواتهم لهذا الفيض الأقدس، وعدم الشحّ في عطاء الربّ سبحانه فإنه يهب ما يشاء لمن يشاء، لذا صارح الأئمّة الأطهار بهذه الحبوة الإلهيّة وأنهم في جميع الآنات محتاجون إلى تتابع الآلآء منه جلّ شأنه ولولاها لنفد ما عندهم من موادّ العِلْم، وهذا غير بعيد فيمن تجرّد لطاعة الله تعالى وعُجِنَت طينته بماء النزاهة والنور والطهارة من الأولياء الأطهار عليهم صلوات الله الملك العلاّم .

. فأئمّة آل البيت عليهم السَّلام راعوا حال أتباعهم وأصحابهم، فاستدلّوا لهم بما يقنعهم فيما يعلمونه من المصالح الوقتيّة والأحوال الشخصيّة، من هنا ورد عنهم: "لو كنتُ بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، إنهما أُعطيا عِلْم ما كان ، وأُعطينا عِلْم ما كان ويكون وما هو كائن إلى أنْ تقوم السَّاعة " وقوله عليه السلام: " إني أعلم ما في السماوات والأرضين، وأعلم ما في الجنة والنار، وأعلم ما كان ويكون..." .

وهذا العِلْم الواسع لا يتنافسمع ما ورد عنهم من أنهم غير مكلَّفين بإظهار ما يعلمونه، بل لا بدّ من العمل بما توجبه التقيّة ظاهراً أو لمراعاة بعض أصحابهم وشيعتهم .

ثمّ إنّ ما عندهم من العِلْم الحضوري الفعليّ هو من فِعْل الغيب الّذي اصطفاهم به، وكيف لا يعلمون الغيب بإذن الله وقد أعطاهم كامل الإسم الأعظم، فهم مظاهر علمه تعالى، وهم عليهم السَّلام في مقام الفناء لا عِلْمَ لهم إلاّ وهو عِلْمه تعالى، بل لا شيء حينئذٍ إلاّ عِلْمه؟

فالقول: بأنهم لا يعلمون الغيب في حال كونهم مظهراً لولايته تعالى يعتبر نقصاً في علْمه تعالى، بل العالِم بالغيب هو تعالى فقط إلاّ أنه أظهر علمه فيهم: "فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أنْ لا إله إلاّ أنت، ولا فرق بينك وبينها إلاّ أنهم عبادك ". "دعاء رجب".

ـ وعليه؛ فإنّ ما استدلّ به الخصم من عدم فعليّة علومهم عليهم السَّلام دونه خرط القتاد، فلا يصلح للإستدلال، بل غاية ما فيه أنه من المتشابهات التي يجب الرجوع فيها إلى المحكَمات م ن المدارك الثلاثة : الكتاب ـ السُّنّة ـ العقل .

والأصحّ ما ذهبنا إليه وفريق من محقّقي الإماميّة من أنّ عِلْمهم حضوريّ فعليّ حسبما فصَّلْنا سابقاً، وإنْ كان ثمّة مؤيِّدات لهذا العِلْم .

ـ القرائن والمؤيِّدات للعلم الحضوري:

إنّ ثمّة قرائن ومؤيِّدات تثْبت وتؤكّد عموم وحضور علومهم وفعليتها حسبما أشرنا سابقاً، وهذه القرائن ليست مؤيِّدات فحسب بمقدار ما هي أدلّة

وبراهين عقليّة وفلسفيّة مستقاة من القواعد الكلّيّة والشرعيّة، بحيث تكون مرجِّحةً لأدلّة العِلْم الحضوري لدى آل البيت عليهم السَّلام ،وهي كثيرة جداً، نستطرد جملةً منها:

القرينة الأولى: الحضوريّ ليس مستحيلاً عقلاً .

دلّ الدّليل العقلي على إمكان علمهم الحضوري الدَّفعي، إذ ليس أمراً مستحيلاً حتى يدّعى عدم وقوعه . حسبما أشرنا سابِقاً . كما لا يوجد دليل يدلّ على امتناعه، وعليه فما الضّيْرُ من الذَّ هاب إلى الإعتقاد بالعِلْم الحضوريّ الدَّفعي وقد قامت البراهين القطعيّة المتضافرة، والحجج المتكاثرة على وقوعه وصدوره؟ ! مضافاً إلى أنّ رُكني الوجوب في الإعتقاد به . وهما الإمكان والوقوع . قد وجدا ولُمِسا عن خبرةٍ ويقينٍ، فأيّ مانعٍ أو إشكال بعد أنْ اتفق الركنان على الإعتقاد بالعلم الحضوري والمصير إليه؟!

القرينة الثانية: العِلْم الحضوري مِنَّة إلهيّة.

إنّ من مِنَن الله ولطفه ورحمته أنْ مُنح النبيّ وأهل بيته عليهم السَّلام الصّفات الكماليّة والفضائل العَلِيَّة، وهذه المِنَّة والرَّحمة بهم عامّة، تستلزم أنْ يكون علمهم حضوريّاً، فتقييده بالإشاءة والإرادة خلاف التعميم بالمِنَّة، لا سيّما أنّ هذه المِنَّة هي على قدر ما كانوا عليه من الملكات القدسيّة، وعلى قدر تفضّله وألطافه، وهل يمكن أنْ تُحدّ قدرته ولطفه وكرمه وفضله؟!

القرينة الثالثة: الإطلاق في صفاتهم يقتضي علمهم الحضوري.

قلنا آنفاً إنّ الله عزّ وجلّ منح أهل البيت عليهم السَّلام صفاتٍ كماليّة جمّة بسبب قداسة ذواتهم، ولم يقيّد هذه الخصال بقيدٍ كما لم يحدّها

بحدٍّ ولم يحصرها على دائرةٍ أو يقصرها في زمنٍ معيَّنٍ، ومن هذه الخصال علمهم الحضوري،فدع وى عدم اتصافهم به هي خلاف الإطلاق الأحوالي والزماني.

. مضافاً إلى أنّ استثناء علمهم الحضوري عن تلك الصفات الحميدة وحصرها في دائرة خاصّة يستلزم تضييق وتحديد سائر صفاتهم وخصالهم مع ما عَلِمْتَ من سعتها وعدم تضييق دائرتها، أليس عدم حضور علْمِهم تضييقاً للفيض الإلهيّ عليهم، وتحجيماً للقابليّات لديهم؟!

القرينة الرابعة: العلم الحضوري أبعدعن المعصية وأقرب إلى الطاعة.

في طبيعة البشر ميلٌ إلى حبّ الكمال، كما أنّ من طبيعة الدّاني أنْ يستكمل بالكامل، وهذا الكامل هو الإمام عليه السلام، فلو عَلِم الدّاني بأنّ الإمام الكامِل يعلم سرّه ونجواه، وما يقترف من ذنوب وموبقات وما يأتي من طاعات وأنه قادر على إخباره بالشأن، وردْعه عمّا قد يرتكبه من موبقات، وحثّه على ازدياد الطاعات، لكان ذلك أبعد عن العصيان، وأقرب إلى طاعة الرحمان .

القرينة الخامسة: الناس بحاجة إلى إمام حاضر العِلمِ.

الناس دائماً في حاجة إلى إمام يكشف لهم عمّا يعلَمون ليقرِّبهم إلى الطّاعة، ويبعّدهم عن المعصية، ولما كان النبيّ وعترته الطّاهرة أهلاً ومحلاًّ لأنْ يمنحهم الجليلُ تعالى تلك الكرامة،والناس في حاجة إليها،فلأيّ شيء لا يفيض عليهم ذلك الغمر، مع عدم المفسدة في ذلك الفيض، بل ووجود المصلحة به...؟

القرينة السادسة: عدم علمهم الحضوري يستلزم وجود مَن هو أعلم منهم.

القول بعدم علمهم الحضوري يستلزمم أنْ يكون هناك مَن هو أعلم منهم بالأمر الّذي يقع أو يسألون عنه، وهذا يستوجب تقديم المأموم على الإمام في المسألة التي لا حضور للإمام بها،وهو قبيحٌ لاستلزامه تقديم المفضول . وهو المأموم . على الفاضل . وهو الإمام . .

مضافاً إلى وجود مَن هو أعلم من الإمام يستلزم توهينه وإسقاطه أمام الناس مما يقتضي التّنفير وهو خلاف نصبه للهداية والبلا غ .

تقرير ذلك : إنّ جزيئات الموضوعا ت الخارجيّة لا بدّ وأنْ يكون ثمّة مَن يعرفها كبنوّة زيدٍ لعمرٍ، أو زنا خالد بهند، فلو سُئِلَ الإمام عنها، وكان غيرَ عالِمٍ بها واتفق وجود العالِم بها، فقد وُجِدَ حينئذٍ الأعلم . وهو المأموم . إماماً، وغير العالِم . وهو الإمام . مأموماً، وذلك خلاف الأدلّة الدّالّة على أعلميّة الإمام على الرعيّة .

القرينة السابعة: عدم الحضوري يستلزم السَّهو والنسيان .

لو فرضنا أنهم جاهلون بالموضوعات الصَّرْفة،لجاز عليهم السَّهو والنسيان فيها، بل لوقع منهم قطعاً، ولجاز عليهم أيضاً حرمان المستحقّ، وإعطاء مَن لا يستحقّ،بل لَكَثر منهم الخطأ في الشؤون الخارجيّة، وتفويت الواقع أحياناً لأنّ هذه شؤون لازمة للجهل لا محالة،ولا ينفكّ عنها البشر ،وأيّ منقصة أكبر من ذلك للإمام، وهو المنزَّه عن النقائص؟

. مضافاً إلى أنّ الإمام لو اتصف بهذا المستوى من الجهل، لكان نُقل إلينا على طول الزّمن وكثرة الأئمّة، مع أنّ شيئاً من هذا لم يحدث، كما أنّ

الإعتقاد بجهل الإمام وبجواز السَّهو والنسيان عليه يستلزم مفاسد كثيرة، منها اختلال النظام ونسبة النقص إلى ذات الإمام (عليه السلام) .

القرينة الثامنة: عدم الحضور يستلزم حاجة الإمام إلى الناس .

لو قلنا بأنّ الإمام لا يعلَم بالموضوعات الصَّرْفة أيْ أنّه جاهلٌ بالعلم الحضوري، لاستلزم هذا احتياجه إلى الناس العالِمين بتلك الموضوعات الصَّرْفة، وكيف يكونون حججاً لله تعالى على خلقه وفي ذات الوقت يحتاجون إلى هذا الخلق؟ وهل يحتاج الحجّة المعصوم إلى الجاهل المغرور؟!!

القرين التاسعة: عدم الحضور يستلزم وقوعهم في المنكر.

إنّ جهلهم يستلزم مخالفتهم للواقع بسبب إرتكابهم للمنكَر، وتركهم للمعروف، فيجب عندئذٍ أنْ يؤمروا بالمعروف ويُنهَوا عن المنكَر، وأيّ إمامٍ من يجب أنْ يؤمَر بالمعروف، وينهى عن المنكَر؟!

هذه أهمّ القرائن للعلم الحضوري، فالإعتقاد بنقيضه يستلزم جهل الأئمّة بالموضوعات الصَّرْفة وهو من اللوازم التي يتنزهون عنها عليهم السَّلام.

شبهات حول العلم الحضوري:

تعرّض بعض الأعلام لجملةٍ من الشبهات، دعتهم إلى القول بعدم التعميم لعلم الأئمّة عليهم السَّلام و عدم حضوريته، أحببنا تسطيرها والرّدّ عليها وتفنيدها لئلاّ تبقى مسطورة في بواطن كتب أصحابها، فينحرف كلّ من اطَّلَع عليها ممّن لا يملك حظّاً أو سهماً من المعرفة العقيدية الصحيحة، وهي الآتي:

الشبهة الأولى:الإسهاء الرباني للنّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ذكر الشيخ الصَّدُوق في كتابه " الفقيه [٣٤٠]" سهو النبيّ معلِّلاً ذلك بالإسهاء الرّبّاني، لمصلحة الترحُّم على الأمّة، قال : " وإنما فعل ذلك به رحمةً لهذه الأمّة لئلاّ يعيّر الرّجل المسلم إذا هو نام عن صلاته أو سها فيها ... وليس سهو النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم كسهونا، لأنّ سهوه من الله عزّ وجلّ، وإنما أسهاه ليعلم أنه بشرٌ مخلوق فلا يتّخذ ربّاً معبوداً دونه،وليعلم الناس بسهوه حكم السّهو متى سهوا، وسهونا من الشيطان، وليس للشيطان على النبيّ والأئمّة سلطان .." وعليه فإذا جاز عليه السَّهُو جاز عليه الجهل بطريق إنّي، لكون السَّهُو من أبرز مصاديق الجهل، والجهل لا يجتمع مع العلم الحضوري،فيثبت المطلوب.

يرد عليه:

(**أوّلاً**): إنّ الخبر الّذي استدلّ به ظاهراً الشيخ الصَّدُوق يناهض حكم العقل القاضي بوجوب عصمة رسول الله محمّد عن السَّهُو والنسيان والجهل حسبما ذكرنا سابقاً، وفي موارد أخرى فراجع[٣٤١] .

(**ثانياً**): الإجماع القطعيّ الدّالّ على وجوب عصمته صلّى الله عليه وآله وسلَّم، فخروج الشّيخ الصَّدُوق بدعواه المتقدِّمة عن المجمعين لا يقدح بصحّة انعقاده، لأنّ وجود إجماع كهذا من قِبَل الطائفة مع كون الخبر الّذي استدلّ به الصَّدُوق بمرأى من أعينهم، دليلٌ على بطلان مفاد ذاك الخبر[٣٤٢] .

(**ثالثاً**): معارَضة ذاك الخبر للأخبار الصحيحة سنداً والمعتبرة دلالةً وموافقتها لأخبار العامّة، لأنّ الأخبار التي تمسّك بها الصَّدُوق آحاد مرويّة أيضاً بطرق

العامّة لا تناهض المرويّات المتو اترة النافية للسَّهو والنسيان، لأنّ الخبر الواحد لا يقاوم المتواتر والمقطوع بصحّته .

. فإذا كان الخبر من الآحاد وموافِقاً لأحكام العامّة وفقهائهم، فكيف يجوز حينئذٍ الأخذ به، وترك ما عملت به الطائفة المحقّة، مع تأكيد النصوص الصّادرة عنهم بطرح الأخبار الم وافِقة للعامّة عند التعارض، لأنّ الرُّشد في خلافهم .

(**رابعاً**): لو كانت المصلحة في سَهْوِهِ هي أنْ لا يعيِّر المؤمن أخاه المؤمن فلِمَ لا تسوّغ هذه المصلحة أنْ يوجد في النبيّ سائر المناقص من العَوَر والحَوَل والعَرَج بمجرَّد استنادها إلى الرحمان لمصلحة التر حُّم على الأمّة، لئلاّ يعيَّر المسلم من ذوي الآفات والعاهات والنقائص المنفِّرة .

(**خامساً**): إنّ السَّهُو ليس من مقتضيات القبح كالكذب حتى تسوّغه الموانع والمصالح المتداركة لقبحه ونقصه من ضرورة أو ضرر أو تقيّة، بل هو من المناقص الذّاتيّة، والعلل التامّة للقبح والمنقصة في رتبة النبوّة والإمامة، تماماً كالظلم، فلا يمنع قبحه مانع، ولا يتدارك نقصه مصلحه .

وبتعبير آخر: إنّ السَّهُو في النبيّ أو الإمام عليهما السَّلام يُعتبر منقصة ذاتيّة، ولا يتدارك هذه المنقصة دفع العار عن الناس، لأنّ الأعمال تابعة لمصالحها ومفاسدها الشخصيّة .

(**سادساً**) : إنّ رفع توهُّم الربوبية لا ينحصر في السَّهُو والنّوم عن صلاة الصُّبْح، بل له طرق أخرى ولا يلزم منها أيّ محذور .

وإذا جاز لله تعالى أنْ يسهي نبيّه عن العبادة دفعاً لتوهُّم الربوبيّة فلِمَ لا يسهيه عن تلقّي الوحي دفعاً للمحذور المتقدِّم، مع أنّ الصَّدُوق لا يلتزم بنسبة السَّهُو إلى النبيّ في مرحلة التلقّي؟ !، مضافاً إلى أنّ السَّهُو في العبادة يُعتبر سهواً في التبليغ، وقد قامت الأدلّة القطعيّة على عدم جوازه لاستلزامه عدم الوثوق في تبليغ أحكام الله تعالى، مما يقتضي التنفير عنه وهو خلاف فائدة البعثة .

وعليه فإذا جاز عليه السهو جاز عليه الجهل بطريقٍ إنّيّ ،لكون السّهو من أبرز مصاديق الجهل،والجهل لا يجتمع مع العلم الحضوري فيثبت المطلوب.

(**سابعاً**): إنّ بيان حكم السَّهُو غير محتاج إلى إيقاع النبيّ في السَّهُو، إذ من الممكن أنْ يعلّم النَّبيّ الآخرين أحكام السَّهُو دون أنْ يُبتلى بالسَّهُو . وكيف يسهو صلّى الله عليه وآله وسلّم وتنام عينه ولا ينام قلبه حسبما جاء في المتضافر بين الفريقين؟!

الشبهة الثانية: جواز سهو النوم دون غيره .

صاحب هذه الشبهة . بحسب الظاهر . هو الشيخ المفيد حيث وجَّهَ في ضمن ردّه للصَّدُوق، تفصيل نفسه بين السَّهُو عن العبادة الناشيء عن غلبة النوم حتى يخرج وقتها فيقضيها بعده، فيجوز عليه، وبين السَّهو الناشيء عن غير النوم فلا يجوز، معلّلاً ذلك بأنه نقصٌ عن الكمال في الإنسان، وعيب يمكن التحرّز عنه، بخلاف النوم فإنه ليس بنقصٍ ولا عيبٍ ولا ينفك عنه بشر [٣٤٣].

يرد عليه:

(أوّلاً): وحسبما أشرنا سابقاً في مقام ردّنا على الشهيد الثاني والمفيد رحمهما الله من أنّ هذا التفصيل هو في الواقع تنقيحٌ غير سويٍّ لتفصيل الشّيخ الصَّدُوق، وهذان التفصيلان من وادٍ واحدٍ، إذ كما لا فرق بين السَّهُو في تبليغ الأحكام والسَّهُو في العبادة من حيث نسبة النقص والعيب المنافيين لرتبة النبوّة والإمامة، كذلك لا فرق في السَّهُو في العبادة بين الناشيء عن النوم المفوّت لأدائها في وقتها، وبين الناشيء عن غيره .

ودعوى أنّ ثمة فرقاً عقليّاً بين النوم والسَّهُو مردودة، لخرقها للإجماع بين العقلاء إذ لا يفرّقون بين النّوم والسَّهُو ما داما يصبّان في خانةٍ واحدة .

مضافاً إلى أنّ تفويت الصَّلاة . بنظر العرف . أشدّ نقصاً وعيباً من تفويت الصَّلاة بسبب السَّهو، مع أنّ النوم عند الصَّلاة مشتركٌ في السَّهُو، نظراً إلى حدثية النّوم دون السَّهُو بالإجماع .

ويشهد عليه أيضاً نصوص تشير بأنّ الإمام عليه السلام تنام عينه ولا ينام قلبه، ولا يحتلم ولا يتثآءب ولا يتمطّى، فإذا لم يجزِ عليه نوم القلب . أيّ السَّهُو . ولا شيء من التمطّي والتثآؤب وغير ذلك فكيف يجري عليه ما ادّعاه المفيد والصَّدُوق؟!!.

(ثانياً): إنّ الفرق بين السَّهْوَين واحدٌ وذلك لأنّ الملاك إنْ كان هو النَّقْصُ والعيبُ فهو جارٍ في الموردين، لأنّ النوم عن الصَّلاة المفروضة، والسَّهُو في الصَّلاة الواجبة، نقصٌ في الإنسان التقيّ، فكيف بنبيّ الرّحمة وإمام

الأمّة محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم؟ !، وأما إنْ كان الملاك في السَّهْوَين هو النص فأيضاً مردودٌ، لمنافاته لحكم العقل وللأخبار الصّريحة المتواترة، على أنّ ما ادّعياه يتعارض مع قوله تعالى : ﴿**إنما يريد الله ليُذهِبَ عنكم الرّجس أه ل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ إذ لا فرق في الرّجس بين ما يكون في سهو النَّوْم وسَهو الصَّلاة، مضافاً لمنافاته لما أوردناه سابقاً من أنّ عينه تنام ولا ينام قلبه .

الشبهة الثالثة: إنّ جبرائيل عليه السلام أعلم من الأنبياء والأولياء .

إدّعى الحرّ العاملي رحمه الله في آخر رسالته في الرَّجعة، ضمن جوابه السّادس عن الشبهة الرابعة لمنكري الرَّجعة في معرض كلامه عن أنّ الإمام لا يدانيه عالِم، فقال: " قوله عليه السلام: (الإمام واحدُ دهره) محمول إما على ما عدا مدّة الرجعة، فإنه يوجد فيها مَن يماثله وليس من رعيته، أو على إرادة تفضيله على جميع رعيته بقرينة قوله عليه السلام: (لا يدانيه عالِم) فإنّ جبرائيل أعلم منه ومن الأنبياء، ولا أقلّ من المساواة، فإنّ علمهم وصل إليهم بواسطته، فكيف يصدق أنه لا يدانيه عالِم.."[٣٤٥].

يرد عليه:

أوّلاً: إنّ أعلميّة جبرائيل . بحسب دعواه . تستلزم تفضيل المفضول على الفاضل، ومنافٍ لسجود الملائكة كلّهم أجمعين لمولانا آدم عليه السلام، وتعلمهم الأسماء منه، واعترافهم بأنه ﴿**لا عِلْم لنا إلاّ ما علَّمتنا**﴾، ولنصوص أنّ

الأئمّة عليهم السَّلام أوّل ما خلق الله، ومن نورهم اشتقّ خلق السماوات والأرضين، وأنهم علّموا الملائكة التسبيح والتقديس والتمجيد... .

ثانياً: لا ملازمة بين وساطة جبرائيل وبين أعلميّته عليهم عرفاً وشرعاً وعقلاً، أما العرف فقد يكون الواسطة بينك وبين الإمام أو عالِمٍ صبيّ أو خادِم، وأما الشَّرْع؛ فليس في الأخبار ما يدلّ على أعلميّة جبرائيل من الأنبياء بل غاية ما في الأمر هو واسطة في نقل الحلال والحرام، ولا ملازمة بين وساطته في علمهم وبين جهلهم، إذ الوساطة لا من جهة الجهل والنسيان بل إنما هو من باب دلالة كثرة الأعوان على عظمة السلطان لا على العجز والنقصان .

ودعوى عدم صحّة الجهل عند الملائكة لاستلزامها نسبة الجهل إلى مقام رسالتهم، مردودة أيضاً؛ وذلك لأنّ غاية مرتبة الملائكة إنما هو الرسالة في تنزيل الأحكام ولا يمتنع اجتماعها مع الجهل في الجملة، بخلاف الإمامة فإنّ أوّل رتبتها الرياسة العامّة الممتنع اجتماعها مع منقصة الجهل عقلاً ونقلاً .

مضافاً إلى أنه لو لم يمكن اجتماع جهل الملائكة بالجملة مع مقام رسالتهم، لما أخفى عنهم المولى عزّ وجلّ الإحاطة بالأسماء حتى استدعى آدم عليه السلام أنْ ينبئهم بها .

وأما عقلاً، فلا ملازمة عقليّة بين وساطة الملائكة وبين أعلميتهم على الأولياء والأنبياء .

ثالثاً: دعوى أنّ الملائكة أعلم من الأنبياء لوساطتهم مخدوشة بما ذكره القرآن الشريف بحقّ وليّ الله الخضر عليه السلام بقوله تعالى: ﴿**وعلَّمناه من لدنّا**

علماً﴾ حيث لا وساطة ملائكيّة بينه وبين الله تعالى بحسب الظاهر، وإنْ كنا نميل على أنّ الوساطة بينه وبين الله هي العقل الكلّي .

وعليه؛ فلو سلَّمنا به ذا الإدعاء . بأنّ الوساطة توجب الأعلميّة . لصار الخضر عليه السلام أعلم من رسول الله محمّد وعترته الطاهرة حيث ثمة واسطة ظاهريّة وبحسب الدّعوى المذكورة بينهم وبين الله، مع أنّ الآيات والأخبار دلّت على أفضليتهم على سائر الخلق حتى الخضر عليه السلام .

إشكال وردّ:

مفاده: إنّ نزول جبرائيل بالوحي والآيات، وإخباره بالحوادث والكائنات، دليل قطعيّ على عدم فعليّة عِلْم النبيّ وعترته الطاهرة، إذ لو كان فعليّاً لما احتاج إلى مجيئ جبرائيل ولكان نزوله ووحيه لغواً، لا سيّما وأنّ القرآن الكريم صريح في نزولهم على الحجج من كلّ أمر بقوله تعالى: ﴿**تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر**﴾؛ فإنّ ذلك يؤكّد عدم فعليّة علوم الحجج عليهم السَّلام .

يرد على ذلك:

أوّلاً: لا ملازمة بين نزولهم وبين عدم فعليّة علم الأنبياء، إذ النزول أعمّ من أنْ لا يكون علم الأنبياء حضوريّاً، إذ يكو ن نزولهم بالعلوم لتأكيد الحجّة والبيان وليس لتأسيس المعرفة وتعليمهم بالبرهان، إذ لو كان توارد الأسباب وتراكمها وتعدّد الآيات وتأكّدها، وتعاضد الشهود والبيّنات لغواً للغي تعدّد الأنبياء، لا سيّما في عصرٍ واحدٍ كعصر بني إسرائيل، وتراكمهم أيضاً مع العقل وإنزال الكتب ونصب الأولياء والأوصياء، وللغي أيضاً إشهاده تعالى

على خلقه بنصب الحفظة والكرام الكاتبين مع أنه الحفيظ الرقيب من ورائهم، وللغي أيضاً إمتحاناته المتراكمة لاستعلام المؤمن عن غيره مع عِلْمِهِ المحيط على الإطلاق بكنه الأشياء .

ولو أخذنا بما يدّعيه الخصم للغى كلّ هذه البيّنات، وبطلت كلّ الآيات والحجج والبراهين التي جاء بها الأنبياء والأولياء .

ثانياً: إنّ وساطة الملائكة لا تخلو من أحد أمرين:

إمّا من باب اللطف الواجب على الحكيم بتقريب العباد إلى الطّاعة، وابعادهم عن المعصية بتأكد البيّنات، أو طمأنينتهم بتضاعف الآيات، والتسجيل عليهم بتراكم الأمارات، أو إعلامهم بتعاضد الدّلالات، وإمّا من باب دلالة كثرة الأعوان على عظمة السلطان لا على العجز والنقصان.

ثالثاً: بأنّ هذه الدّعوى مصادمة للأدلّة الأربعة القطعيّة وأصول المذهب وضرورة الدين، ولا يمكن رفع اليد عن تلك الأدلّة بمجرَّد الإحتمال والإستبعاد، ولو جهلنا الحكمة في إنزال جبرائيل بالوحي، لوجب تأويله بصريح العقل والنقل .

الشبهة الرابعة : تعريض النبيّ بعض أصحابه للقتل يقتضي جهله بشهادتهم.

إدّعى اصحاب هذه الشبهة بأنّ تعريض مثل جعفر وحمزة وع مّار للقتال في الغزوات التي قُتلوا فيها يقتضي جهله بشهادتهم في تلك الغزوات، لئلاّ يكون تعريضه إياهم للقتال فيها من إلقائه إيّاهم في التهلكة لو كان يعلم شهادتهم علماً فعليّاً .

يرد عليها:

أوّلاً: إنّ الإلقاء في التهلكة هو الفرار عن الجهاد وتسليط ا لكافرين على المؤمنين وليس من التهلكة الفداء والشهادة في مقام الدفاع عن بيضة الإسلام

وعن النفس مع العلم بتسرّب القتل إلى هؤلاء المدافعين والمجاهدين، وقد أمر الله سبحانه الأنبياء والمرسَلين والمؤمنين بالجهاد، فمشوا إليه قُدُماً، موطّنين أنفسهم على القتل فرحين به، مستبشرين بما عنده عزّ وجلّ من الثواب الجزيل .

مضافاً إلى أنّ مقتضى سياق آية التهلكة وما يحتفّ بها من قرائن في صدرها وذيلها يُخرج الآية عمّا نحن فيه من ورودها للتحذير عمّا فيه الهلكة، حيث عقّبت الآيةُ الإعتداء في الأشهر الحرم على المسلمين، بالقول : ﴿**الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أنّ الله مع المتقين وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التّهلكة وأحسنوا إنّ الله يحبّ المحسنين**﴾ (البقرة/١٩٥)، فيكون النهي عن الإلقاء في التهلكة خاصّاً بما إذا اعتدى المشركون على المسلمين في الأشهر الحرم ولم يدفعهم المسلمون بالجهاد الّذي هو إنفاق في سبيل الله، فمن ترك الإنفاق غلب عليه العدوّ فوقع في التهلكة .

ثانياً: إنّ العلم بالمنايا والآجال من العلم الخاصّ الذي استأثر به الله تعالى كما في بعض الأخبار، ومعناه عدم لزوم العمل بهذا العِلْم، أو عدم الإذن في بروز علمها، لا عدم العلم بها رأساً، إذ رُبَّ عِلْم يعلمه العالِم لكنه يرى في إبرازه مفاسدَ عظيمة، فيكتمه عن غير أهله لمصالح في كتمانها.

ثالثاً: التعريض للقتل يكون تهلكة فيما لو لم يترتّب عليه فائدة حسبما أشرنا، أو في حال عدم العلم بكونه من القضاء المحتوم الّذي لا يبَدَّل، فلا

يكون التعريض له حينئذٍ من باب الإلقاءِ في التهلكة، بل هو من باب التسليم والرِّضا بالقضاء .

وعليه؛ فلا يمكن دفع القتل بعد العلم بكونه من الأمر المحتو م وليس من الأمر أو القضاء المعلَّق على الجهاد والتعريض له، بمعنى أنه إذا ذهب إلى ساحة القتال قُتل وإنْ لم يذهب لا يقتل، كلاّ ليس الأمر كذلك .

رابعاً: ولو سلَّمْنا أنّ الموت من القضاء المعلَّق على الجهاد وأنّ التعريض له من الإلقاءِ في التهلكة إلاّ أنه م ع ذلك لا يلزم أنْ يكون الإقتحام فيه أو التعريض له من باب الجهل بالعاقبة، بل لعلّه من باب توقف المدافعة عن الدين والمحافظة على شريعة سيّد المرسَلين أو نحو ذلك من المصالح الكليّة النوعيّة المسوّغة عقلاً ونقلاً لكلّ ما توقفت عليه من المقدّمات ولو بإلقاء النفو س المحترمة المعصومة في التهلكة، ولأجل بعض المصالح الكليّة لا يجوز التخلّف عن الجهاد ولا الفرار لمن علم أنه سيقتل فيه إذا توفرت شروطه .

وعلى أحد هذه المصالح على سبيل منع الخلوّ يُحمل خروج مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام من بيته إلى المسجد ليلة ا لجرح، ووقوف وتصدّي مولاتنا الصدّيقة الطاهرة الزّهراء البتول عليها السَّلام لعمر بن الخطّاب وأبن أبي قحافة ، واقتحام سيّدنا ومولانا الإمام الحسن بن عليّ بن أبي طالب المجتبى عليه السلام في شرب السُّمّ، وخروج سيّدنا ومولانا الإمام الحسين بن عليّ الشهيد المظلوم عليه السلام إلى كربلاء مع الأهل والعيال .

إعتراض ودفع : إعترض بعض العامة على قيام الإمام الحسين عليه السلام معلِّلاً بعدم إجتماع شرائط الجهاد في مقاتلة الأعداء، لا سيما مع علمه

بالعاقبة، واشتراط الجهاد بعدم ازدياد العدوّ على الضعف .

وهذا الكلام مدفوعٌ بما يأتي:

أوّلاً: إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد علِم من أخبار الله له بالإلهام أو بالعلم الخاصّ المتعلّق بالإمامة . وليس الخضر وذو القرنين بأفضل منه حتى يعلَما عِلْمَ ما ليس للأسباب العاديّة فيه نصيب . أو عِلمَ بواسطة إخبار جدّه بأنّ كيفيّة شهادته من محتوم القضاء والقدر الّذي لا يدفعه الحذر .

ثانياً: بأنّ عدم ازدياد العدوّ على الضّعف شرطٌ لوجوب الجهاد لا شرعيّته، لأنّ سقوطه مع ازدياد العدوّ على الضّعف من باب التخفيف والرخصة لا العزيمة لقوله تعالى: ﴿**الآن خفّف الله عنكم وعَلِم أنّ فيكم ضعفاً فإنْ يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألفٌ يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين**﴾(الأنفال/٦٦،٧٦).

بل مع ازديادهم على الضعف، يتضاعف أجر المجاهد وفضله بأضعاف كثيرة .

ثالثاً: بأنّ قتاله عليه السلام لأولئك الكفار والمارقين ليس من باب الجهاد المفقود شروطه فيه، بل من المحافَظة على الدّين والمدَافَعة عن شريعة سيّد المرسَلين من إبداع المبدعين، وتغيير المبطلين، وتحريف الجاهلين، وتلبيس الحقّ بالباطل في دولة الجائرين، فإنه كحفظ بيضة الإسلام اللازم على جميع الأنام ولو بتفضيح المخالفين المتوقف على تعريض النفوس المحترَمة المعصومة فداءاً عن الدّين، ليظهر به على الناس فسق الفاسقين وجور الجائرين .

رابعاً: إنّ الإمام الحسين عليه السلام علم بالقطع بأنه لو ترك قتالهم، لقتله الملعون إبن زياد صبراً كما فعل بابن عمّه مسلم، فكان القتل مع عزّ النفس والجهاد أهون عليه من العيش أياماً ذليلاً .

إنْ قيل: ما السّبب في قعود أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عن محاربة الثلاثة، وعدم قعوده عن محاربة مَن بعدهم من الفِرَق؟.

وما السبب في صلح الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام مع معاوية ومحاربة الإمام ليزيد؟ وما السبب في غيبة وليّ الله الحجّة المنتظر عليه السلام إلى الآن؟

قلنا: بأنّ ذلك مدفوع نقضاً وحلاً .

أما نقضاً : فمن ناحية المعارَضة بالسّؤال عن السّبب في إيلام الأطفال وخلق الهوام والسموم والحشايش والأحجار ونحو ذلك مما لا يحيط أحدٌ بمعناه، ولا يعلم السبب الّذي اقتضاه، وبالسؤال أيضاً عن سبب مقاتلة النبيّ للمشركين على كثرتهم يوم بدر وهو في ثلاثمائة وثلاثة عشرَ من أصحابه الّذين أكثرهم رجّالة، ومنهم مَن لا سلاح له، ورجوعه عام الحديبيّة عن إتمام العُمرة وهو في العدّة القويّة ومعه من المسلمين ثلاثة آلاف وستمائة رجل وأعطى سهيل بن عمرو . أحد أقطاب المشركين . جميع ما تمناه، ودخل تحت حكمه ورضاه من إمحاء ﴿**بسم الله الرّحمان الرحيم**﴾ من كتاب الصّلح، ومحو اسمه من النّبوة، وإجابته إلى أنْ يدفع إلى المشركين ثلث ثمار المدينة، وأنْ يردّ عليهم من أتاه ليسلمَ على يده منهم،مع ما في هذا من المشقة العظيمة،ونحو ذلك مما لا يحاط بمعرفة معناه ولا يعلم السبب الّذي اقتضاه .

فكما يكفينا العلم الإجمالي والرّجوع إلى الأصل الأصيل وهو وجوب الإعتقاد إجمالاً بأنّ أفعال الله تعالى معلَّلة بأغراضٍ خفيّة، ومطابقة للمصالح والحكم المكنونة، كما أجاب تعالى عن سؤال الملائكة ﴿ **أتجعل فيها مَن يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك** ﴾ بقوله تعالى: ﴿**إنّي أعلم ما لا تعلمون** ﴾ (**البقرة/٣٠**) . وإنْ كنا لا نعلم بكلّ ذلك تفصيلاً كما لم تعلم الملائكة بما سُئِلوا عنه، وبأنّ النبيّ أعرف بالمصلحة من الأمّة، وأنّه لا يفعل ذلك إلاّ لضرورة مُلجِئة، أو مصلحة مُلزِمة هو أعرف بها منا، كما قال تعالى : ﴿**وعليه ما حُمّل وعليكم ما حمّلتم وإنْ تطيعوه تهتدوا**﴾(النور/٥٤) ﴿**وما ينطق عن الهوى إنْ هو إلاّ وحيٌ يوحى** ﴾ (النجم/٤).

كذلك يكفينا العِلْم الإجمالي بعرفان الإمام بمصالحه ومفاسده وتكاليفه المختفية علينا، وجهاتها وتفاصيلها بعد ثبوت أعلميته منا بتلك المصالح باتفاق نصوص الفريقين وصريح حديث الثقلين .

وإمّا حلاً: بما ورد عنهم عليهم السَّلام من بيان كلٍّ من أفعالهم وقيامهم وقعودهم تفصيلاً بأبلغ وجه .

وبالجملة: لما كانت تلك المدافعة عن الدين مختلفة باختلاف أغراض المبطلين من حيث كثرة المفسدة وقلّتها، وأزمنة الجائرين من حيث القوّة والضعف، وأحوال المعصومين من حيث المقاومة عادةً وعدمها، إختلفت تكاليفهم في السّلوك مع الجائرين، فتارةً بالمجاهدة والمدافعة، وأخرى بالمهادنة

والمصالحة، وثالثة بالتقيّة، ورابعة بالغيبة، وخامسة بالرجعة، عجّل الله تعالى فرجهم بها .

الشبهة الخامسة: ظواهر بعض الآيات المتشابهة.

إنّ ظواهر بعض الآيات كقوله تعالى : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم** ﴾ (الإسراء/٣٦) تشير إلى جهل النبيّ ببعض الأمور، مما يستلزم عدم فعليّة علمه .

وجوابها:

(**١**) . إنّ هذه الآية ونظائرها من الآيات المتشابهات التي لا بدّ في معرفتها من الرّجوع إلى المحكمات من الآيات والأدلّة الأخرى، وإلاّ فإنّ الإقتصار على المتشابه غير جائز شرعاً لاستلزامه المحاذير الشرعيّة والعقليّة والتي منها جهل النبيّ ببعض وظائفه التي هي من صُلب مهامه الدّينيّة .

(**٢**) . إنّ الآية وأمثالها مصروفة إلى سلب الموضوع بمعنى أنّ الله تعالى أمَرَهُ أنْ لا يتكلّم بما لا موضوع له في الخارج،تعليماً للأمّة وإرشاداً لها إلى مصالحها، أو أنها تُصرف إلى الأمّة من باب إيّاك أعني واسمعي يا جارة، فتُصرف عن ظاهرها إلى غيرها،تماماً كصرف ظاهر قوله تعالى :﴿**لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكونَنّ من الخاسرين**﴾(الزّمر/٦٥)﴿**وإمّا ينسينّك الشّيطان فلا تقعد بعد الذّكرى مع القوم الظالمين** ﴾ (الأنعام/٦٨)، فالخطاب وإنْ كان للنبيّ بحسب الظاهر لكنّه مصروف عنه إلى غيره وذلك لعدم صحّة إلصاق تمنّي الشِّرْك من النبيّ، وعدم جواز تسلّط الشّيطان إلى نفس رسول الله

والأولياء عليهم السَّلام بحسب قوله تعالى: ﴿**قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلَصين**﴾ (ص/٨٣) .

الشبهة السّادسة: سؤال النبيّ يلازم عدم فعليّة علمه .

مفاد الشّبهة بأنّ ثمّة أخباراً تفيد بأنّ النبيّ كان يسأل جبرائيل عن أشياء مما يلازم عدم فعليّة علمه، وكذا بقيّة الأئمّة عليهم السَّلام، من هذه الأخبار ما روي من سؤال النبيّ لجبرائيل ليلة المعراج: ما هذا؟، وفطرس من هذا؟[٣٤٦] .

يرد عليها: ما ورد من سؤال النبيّ واستفهامه من جبرائيل لا يلازم الجهل، إذ يُحمل على التجاهل لتربية الأمّة وتعليمها وإلفا ت النظر إلى ما يقرِّب إلى الطاعة ويبعِّد عن المعصية، وإلاّ لو كان ملازماً للجهل لأدّى ذلك إلى إلصاقه بالذّات الإلهيّة نظير ما ورد بسؤال الله تعالى من النبيّ موسى عليه السلام بقوله تعالى:

﴿ **ما تلك بيمينك يا موسى**﴾ (طه/١٧) .

وكذا ما ورد في النبيّ عيسى عليه السلام بقوله تعالى : ﴿**ءأنت قلتَ للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله**﴾ (المائدة/١١٦) .

وأيضاً ما ورد في حقّ النبيّ إبراهيم لما سأل ربّه : ﴿**ربّ أرني كيف تحي الموتى**﴾ قال له عزّ وجلّ: ﴿**أولم تؤمن**﴾ (البقرة/٢٦٠) .

وخطاب الله إلى الملائكة ﴿**أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون**﴾ (سبأ/٤٠) .

وخطابه إلى إبليس: ﴿**ما منعك أنْ تسجد**﴾ (ص/٧٥) .

إلى غير ذلك مما هو مصروف عن ظاهر الإستفهام إلى الإعلام والإفهام والملاطفة والإكرام، والتوبيخ والإيلام أو التقرير والإلزام أو التهديد بالإنتقام أو نحوها مما تقتضيها قرائن المقام .

الشبهة السّابعة: بكاء النبيّ على الإمام الحسين عليه السلام فيه دلالة على عدم فعليّة علمه.

دلّت هذه الشبهة على أنّ بكاء النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم على حفيده الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام لما أخبره جبرائيل، يقتضي عدم فعليّة علمه صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وإلاّ لو كان فعليّاً لما بكى ع ندما أخبره جبرائيل عليه السلام .

جوابها:

وحسبما قلنا سابقاً إنّ الوحي بما سيجري عليه وكذا البكاء لعلّه لأجل مذاكرة المعلوم لا إيجاد العلم، كما في بكائنا عند مذاكرة المعلوم من مصائبنا المكرّرة في كلّ عام وفي كلّ شهر، بل في كلّ يوم وساعة .

الشبهة الثامنة: لو كانوا يعلمون الموضوعات للزم سدّ باب معاشهم.

إدّعى أصحاب هذه الشبهة بأنّ علم النبيّ والعترة غير فعليّ وذلك لأننا نعلم بالوجدان ما يقوم به السُّوق من الكذب والغشّ والسّرقة، وتقلب النقود المغصوبة فيه بأيدي الناس، مضافاً إلى وجود النجاسة الواقعيّة في المآكل والمشروبات والفرش والثياب، وعدم التزكية للذبائح وغير ذلك مما فيه شائبة الحرام قطعاً، ولو كانوا حاضري العلم لسُدّ باب المعاش والمعاشرة لمخالفة

الظاهر للواقع، ولوجب عليهم ردع المرتكب للمحرّمات في السّرّ والعلن، أو إقصاؤهم عنهم، ولا نجدهم كانوا على هذا مع الناس في المعاش والمعاشرة .

والجواب:

أوّلاً: إنّ عملهم بالأمارت الظاهريّة مع الناس في الظاهر، لا يستلزم عدم علمهم بالواقع، ولا عدم حجيّة علمهم به حسبما توهّمه أصحاب هذه الشبهة .

ثانياً: أنهم عليهم السَّلام كانوا يجمعون بين العمل بالظ اهر في الظاهر وبين العمل بالعلم والواقع في الباطن، جمعاً بين الحسنيَين ": حسن العشرة مع الناس في الظاهر، وحسن الواقع في الواقع .

ويشهد لهذا الجمع، حصول الإجماع على عدم إتفاق خطأ ولا سهو منهم، ولا انكشاف خلاف لهم من العمل بالظواهر في جميع أيام معاشرتهم مع الناس، مع أنّ العمل في الظاهر من دون مراعاة الواقع يستلزم صدور السَّهو والخطأ، وانكشاف الخلاف في مُدّة يسيرة فضلاً عن تلك المدّة الطويلة التي تتراوح بحدود ثلاثمائة عام من أيام حياتهم، وذلك لضرورة كون الظواهر غير دائمة المطابقة للواقع .

فلا بدّ حينئذٍ من منع صدور الخطأ منهم للأدلّة الأربعة على بطلان صدوره منهم، ولمنافاته لرتبة الإمامة وأصول المذهب وضرورة الدّين، كما لا بدّ من منع صدور الخطأ اتفاقاً بحسب ما تقتضيه العادة لمنافاتها لإطلاقات أدلّة العصمة .

وعليه؛ فيتعيّن القول بمراعاتهم للظاهر والو اقع في أكثر الأحيان في حقّ الناس، وأمّا ذواتهم المقدَّسة فكانت دائماً تراعي جنبة الواقع من دون مخالفة الظاهر .

ثالثاً: إنّ احتمال عدم عملهم بالواقع في الباطن . على تقدير تسليمه . لا من جهة عدم علمهم به، ولا من جهة عدم حجّيّته حسبما توهّمه بعضٌ، بل لعلّه من جهة الضرورة أو التقيّة أو المصلحة أو الإكراه أو نحوها من الموانع العاديّة المانعة لهم من العمل بكثير من الوقائع بل الظواهر أيضاً، بل الملزمة لعملهم بخلاف الواقع أيضاً . على تقدير حصوله . مع وجود المقتضي من العلم بالواقع وحجّيّته قطعاً .

رابعاً: إنّ الأئمّة كانوا يعملون بما يعلمون، ومَن الّذي أعلمنا بأنهم لا يقدرون على العمل بالواقع . ولِمَ كان باب المعاش والمعاشرة منسدّاً عليهم، وهم بتلك القدرة التي منّ الله تعالى عليهم بها؟

نعم، لم تكن معاملاتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الناس على الواقع، لعدم قدرتهم الظاهريّة على تنفيذ الأحكام الإلهيّة، سوى مَن كان يمتّ إليهم بالولاء، فإنهم كانوا يردعونهم عن المنكرات حتى التي كان يفعلها بعض شيعتهم في الخفاء، ومن سبر شيئاً من أحوال الأئمّة عليهم السَّلام عرف هذا الأمر .. ولو كانت معاملاتهم جارية على الظاهر دون العلم لاتفق لهم الخطأ والسَّهُو . حسبما أشرنا . ولانكشفت لهم المخالفة لأعمالهم، مع أنه لم يتفق لهم ذلك طيلة حياتهم .

الشبهة التاسعة: قبح العلم الفعليّ في بعض الموضوعات .

إدّعى صاحب كتاب حقائق الأصول : إنّ النبيّ والأئمّة عليهم السَّلام لم يكونوا مكلَّفين بالعلم الفعليّ في الموضوعات، وذلك لقبح بعضه أحياناً، كالعلم بفروج النساء حال جماع الرّجال .

والجواب:لقد خلط صاحب الشبهة بين العلم بالقبيح وبين الإستعلام والتجسُّس عنه وارتكابه، مع أنّ بينهما بونٌ شاسع، فالعلم بالقبيح والمنكر والمستهجَن ليس بقبيح ذاتاً وإلاّ لكان العلم بالقبيح من علاّم الغيوب قبيحاً، بل وخلقه لآلات التناسل قبيحاً، وكذا للحيوانات النجسة العين . كالكلب والخنزير وجماع الحيوانات أمام الأعين دون سترٍ . قبيحاً .

فالقبح إنما هو تعلّم القبيح والإستعلام والتجسس عنه دون مجرد علمه .

الشبهة العاشرة: الأصل عدم فعليّة علومهم .

إنّ علمهم كوجودهم حادث ومسبوق بالعدم، فالأصل بقاؤه على العدم، أي إبقاء ما كان على ما كان، وإنما يخرج عن الأصل ما تيقّنَ بالدليل، وهو ما كان بالإشاءة والإرادة .

الجواب:وإنْ كان الأصل عدم علمهم إلاّ إنه مقطوع بما قطع به أصالة عدم وجودهم، لما عرفت سابقاً من أنّ الأدلّة القاطعة على فعليّة علمهم وعمومه لا تقصر عن الأدلّة القاطعة بوجودهم وبقائهم .

وبعبارة أخرى:

إنّ المدار لإثبات فعليّة علومهم هو ما أفاده الدليل والبرهان، وقد سبق إثباته عقلاً ونقلاً، فاستصحاب عدم العلم مبنيٌّ على عدم ثبوت أو حصول

علم لهم، مع أنه قد حصل حسبما عرفتَ، فلا موجب حينئذٍ لاستصحاب العدم وذلك لارتفاع موضوعه، فيكون أصل العدم مقطوعاً بحدوث العلم، تماماً كما انقطع أصل العدم بحدوث الوجود، فتدبّر .

الشبهة الحادية عشرة: إنحباس الوحي مستلزم لعدم فعليّة علمه صلّى الله عليه وآله .

إعتمد صاحب الشبهة على ما رواه الفريقان من أن النبيّ سُئل عن ذي القرنين وأصحاب الكهف وعن الروح، فقال : "سأخبركم غداً " ولم يقل إنْ شاء الله، فاحتبس عنه الوحي أربعين يوماً (٣٤٧)، فتخلُّف وعده عن الإجابة يقتضي عدم فعليّة علمه بل فيه دلالة على أنّ جبرائيل هو المعلِّم له.

وفيه:

إنّ تخلُّف وعده ليس لجهله بحكم الأشياء، فإنه منافٍ لأدلّة العصمة، ومنفر من قبول دعوته، فلا بدّ من حمله على أحد أمرين:

إما للتنزيه عن توهّم نطقه بالهوى، و إما للتنبيه على أنّ لله البداء . أي يُظهر لنا ما كان مخفيّاً عنا . ردّاً على مَن أحاله من اليهود والسُّفهاء، وقد فصّلنا بعمق مسألةَ البداء على ضوء الأدلّة الفلسفيّة والشرعيّة في بحوثنا الكلاميّة الأخرى؛ فراجع (٣٤٧).

إلى هنا تم الجواب على أهمّ الشبهات التي أوردها الضعفاء في أمر حجج الله على العباد آل محمّد عليهم صلوات ربّي، وغيرها لا يصلح لأنْ نذكرها، لضعفها وركاكتها، وما أشرنا إليه أمّهات لتلكم الشبهات المضلاّت التي طالما أوقعت السّذّجَ والضعفاءَ من المتعلّمين بل العلماء الظاهريينَ، وهو

تقصير من قِبَلِهم في فهم أخبار عترة رسول الله، وضعف في المقدِّمات الإستنباطيّة التي بنوا عليها تصوراتهم للوصول إلى النتائج العلميّة المطلوبة، ولا عَجَبَ أنهم لم يصلوا بسبب ضيق قابلياتهم وقصور إنياتهم وماهياتهم، كيف لا! وكلّ إناءٍ بما فيه ينضح .



فذلكة البحث:

من خلال ما سقناه من الأدلّة والبراهين على شاهديّة علم النبيّ والعترة عليهم السَّلام، يتضح للباحث المنصف والمتطلّع إلى الحقيقة ـ بغضّ النظر عن خلفيات ذاك التطلُّع ـ بأنّ علم الإمام ـ إنما هو بعض صفاته القدسيّة، التي يجب أنْ يتصف بها الحجّ ة على خلقه، الّذي هو في الواقع منار الهدى والرّشاد للعالَم بأسره.

ولا بدّ للحجّة البالغة ـ كالإمام عليه السلام ـ أنْ يكون في كلّ صفةٍ نبيلةٍ أفضل أهل عصره، فإنه لو كان في الناس من هو أفضل منه، ولو في بعض الصفات، لما صحّ أنْ يكون حجّة على الأفضل، بل ولا المساوي ، وما وجبت طاعته على الناس واستماعهم إليه، إلاّ لاتصافه بصفات الدّعوة إلى الله تعالى، وإرشاده لعامّة المكلَّفين من الملائكة والجنّ والناس أجمعين، ولا يكون كذلك إلاّ وهو خير الناس في الناس، ولو كان في الناس مثله أو أفضل منه، ولو من بعض النواحي، لكانت إمامته خاصّةً ترجيحاً بلا مرجِّح وهو قبيح عقلاً ونقلاً.

ولا يخفى على ذي بصيرةٍ فطنٍ حذقٍ بأنّ الإحاطة بحقيقة الإمامة، وسبر غورها ومعرفتها ليس شيئاً عاديّاً بل هو فوق العادة وغير مطاق لنا، لأنّ الإمامة والرّسالة مظهرٌ لصفات الله تعالى ومثالٌ لكمالات الخالق سبحانه، وهل يحيط خُبراً بكماله العظيم وصفاته القدسيّة إلاّ مَن كان منه عزّ وجلّ كقاب قوسين أو أدنى؟!!.

ويكفي كشاهدٍ قويٍّ على قدسيّة صفات الإمام وأنه لا يمكننا نحن البشر أنْ نعرف كنهها، لكنّ مولانا الإمام أبا الحسن الرّضا عليه السلام الوحيد القادر على تعريفنا مقام الإمام والإمامة، فقد أفصح . فديته بنفسي . عن فوائدها ووظائفها، مما ينبئنا عن قصورنا عن إدراك هذه المنزلة والإحاطة بتلك الحقيقة المقدَّسة، كنا قد ذكرناها سابقاً، ولكننا نذكرها ختاماً تذكيراً وتنبيهاً للمراد، وقد أشار روحي فداه إلى تلك الحقيقة لما خاض الناس في الإمامة بمرو في منطقة طوس في الجامع يوم الجمعة فقال عليه السلام: هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأمّة فيجوز فيها اختيارهم، إنّ الإمامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً وأعلا مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها النّاس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم، إنّ الإمامة خصّ الله عزّ وجلّ بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوّة والخلّة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرّفه بها وأشاد بها ذكره، فقال: ﴿**إنّي جاعلك للناس إماماً**﴾ فقال الخليل عليه السلام سروراً بها: ﴿**ومن ذرّيتي**﴾ قال الله تبارك وتعالى: ﴿**لا ينال عهدي الظّالمين**﴾ .

فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصّفوة، ثمّ أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذرّيته أهل الصّفوة والطّهارة فقال: ﴿**ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين، وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصّلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين**﴾ .

فلم تزل في ذرّيته يرثها بعضٌ عن بعض قرناً فقرناً حتى ورّثها الله تعالى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقال جلّ وعلا: ﴿**إنّ أولى النّاس بإبراهيم**

للّذين اتّبعوه وهذا النّبي الأمّي والّذين آمنوا والله وليّ المؤ منين﴾ فكانت له خاصّة فقلّدها صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّاً عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله، فصارت في ذريّته الأصفياء الّذين آتاهم الله العلم والإيمان، بقوله تعالى : ﴿**وقال الّذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث** ﴾ فهي في ولد عليّ عليه السلام خاصّة إلى يوم القيامة، إذ لا نبيّ بعد محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فمن أين يختار هؤلاء الجهّال؟.

إنّ الإمامة هي من .زلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، إنّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السّلام إنّ الإمامة زمام الدّين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين، إنّ الإمامة أسُّ الإسلام النّامي، وفرعه السّامي، بالإمام تمام الصّلاة والزكاة والصّيام والحجّ والجهاد، وتوفير الفيء والصّدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثّغور والأطراف .

الإمام يحلّ حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذبّ عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة، والموعظة الحسنة، والحجّة البالغة، الإمام كالشّمس الطّالعة المجلّلة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار .

الإمام البدر المنير، والسّراج الزاهر، والنّور الساطع والنّجم الهادي في غياهب الدُّجى وأجواز البلدان القفار، ولجج البحار، الإمام الماء العذب على الظّماء والدّال على الهدى والمنجي من الرّدى، الإمام النّار على اليفاع، الحارّ لمن اصطلى به والدّليل في المهالك، من فار قه فهالك، الإمام السّحاب

الماطر،والغيث الهاطل والشمس المضيئة،والسّماء الظّليلة،والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة .

الإمام الأنيس الرفيق، والو الد الشفيق، والأخ الشّقيق، والأمّ البرّة بالولد الصّغير، ومفزع العباد في الدّاهية النّآد الإمام أم ين الله في خلقه، وحجّته على عباده وخليفته في بلاده، والدّاعي إلى الله، والذابّ عن حرم الله .

الإمام المطهّر من الذّنوب والمبرّأ عن العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدّين، وعزّ المسلمين وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين .

الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحدٌ، ولا يعادله عا لمٌ، ولا يوجد منه بدلٌ ولا له مثلٌ ولا نظير، مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضّل الوهّاب .

فمن ذا الّذي يبلغ معرفة الإمام، أو يمكنه اختياره، هيهات هيهات، ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الالب اب، وخسئت العيون، وتصاغرت العظماء،وتحيّرت الحكماء،وتقاصرت الحلماء، وحصُرت الخطباء، وجهِلَت الألبّاء، وكلّت الشعراء، وعجِزت الأدباء، وعيِيَت البلغاء،وعن وصف شأن من شأنه، أو فضيلةٍ من فضائله، وأقرّت بالعجز والتّقصير، وكيف يوصف بكلّه، أو ينعت بكنهه، أو يُفْهَ مْ شيءٌ من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه، لا كيف وأنّى؟ وهو بحيث النّجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين، فأين الإختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا وأين يوجد مثل هذا؟!.

أتظنّون أنّ ذلك يوجد في غير آل الرسول محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم كذّبتهم والله أنفسهم، ومنّتهم الأباطيل فارتقوا مرتقاً صعباً دحضاً، تذلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة، وآراء مضلّة، فلم يزدادوا منه إلاّ بعداً، [قاتلهم الله أنّى يؤفكون] ولقد راموا صعباً، وقالوا إفكاً، وضلّوا ضلالاً بعيداً، و وقعوا في الحيرة، إذ تركوا الإمام عن بصيرة، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين.

رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته إلى اختيارهم والقرآن يناديهم: ﴿**وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عمّا يشركون**﴾ وقال عزّ وجلّ: ﴿**وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾ الآية، وقال: ﴿**ما لكم كيف تحكمون، أم لكم كتابٌ فيه تدرسون، إنّ لكم فيه لما تخيّرون، ام لكم أيمانٌ علينا بالغة إلى يوم القيامة إنّ لكم لما تحكمون، سلهم أيّهم بذلك زعيم، أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين**﴾ وقال عزّ وجلّ: ﴿**أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها**﴾ أم ﴿**طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون**﴾ أم ﴿**قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، إنّ شرّ الدّواب عند الله الصمّ البكم الّذين لا يعقلون، لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون**﴾ أم ﴿**قالوا سمعنا وعصينا**﴾ بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فكيف لهم باختيار الإمام؟ ! والإمام عالمٌ لا يجهل، وراعٍ لا ينكلْ، معدن القدس والطّهارة، والنّسك والزهادة، والعلم والعبادة، مخصوصٌ بدعوة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ونسلِ المطهّرة البتول، لا مغمز فيه في نسب، ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قريش والذّروة من هاشم، والعترة من الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم والرّضا من الله عزّ وجلّ، شرف الأشراف، والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلعٌ بالإمامة، عالمٌ بالسياسة، مفروض الطّاعة، قائمٌ بأمر الله عزّ وجلّ، ناصحٌ لعباد الله، حافظٌ لدين الله .

إنّ الأنبياء والأئمّة صلوات الله عليهم يوفّقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم، فيكون ع لمهم فوق علم أهل الزمان في قوله تعالى: ﴿**أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع امّن لا يهدي إلاّ أن يُهدى فمالكم كيف تحكمون** ﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿**ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً** ﴾ وقوله في طالوت: ﴿**إنّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطةً في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسعٌ عليم**﴾ وقال لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: ﴿**أنزل عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً** ﴾ وقال في الأئمّة من أهل بيت نبيّه وعترته وذريته صلوات الله عليهم : ﴿**أم يحسدون النّاس على ما آتاهم من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً، فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه وكفى بجهنّم سعيراً**﴾ .

وإنّ العبد إذا اختاره الله عزّ وجلّ لأمورِ عباده، شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعِ بعده بجواب، ولا يحير فيه عن

الصّواب، فهو معصومٌ مؤيّد، موفّقٌ مسدّد، قد أمن من الخطايا والزّلل والعثار، يخصّه الله بذلك ليكون حجّته على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فهل يقدرون على مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصّفة فيقدّمونه، تعدّوا ـ وبيت الله ـ الحقّ ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون، وفي كتاب الله الهدى والشفاء، فنبذوه واتّبعوا أهواءهم، فذمّهم الله ومقتهم وأتعسهم فقال جلّ وتعالى: ﴿**ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هدى من الله إنّ الله لا يهدي القوم الظّالمين**﴾ وقال: ﴿**فتعساً لهم وأضلّ أعمالهم**﴾ وقال: ﴿**كبر مقتاً عند الله وعند الّذين آمنوا كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّرٍ جبّارٍ**﴾ وصلّى الله على النبيّ محمّد وآله وسلّم تسليماً كثيراً (٣٤٨).

إنّ الحديث عن الإمام والإمامة يستلزم الحديث عن ولايتهم المطلَقة، فالقول بالعلم الإشائيّ أو الإراديّ يقتضي الإعتقاد بمقتضاه وهو أنّ الملائكة أعلم منهم، في حين أنّ للإمام الولاية المطلّقة عليهم وعلى عامّة الكائنات، حسبما فصَّلْنا من الأدلّة القطعيّة .

إنّ الملائكة بأجمعها بما لها من الأفعال المختلفة إنما هي عوامل القدرة الكائنة والقائمة بحقيقتهم، فالملائكة الفعّالة والمدبِّرة وسائرها من شؤون حقائقهم وآثارها .

فإيحاءات الملائكة وإلهاماتها بإذنه تعالى على حسب ما تقتضيه حكمته البالغة وعلمه النافذ، كلها من مخزون الأمر النازل على آل محمّد عليهم

السَّلام، فالملائكة مأمورون ب أمرهم الّذي هو أمر الله، فهم الخدمة لهم صلوات ربي عليهم .

ولا أتعجّب من أولئك الّذين أنكروا وجود الأئمّة عليهم السَّلام وكونهم أمناء وقادة وهداة، أكثر مما أتعجّب من أناس مؤمنين يدَّعون معرفتهم بالأئمّة وكونهم أوّل خلق الله، ثمّ يكسرون حجّتهم فين .زلونهم عن قدرهم والمراتب التي جعلهم الله فيها، فينسبون إليهم عدم الحضور في العلوم، بل والجهل في الأمور . على تفصيل حسبما أشرنا في البحوث السابقة . مع أنّ وسائل الإتصال العلمي بالواقع . والكلّ يسلّم بذلك . هي على ثلاثة أنحاء:

الأوّل: عبر الحواسّ المتعلِّقة بالوقائع الماديّة .

الثاني: عبر العقل المتمثّل في إدراك الكليّات .

الثالث: عبر الإتصال المباشر بالشيء من دون تحقّق وساطة العقل أو الحسّ ويعبّر عنه بالمعرفة الشهوديّة أو القلبيّة .

والنحو الثالث هو أكثر إلصاقاً بالذوات الكاملة، لكمال إشراقها، وبمعنى آخر: إنّ الإتصال ومعرفة الوقائع المجرَّدة عن المادّة . وقبل حدوثها . أمر متاح للنفس الإنسانيّة إذ هي في رتبتها لا يفصلها عنها فاصل،فموانع العلم والإنكشاف منها خارجيّة وتتمثل في الزمان والمكان المتعلِّقَين بالجسمانيّات، ومنها باطنيّة معنويّة وتتمثّل في الإنشغال وعدم الإلتفات .

ولما ثبُت ترقّي النفس وتعاليها عن المادّة، فلا ريب أنّ الفواصل الزمكانيّة . الزمان والمكان . ساقطة عنها غير متعلّقة بها، وإنما متعلِّقة بجانبها الجسماني الّذي ليست له علاقة بالعلم وكشف الواقع، فيبقى الفاصل المعنوي وهو

الإنشغال بما تلتقطه الحواسّ وإهمال ما وراءها من حقائق الأمر الّذي دلّ عليه قوله تعالى : ﴿**يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**﴾ (الرّوم/٧) فقد ذمّ عزّ وجلّ مَن ركن بعلمه إلى ظاهر هذه النشأة ولم ينحدر عنها إلى باطنها، ولو لم يكن ذلك متاح لها لما استقام الذمّ في محلّه، وعليه فإنّ معرفة الواقع المجرَّد بنحو من أنحاء المعرفة متاح للنفس الإنسانيّة، وليس أمراً خارجاً عن قدرة البشر وإمكاناته، وذلك لأنّ للنفس الإنسانيّة مراتب ومقامات ومنازل من جهة شدّة التجرّد عن المادّة والإرتفاع إلى العالَم الأعلى ونق صه، وأنّ قلّة الإلتفات وحدّته راجعٌ إلى النفس، فبمقدور ما تشتدّ تجرّداً بمقدار ما تنال من الصّور العلميّة اليقينيّة، فأعلى مراتب الإدراك تجرّداً وشمولاً هي المرتبة التي تسمى بالإدراك القلبي أو الشهودي أو بالتعبير الفلسفي العلم الحضوري بالواقع، وهو أيضاً من ازل ومراتب أضعفها المنامات الصّادقة، وأوسطها الإلهام وحديث الملائكة، وأشدّها في سلّم العلم والإدراك الإنساني هو التلقّي والوحي المباشَرَين .

وبتعبير علميّ أدقّ، إنّ ثمة بُعْدَين للإمام عليه السلام:

بُعْد يشترك به مع سائر الخلق وهو جهة العالميّة التي هي نفسه الشريفة التي تشبه بحسب الظّاهر سائر النفوس من الجهة النفسانيّة وبقطع النظر عن الأمور الأخرى .

وبُعد يختلف به عن سائر الناس ويرتقي بوجوده إلى الأفق الأعلى حيث مقام الولاية العظمى، وهو جهة النفس العالِمة وسعة أفقها التي تختلف نفسه بها عن نفوس سائر الراس .

بهذه الجهة تختلف نفس الإمام عن سائر النفوس من حيث سعة إدراكه وإحاطته بالواقع وتجرّده التامّ عن المادّة بحيث لا يستعين لأجل الكشف والعلم بواسطة الحسّ أو العقل بل بسعة النفس وعلوّ رتبتها ورفعة مقامها ومنزلتها، ويعضده قوله تعالى: ﴿**وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾ (السجدة/٢٤)، فالهداية بأمر الله تعالى من أعلى درجات الإدراك إذ متعلَّقه في أفقٍ متسامٍ عن المادّة بنصّ قوله تعالى :

﴿**وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السّماوات والأرض وليكون من الموقنين**﴾ (الأنعام/٧٥) .

﴿**كلا لو تعلمون علم اليقين لترونّ الجحيم**﴾ (التكاثر/٥) .

ومسألة إنكشاف الواقع غير المادّي للنفس الحاصلة على مقام الإمامة يُعتبر من ضروريّات مقامها الوجودي، هذا مضافاً إلى أنّ جهة متعلّق الإدراك أي الواقع الّذي يُراد معرفته والظفر به، أو بتعبير أدقّ هو : "معرفة الشيء بعلله وأسبابه" هو ما يعبّر عنه بمعرفة المصير على وجه التفضيل .

وموقع هذا النوع من المعرفة وفقاً لنظام العلّة والمعلول الحاكم على النظام الكوني يغدو متعيّناً بالبرهان الفلسفيّ، إذ ما كان واقعاً في المرتبة الماديّة للأشياء هو في ماهيّته مترشّح عمّا قبلها، بل هو لونٌ من ألوان وجودها الشاحب والمحدود، فللأشياءِ وجودٌ آخر متعالٍ عن المادّة والزمان واقعٌ في صقع التجرّد والدّهر، والإطّلاع عليه هو من كمال الإدراك .

هذا كلّه في الماديّات أو المجرّدات الغيبيّة التي لا تتعلّق بالأفعال الإنسانيّة، أما الوقائع المترشّحة من الذوات البشريّة والواقعة في ظرف الإختيار، والتي

ليست من الأعيان، فإنّ الإطلاع عليها وفق ما حُقّق في محلّه من أنّ " العلم بالعلّة علمٌ بمعلولها " فيغدو الأمر سهلاً، إذ الإطّلاع التامّ على الإرادة التي هي إحدى هذه العلل يعتبر محققاً لوقوع الكشف وحدوث العلم .

وبما أنّ مراتب وجود الأشياء بأسرها ـ ومنها الواقعة تحت ظرف الإختيار البشري ـ هي في صقع علمه عزّ وجلّ التامّ بها، فما الضَّيْر في أنْ يحيط بها وليُّه سبحانه، ما دام العلم التام بها عبر طريقه وبإخباره جلّ وعلا، ولا يمكن حصر إخباره ضمن طريق واحد هو الوحي الملائكي، إذ للوحي الربوبيّ عدّة مسالك وطرق يتمّ خلالها تلقين الوليّ ما يُراد تلقينه أو الإطّلاع عليه دفعةً واحدة أو تدريجيّاً، ما دام لا يوجد مانع عقليّ على ذلك، مضافاً إلى أنّ الأدلّة النقليّة لا سيّما الكتاب الشريف تؤيّده وتدعمه، حيث أ ثبت عزّ وجلّ بآيات عدّة أنّ لسائر الأشياء لوناً من الوجود المتعالي عن المادّة، وجعل الوجود المادّي بمثابة تنزل عن ذلك، فكأنه يثبت وجوداً واحداً للأشياء ذو مراتب تشكيكيّة منطقيّة، نظير قوله تعالى:

﴿**وإنْ من شيء إلاّ عندنا خزائنه وما ننزله إلاّ بقدر معلوم** ﴾ (الحجر/٢١)

فهذا القدر المعلوم ـ أي الشيء المحدود ـ هو الواقع لظرف التنزل، وليس تمام الشيء، وكذا قوله تعالى : ﴿**ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين**﴾ (الأنعام/٥٩) .

فالكتاب المبين هو الوجود الجمعي للأشياء، وهذا الكتاب أو الوجود الجمعي يمكن أنْ ينزل منه العلم، أو أنّ العلم به يساوق التمكّن من الشيء

المعلوم فيه بنحوٍ من التمكّن، ويشهد له قوله تعالى : ﴿**وقال الّذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أنْ يرتدّ إليك طرْفك**﴾ (النمل/٤٠) .

فالوجود الجمعي للأشياء محصيٌّ في " إمامٍ مبين " طبقاً لقوله تعالى : ﴿**وكلّ شيء أحصيناه في إمامٍ مبين** ﴾ (يس/١٢)، وقد جاء في الخبر الصحيح بأنّ الإمام المبين هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فما ورد من تمحلاتٍ من أنّ الإمام المبين هو الكتاب الكريم لا يساعد عليه البرهان والدليل، بل القرآن نفسه أمر بالرجوع إلى أولي الأمر الطاهرين، فلو كان إماماً مبيناً لما أرجع بالتفاصيل إلى من ذكرنا من المطهَّرين .

إنّ التحقيق في علم الأئمّة بمصيرهم ـ لا سيّما ما أُثير من إشكالات على خروج الإمام الحسين إلى كربلاء ـ هو أنْ نقول:

إنّ علم الأئمّة عليهم السَّلام بالأعيان الخارجيّة والحوادث الواقعة، وطبقاً للأدلّة النقليّة والبراهين العقليّة ينقسم إلى نحوين:

النحو الأوّل: وقوفهم عليهم السَّلام بإذن الله تعالى على كلّ حقائق عالم الوجود، وفي جميع الشرائط والأسباب وعلمهم بالحقائق هو أعمّ من تلك التي في متناول الحسّ بل تشمل ما لا يتناوله الحسّ كالموجودات السّماويّة والحوادث الماضية والوقائع الآتية وغير ذلك العلم فإثبات ذلك العِلْم يتمّ عبر أمرين:

الأمر الأوّل: ما دلّت عليه النصوص والأخبار المتواترة المبثوثة في جوامع أحاديثنا كالبصائر والكافي وكتب الصَّدُوق والبحار وغيرها، وهي على كثرتها توضح أنّ الأئمّة عليهم السَّلام يعلمون كلّ شيء، ويطّلعون على عامّة

الأمور والأشياء عن طريق ما وهبهم الله إيّاه من العلم، وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق .

الأمر الثاني : ما دلّ عليه العقل وأيدته البراهين من أنّ الأئمّة حسب مقامهم النوراني هم أكمل أفراد البشر بل عامّة الخلق من الملائكة الكرّوبيّين، والمظاهر التامّة للأسماء والصفات الإلهيّة، وعلماء بالفعل بجميع الوقائع الشخصيّة، وبحسب عنصرهم الشريف أينما توجّهوا تنكشف لهم كلّ الحقائق بقدرة الله العزيز القدير، قال تعالى : ﴿**عالِم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحداً إلاّ مَن ارتضى من رسول** ﴾ (الجنّ/٢٧)؛ فإذا جاز للرُّسُل الأنبياء أنْ يطّلعوا على الغيب، جاز للرُّسُل الأولياء أنْ يطّلعوا عليه بطريق أولى، وقد أشار مولى الثقلين إلى تلك الخصيصة والمنزلة الرفيعة التي حباهم المولى بها : " والله لقد اندمجتُ على مكنون عِلْمٍ لو بُحتُ به لاضطربتم اضطراب الأرشيّة في الطُّويّ البعيدة " وقوله عليه السلام: " لو كُشِفَ الغطاء لما ازددتُ يقيناً " إلى غير ذلك من الأقوال الدّالّة على الوسعة والقدرة في العلوم اللتين لا تكونان إلاّ من الكَشْف والإلهام المسمَّى بالعلم ا للدنيّ ﴿**وعلَّمناه من لدنّا عِلْماً** ﴾ ﴿**وما فعلته عن أمري**﴾ ﴿**وعلَّمكَ ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليكَ عظيماً**﴾ .

والوجه في ذلك : إنّ النفس إذا كَمُلَت وزال عنها درن الطبيعة، أقبلت بوجهها على باريها، وتمسّكت بجود مبدعها، واعتمدت على إفادته وفيض نوره، فيتوجّه إليها باريها توجهاً كليّاً، وينظر إليها نظراً إلهيّاً، فتنتقش فيها العلوم المختصّة بها، من غير تعليم بشرٍ بل علماً لدنياً لا واسطة في حصوله

بين النفس والباري، وإنما هو كالضوء في سراج الغيب، يقع على قلبٍ صافٍ لطيفٍ فارغٍ، وهذا ما يُعبَّر عنه بالكشف ع لى سبيل الملامسة وهي الإتصال بين النورَين وهو ما نُقل عن رسول الله أنه قال لعائشة : "رأيتُ ربّي . تبارك وتعالى . ليلة المعراج في أحسن صورة، فقال : بم يختصم الملأ الأعلى يا محمّد؟ قلتُ: أنتَ أعلم أي ربّ ! مرّتين، قال: فوضع الله تعالى كفّه بين كتفيّ، فوجدتُ بردها بين ثديي، فعلمتُ ما في السّماوات وما في الأرض، ثمّ تلا هذه الآية : ﴿**وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السّماوات والأرض وليكون من الموقنين**﴾ .

وإلى هذا أشار بعض المحقّقين من العرفاء في أبيات له في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام .

قيل لي: قل في عليّ مَدْحاً ينضي نطقي ناراً موصــده

قلت: هل أمدح مَن في فضله حا ر ذو اللّبّ إلى أنْ عبــده

والنبيّ المصطفى قال لنـا ليلة المعـــراج لمّـا صعــده

وضــع الله على ظهري يداً فأراني القـلب أنْ قد بـــرده

وعليٌّ واضعٌ رجـــليه لي بمـــكانٍ وضـــع الله يـــده

وصفوة القول: إنّ مثل العلم الثابت للأئمّة عليهم السَّلام . أي علمهم بمصيرهم . بموجب ما سبق من الأدلّة العقليّة والنقليّة غير قابل لأيّ تخلُّف أو تغيّر، وبعبارة أخرى هو علم ثبت في اللوح المحفوظ، وخبر عمّا تعلّق في قضاء

الله، وإثباته في اللوح على سبيل القضاء الحتمي لا يسلب الإمامَ عليه السلام عن اختياره، بمعنى أنّ كون فعل الإنسان حتميٌّ من جهة تعلّقه بالقضاء الإلهيّ لا ينافي كونه اختياريّاً له من جهة فعاليّة الإختيار، حيث إنّ القضاء الإلهيّ للفعل له تعلّق بجميع تفاصيله، وليس بمطلق الفعل فحسب، فمثلاً إذا ما أراد الله تعالى أنْ يأتي الإنسان بفعل ما باختياره، ففي هذه الصّورة يكون الفعل الإختياري متحقِّقاً في الخارج من جهة تعلّقه بإرادة الله الحتميّة غير قابل للإجتناب، وفي الوقت نفسه اختياري للإنسان، ونسبته إليه نسبة الإمكان .

وبمعنى آخر : إنّ إرادة العبد متعلِّقة بإرادة المولى على سبيل الإختيار دون القسر والإجبار .

وبتعبير أدقّ: إنّ إرادة الله الحتميّة لا تلغي إرادة الإمام الإختياريّة، فعلم الإمام . بإذن الله . بكلّ جزئيّات الحوادث الماضية والآتية لا تأثير له على أعماله الإختياريّة، لأنّ العلم كاشف وليس علّةً في حصول الفعل، مثال ذلك علم الله تعالى بظلمِ يزيدٍ لمولانا وسيدنا الإمام الحسين عليه السلام فليس علّةً في صدور الظلم من يزيد لسيّدنا الإمام الحسين عليه السلام بل هو كاشف عن ذلك، وهكذا فإنّ علم الإمام عليه السلام بالجزئيات ليس علّة في تحقّقها قهراً عليه، بل إنّ هذه الأفعال الصادرة منه مندرجة ضمن العلل والأسباب التي يسير عليها عامّة الناس في حياتهم اليوميّة، فما المانع . إذن . من أنْ يؤكّد له سبحانه ما قرّره على ضوء الأسباب والعلل التي تحقّق غاياتها، وبهذا لا يكون المعصوم خارجاً عن إطار السببيّة في تسيير نشاطه .حسبما توهّمه بعضٌ . ولا يكون مجبراً من قِبَل الله تعالى فينتفي الأجر والثواب والفضيلة .

بل يمكن القول بأنّ أفعال الإمام عليه السلام تعكس عن إرادة الله تعالى التي هي في الواقع ظاهرة في إرادة الإمام على سبيل الإختيار بمعنى أنه بإمكان الإمام عليه السلام أنْ لا يفعل، لكنه آلى على نفسه ألاّ يفعل إلاّ ما أراده المولى عزّ وجلّ؛ لأنّ إرادته عزّ وجلّ ظاهرة في إرادة الإمام، وإرادة الإمام عليه السلام هي مظهر لإرادة المولى : (عليٌّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ ...)، (فاطمة يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها...)، (ما يزال العبد يتقرّب إليّ بالنافلة حتى أحبّه فإذا أحببته كنتُ عينه التي يرى بها، وأُذُنه التي يسمع بها ...)، كلّ ذلك مصداق واضح لقوله تعالى : ﴿**وما رميتَ إذ رميتَ ولكنّ الله رمى**﴾ (الأنفال/١٧) .

ومقصودنا من الإرادة هنا هو التشريعيّة وليس الإرادة التكوينيّة، إذ إنّ سيّد الشهداء . على سبيل المثال من حيث إنّ إشكال الإقدام على التهلكة متوجّه على قيامه الشريف بحسب تصوُّر السُّذَّج ممن كتب في الثورة الحسينيّة . وبالنظر إلى إمامته وقيادته الواقعيّة التي كانت له، ما كان له أنْ يبايع يزيداً أو يقدم على عمل يسحق بنيان الدّين، فلم يكن له تكليف آخر غير أنْ يمتنع عن مثل هذه البيعة، وما أراد الله منه غير ذلك سوى ما يترشّح من الإمتناع عن البيعة ألا وهو القتل .

من هنا فإنّ أثر الإمتناع عن البيعة كان مرّاً وسيّئاً، إذ إنّ القدرة المخفيّة والمقاومة غير المغلوبة في ذلك الوقت كانت ت ريد البيعة لها من كلّ العالَم، كانت تطلب البيعة أو الرّأس، وما كانت لتقنع بغير ذلك، لذا فإنّ قتل الإمام صلوات الله عليه في حالة امتناعه عن البيعة كان قطعيّاً ولازماً لا مفرّ

منه، من هنا ورد عنه القول : بأنه لو كان في جحر هامة من هوام هذه الأرض "لاستخرجوني وقتلوني " .

إنّ سيدّ الشهداء عليه السلام ونظراً لرعايته مصلحة الإسلام والمسلمين صمّم تصميماً قطعيّاً على الإمتناع عن البيعة، ورجّح حبّ الموت على الحياة، وهذا الترجيح كانت تمليه الأسباب والظروف القائمة آنذاك حسبما أشرنا، لذا فإنّ هذا التكليف . وهو الإمتناع عن البـيعة . وبالتالي الإستشهاد، هما التكليفان الربّانيّان، وهذا هو معنى ما ورد في بعض الأخبار أنّ رسول الله قال له في المنام . ورؤيا الأنبياء والأولياء وحيٌّ من عند الله تعالى وقصّة إبراهيم خليل الرّحمان خير شاهد على هذا المدَّعى .: " شاء الله أنْ يراك قتيلاً "، أو في غيرها أنه قال لبعض الناصحين له بعدم الخروج : "شاء الله أنْ يراني قتيلاً "، وعلى أية حال فإنّ ذلك كان مراد المشيئة التشريعيّة لا التكوينيّة، إذ لا تأثير للتكوينيّة على إرادة الإنسان وفعله وإلاّ لأدّى ذلك إلى الجبر، وقد قامت الأدلّة على بطلانه .

وما ينطبق على سيّد الشهداء عليه السلام في تحليلنا لقيامه المقدَّس مع رعاية المصالح الإلهيّة، ينطبق على أبيه أمير المؤمنين عليه السلام لما ذهب إلى المسجد وهو يعلم أنّه سيُقتل بسيف الملعون إبن ملجم، وكذا ما فعلته الصدّيقة الطاهرة لما وقفت بوجه الطاغية عمر، فلاذت وراء الباب فكسّر أضلاعها وأسقط جنينها، وكذا ما فعله أخوه الإمام الحسن بن عليّ المجتبى عليه السلام لما عقد الصّلح مع معاوية وأكل من الطعام المسموم وانتهاءاً بما جرى على أئمّة آل البيت عليهم السَّلام إلى غياب قائمهم عجّل الله تعالى فرجه الشَّريف، فإنّ

كلّ ذلك مرتبط بالتكليف الإلهيّ الشرعي ضمن عالم الأسباب والمسبّبات والعلل والمعاليل، ولا يمكن لمسيرتهم أنْ تخرج من إطار التكليف الإلهيّ الملازم للظروف الموضوعيّة التي تصبّ في صالح الإسلام والمسلمين، إنْ كان على الصعيد الفردي أو الإجتماعي، الآني أو المستقبلي .

إنّ الّذين نسبوا إلى أئمّة آل البيت عليهم السَّلام الجهل بمصيرهم، إنما فعلوا ذلك لكونهم نظروا إليهم من ناحية إدراكاتهم الضيّقة، فقاسوا مدركات الأئمّة عليهم السَّلام على إدراكهم الضعيف، وعلوم الأئمّة عليهم السَّلام على علومهم الظاهريّة الظّنّيّة، مع أنّ بين الإدراكَيْن بونٌ شاسع .

وصفوة القول:

إنّ العِترة من آل محمّد هم أبواب الله في جميع ذرّات الوجود في الصدور والورود، بل هم أبواب الفيض على الملائكة والأنبياء والمرسَلين، كيف لا؟ وهم الموصوفون كما في الزيارة الجامعة : (طأطأ كلّ شريفٍ لشرفكم ... وذلّ كلّ شيء لكم...) مضافاً إلى أنهم مختلف الملائكة، يختلفون إليهم ليأخذوا من أنوار حقائقهم عليهم السَّلام، فمن كان بهذه المثابة، هل يتصَوَّر في حقّه عدم حضوريّة علمه؟!

وبما أسلفنا ثبت عموميّة وفعليّة علومهم عليهم السَّلام، وهذا مما يجب أنْ يكون عليه اعتقاد مَن جاس ديار أخبارهم، وضمّ بعضها إلى بعض حسب الأصول الإجتهاديّة التي ألقاها إلينا أئمّتنا عليهم السَّلام في غيبة مولانا حجّة الله على خلقه صاحب العصر والزمان عجّل الله فرجه الشّريف، فالأخذ بطرف من الأخبار . كما حصل لمن قال بالعلم الإشائيّ . دون النظر إلى

الطّرف الآخر، يعتبر نقصاً في الفقاهة بل تقصيراً في مقدماتها، ولا غَرْوَ في ذلك لكون هؤلاء من غير الكاملين في المعرفة، إذ مَن لم يتجرّد عن علائق الدنيا، يصعبُ عليه تحمُّل علومهم الصّعبة المستصعبة الوعرة . حسبما تقدّم في الأخبار السابقة . والتي لا يحتملها إلاّ صدور أمينة وأحلام رزينة ، فهكذا طراز من العلماء لا يعلمون إلاّ ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون، فهم لا يتجاوز علمهم عن محسوساتهم، ولم يعلموا غير عالم الدنيا بل هم ينكرون ما سمعوا من غير عالمِهِم، أو يقلبوها مع ما يقدرون لها من لوازم عوالمهم، وكيف كان فلا يفقهون قولاً من غير مرعاهم وملبسهم الدنيوي، وهم الّذين أخلدوا إلى الأرض ولا يحومون إلاّ حول أنفسهم ، فهم ظالمون لها فصاروا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً، لأن الحيوانات معذورة في عدم نيلها المعارف لقصورها الذاتي، وأما هؤلاء فقد أعطاهم الله تعالى العقل، وبيّن لهم طريق مرضاته ومعارفه، ولكنهم كفروا بأنعم الله عليهم، واتّبعوا أهواءهم بعد قيام الحجّة عليهم، والكفر ليس جحودَ الربوبيّة فحسب بل إنكار كلّ ما ثبت على أنه طاعة أو فضيلة لآل البيت عليهم السَّلام، وهؤلاء قد رفضوا فضيلة عظمى من فضائل آل البيت، تقصيراً منهم في مقدّمات إستنباطيّة، وذلك لأنّ أذهانهم مشحونة بهيئات نفسانيّة تمنعهم عن الإخلاص والإنقطاع إليه تعالى وإلى الموالي الكِرام، وليس ذلك إلاّ لتركهم ما أُمروا به من العمل بما يوجب تهذيب النفس، ورسوخهم فيما لم يُكَلَّفوا به، بل ربما صار ترسّخ هذه الهيئات العلميّة في نفوس بعضهم سبباً للقطع بأنه لا معارف إلاّ ما علموه بعقولهم الضعيفة وبأقيستهم النحيفة، لذا ترى بعضهم

يعظّم تلكم الأقيسة كتعظيم القرآن، فهم نقيض لأولئك الأطهار الّذين قصدهم أمير المؤمنين عليّ . روحي فداه . بقوله عليه السلام مادِحاً ومعرِّفاً لهم : " فما برح لله جلّت آلآؤه في ا لبرهة بعد البرهة وفي أزمان الفترات عبّاد ناجاهم في فكرهم، وكلّمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظة في الأسماع والأبصار والأفئدة " وما ورد عن مولانا الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام: "إعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنا، فإنا لا نعدّ الفقيه منهم فقيهاً حتى يكون محدَّثاً، فقيل : أويكون المؤمن محدَّثاً، قال عليه السلام: يكون مفهَّماً، والمفهَّم المحدَّث " .

إنّ حبّ الشهوات كالترؤس على العباد والبلاد عند أكثر العلماء هو السبب في بُعدِهم عن المعارف الحقيقيّة والمطالب اليقينيّة، فاتّصاف القلب بالصفات المشحونة بهيئات نفسانيّة خبيثة تمنعهم عن الإنقطاع إلى الله تعالى، مما يستلزم ظلمة قلبه فلا ينكشف له الواقعيات كما هي هي، بخلاف المؤمن العارِف العامل المتعبّد بأوامر مواليه الكِرام عليهم السَّلام؛ فإنّ قلبه كالمصباح يزهر بالأنوار، فيرى ما لا يرى غيره، وشتان ما بين هذا وذاك، فإنّ صاحب القلب المظلم لا يفهم من كلمات الأحاديث إلاّ ما يتصوّره بذهنه المظلم، ولا يكاد يصل إلى حقيقة الأمر بخلاف المؤمن العارف، مع أنّ المِدْرَك لهما واحد وهو الأخبار، ضرورة أنّ كلمات الأئمّة عليهم السَّلام كما دلّت عليها أخبار الكافي : " لها بطون كالقرآن لايصل إليها إلاّ مَن شرح الله صدره للإسلام "، وإلى هذا يشير قوله صلّى الله عليه وآله وسلَّم : " رُبَّ حامل فقهٍ إلى مَن هو أفقه "، فالحامل للحديث يفهم منه شيئاً، والمحمول إليه يفهم

شيئاً آخر أدقّ منه، وقول الإمام الصّادق عليه السلام: " كتاب الله على أربعة أشياء: العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوامّ، والإشارة للخواصّ، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء "[349]، فلا يكاد يتوجّه إلى الإشارات، وإلى اللطائف والحقائق إلاّ الخواصّ والأولياء .

وهؤلاء المقصودون في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: "عبادٌ ناجاهم في فكرهم وكلَّمَهم في ذات عقولهم، فاستصحبوا بنور يقظة في الأبصار والأسماع والأفئدة "[350]، و "هجم بهم العِلْم على حقيقة البصيرة، وباشَروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترَفون، وأنِسُوا بما استوحش منه الجاهلون، وصَحِبُوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها معلقةً بالمحلّ الأعلى "[351].

وقال أيضاً:" عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْداً أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ وتَجَلْبَبَ الْخَوْفَ فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ وأَعَدَّ الْقِرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ وهَوَّنَ الشَّدِيدَ نَظَرَ فَأَبْصَرَ وذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ وارْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ سُهِّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ فَشَرِبَ نَهَلًا وسَلَكَ سَبِيلًا جَدَداً قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ وتَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ إِلَّا هَمّاً وَاحِداً انْفَرَدَ بِهِ فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى ومُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى وصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى ومَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ وسَلَكَ سَبِيلَهُ وعَرَفَ مَنَارَهُ وقَطَعَ غِمَارَهُ واسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِهَا ومِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ وتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ كَشَّافُ عَشَوَاتٍ مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ دَفَّاعُ مُعْضِلَاتٍ دَلِيلُ فَلَوَاتٍ يَقُولُ فَيُفْهِمُ ويَسْكُتُ

فَيَسْلَمُ قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ وأَوْ تَادِ أَرْضِهِ قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ يَصِفُ الْحَقَّ ويَعْمَلُ بِهِ لَا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا ولَا مَظِنَّةً إِلَّا قَصَدَهَا قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ فَهُوَ قَائِدُهُ وإِمَامُهُ يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ وينزل حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ "(٣٥٢).

وقال عليه السلام في مورد آخر يصف فيه الفقيه العارف : " قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ وأَمَاتَ نَفْسَهُ حتى دَقَّ جَلِيلُهُ ولَطُفَ غَلِيظُهُ وبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ وسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ وتَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ ودَارِ الْإِقَامَةِ وثَبَتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ والرَّاحَةِ بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وأَرْضَى رَبَّهُ "(٣٥٣).

فمن كان اليقين على مثل ضوء الشمس لما ارتوى من عذب ماء فرات علم آل محمّد عليهم السَّلام، فلا محالة له شأنيّة أنْ ينصب نفسه في أرفع محلّ، لتصيير كل فرع إلى أصله، ولبيان جواب كلّ إشكال يطرأ على الضعفاء من شيعة آل محمّد، فإنّ مثل هذا لا يعارضه جاهل مظلم القلب؛ وذلك لأنّ حكيم آل محمّد أصبح بنور يقظة في سمعه وبصره وفؤاده، فهو ممن شرح الله صدره للإسلام، يعلم ويفهم من الآيات والأخبار بطونها، وما لا يكاد يفهمه غيره .

والحاصل:

حتى يُعْرَفَ مراد الأئمّة عليهم السَّلام لا بدّ أنْ يتوجّه العالِمُ بإخلاصٍ إلى الله تعالى من خلال الإخلاص لهم بالمحبّة والتوسّل بهم والإنقطاع إليهم وإلاّ بقي محروماً من ألطافهم وأنوارهم، اللهمّ لا تحرمنا .

ليس من السّهل أنْ يعرف الفقيه معاني كلامهم ما دام متجلبباً بالبدن، مخلداً إلى الأرض، كما ليس سهلاً أنْ يعرفَ . أي الفقيه . الأئمّةَ على حقائقهم بعد أنْ دلّت الأخبار على عدم إحاطة الخلق بكنه ذواتهم: (يا عليّ ما عرفكَ إلاّ الله وأنا ...) وكما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: (ظاهِري إمامة وباطني غَيْبٌ لا يُدْرَك) وما معرفتنا به إلاّ على قدر ما نلمسه من آثاره، ونقرأه من أخباره، نسأله ج لّ شأنه أنْ يعرّفنا حجّته لنهتدي لدينه ولا نضلّ عن سبيله إنه خير مسؤول وأكرم مجيب، وهو وليّي ووكيلي، وإليه أُرجع أموري كلّها، وأسلّمه فكري وروحي وعقلي .

وسلامٌ على المرسَلين، والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسَّلام على محمّد وآله الطّاهرين المقدَّسين لا سيّما بقيّة الله في الأرضين صاحب الزمان، ومظهر العدل والفرقان الإمام الحجّة بن الحسن عجّل الله تعالى فرجه الشريف وجعلنا من أنصاره والذابين عنه بحقّ الحقّ عليّ أمير المؤمنين عليه السلام وآله الميامين.

محمّد جميل حمُّود

بيروت بتاريخ:٢٥/ربيع أول/١٤٢٤هـ

هوامش الفصل الرابع:

(١) أصول الكافي:١/١٤٣ح٤ .

(٢) أصول الكافي:١/١٧٧ح١ .

(٣) أصول الكافي:١/١٨٠ح٢ .

(٤) أصول الكافي:١/١٨٠ح١ .

(٥) أصول الكافي:١/١٨٣ح٨، والغيبة للنعماني:٨٠ .

(٦) أصول الكافي:١/١٨١ح٤ .

(٧) وسائل الشيعة:١/٩٠ح١، وأصول الكافي:١/١٨٥ح١ [نصفه مقتطع] .

(٨) أصول الكافي:١/٣٧٧ح٣، وإكمال الدين:٢/٤١٣ .

(٩) أصول الكافي:١/٣٧١ح١ .

(١٠) أصول الكافي:١/٣٧١ح٢ .

(١١) أصول الكافي:١/٣٧١ح٤ .

(١٢) أصول الكافي:١/٣٧١ح٥ .

(١٣) أصول الكافي:١/٣٧٢ح٧ .

(١٤) غيبة النعماني:٨٤ .

(١٥) غيبة النعماني:٨٥ .

(١٦) الفوائد البهيّة في شرح عقائد الإماميّة:٢/٩٦/ فصل: صفات الإمام وعِلْمه .

(١٧) تفسير نور الثقلين:٥/١٣٢ح٥٨ نقلاً عن علل الشرائع .

(١٨) تفسير نور الثقلين:١/٥٨٧ .٥٩٠ .

(١٩) بحار الأنوار:٢٧/٢٩٥ نقلاً عن معاني الأخبار وتفسير القمّي .

(٢٠) تفسير القمّي:٢/٤٧٧ .

(٢١) تفسير البرهان:٤/٥٠٢ح٥ .

(٢٢) تفسير البرهان:١/٣٨٢ح٧ .

(٢٣) تفسير البرهان:١/٣٨٣ح٨ .

(٢٤) تفسير البرهان:١/٣٨٤ح٦

(٢٥) تفسير القمّي:٢/١٩٨ .

(٢٦) بحار الأنوار: ٢٧٥/٢٣ح١ .

(٢٧) بحار الأنوار: ٢٧٩/٢٣ح١٩ .

(٢٨) بحار الأنوار: ٢٧٩/٢٣ح٢٠ .

(٢٩) بحار الأنوار: ٢٨١/٢٣ح٢٤ .

(٣٠) بحار الأنوار: ٧٦/٢٣ح١ .

(٣١) أصول الكافي: ٣٧٧/١ح٣/ باب: مَن مات وليس له إمام من أئمّة الهدى .

(٣٢) مسند أحمد بن حنبل:٤٤٦/٣، ومجمع الهيثمي:٢٢٣/٥ .

(٣٣) صحيح مسلم :٢٢/٦، وسنن البيهقي :١٥٦/٨، وتفسير إبن كثير :٤٤٤/١، ومجمع الهيثمي :٢١٨/٥، وإزالة الخفاء لشاه وليّ الله:٣/١ .

(٣٤) شرح المقاصد للتفتازاني:٢٧٥/٢، وشرح عقائد النسفي/ ط. ١٣٠٢هـ، لكنّ الحديث المذكور حُرِّف من الكتاب في سنة١٣١٣هـ وحكاه الشيخ علي القاري صاحب المرقاة في خاتمة الجواهر المضيّة:٥٠٩/٢و٤٥٧ .

(٣٥) خلاصة كتاب نقض العثمانيّة للجاحظ:٢٩/ ومجمع الهيثمي:٢٢٤/٥ .

(٣٦) مجمع الهيثمي:٢١٩/٥ .

(٣٧) بحار الأنوار: ٩٢/٢٣ح٣٦ نقلاً عن الإختصاص .

(٣٨) بحار الأنوار: ٩٢/٢٣ح٣٨ .

(٣٩) بحار الأنوار: ١٢٨/٢٣ح٥٩/ باب فضائل أهل البيت عليهم السَّلام، والنّص عليهم .

(٤٠) مَن لا يحضره الفقيه:١٣٥/١ح١٣/ باب فضل الصّلاة .

(٤١) أصول الكافي:٤٠٤/٢ح٣/ باب المستضعَف .

(٤٢) جواهر الفقه:١٨٢/١ .

(٤٣) قوانين الأصول/ باب ترك الإستفصال .

(٤٤) كنز الفوائد:٢٤٥/١ .

(٤٥) أوائل المقالات:٧٧.٧٥/ ط. تبريز .

(٤٦) بحار الأنوار:٢٥٧/٤٢و٢٥٩ .

(٤٧) مدينة المعاجز:٣٤٤/٧ح٢٣٧٣ .

(٤٨) أصول الكافي:١٤٣/١ح٤ .

(٤٩) راجع أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد:٧٠٨/١ .

(٥٠) شواهد التنزيل:٥٧/١ح٨٦ .

(٥١) شواهد التنزيل:٥٨/١ح٨٧ .

(٥٢) شواهد التنزيل:٥٨/١ .

(٥٣) شواهد التنزيل:٥٨/١ .

(٥٤) شواهد التنزيل: ١/ ٥٨ .

(٥٥) تفسير القمّي: ٢/ ٣٤٢ .

(٥٦) تفسير نور الثقلين: ١/ ٣١٦ ح٣٠ .

(٥٧) تفسير نور الثقلين: ١/ ٣١٦ ح٣٤ .

(٥٨) تفسير الميزان: ٢٠/ ٥٥ .

(٥٩) تفسير الميزان: ٢٠/ ٥٤ .

(٦٠) راجع تفسير نور الثقلين: ٤/ ١٦٥.١٦٦ .

(٦١) تفسير البرهان: ٢/ ٣٧٨ ح١ .

(٦٢) تفسير البرهان: ٢/ ٣٧٨ ح٢ .

(٦٣) تفسير البرهان: ٢/ ٣٧٨ ح٣ .

(٦٤) تفسير البرهان: ٢/ ٣٧٨ ح٤ .

(٦٥) تفسير البرهان: ٢/ ٣٧٨ ح٥ .

(٦٦) تفسير البرهان: ٢/ ٣٧٨ ح٦ .

(٦٧) تفسير البرهان: ٢/ ٣٧٨ ح٧ .

(٦٨) بصائر الدرجات: ١٠/ ٥٣٧ ح٤٧ .

(٦٩) بحار الأنوار: ٢٥/ ٣٣٦ ح١٦ .

(٧٠) أصول الكافي: ١/ ٢٦٨ ح٨ .

(٧١) غاية المرام: ٤/ ٥٥ ح١ .

(٧٢) غاية المرام: ٤/ ٥٥ ح٢ .

(٧٣) غاية المرام: ٤/ ٥٥ ح٣ .

(٧٤) غاية المرام: ٤/ ٥٦ ح٤ .

(٧٥) غاية المرام: ٤/ ٥٦ ح٥ .

(٧٦) غاية المرام: ٤/ ٥٦ ح٦ .

(٧٧) غاية المرام: ٤/ ٥٧، والكافي: ١/ ٢٢٩ ح٦ .

(٧٨) بصائر الدرجات: ٢١٣ ح٣، وغاية المرام: ٤/ ٥٧، والكافي: ١/ ٢٧٥ ح٣ .

(٧٩) غاية المرام: ٤/ ٥٨، وتفسير القمّي: ١/ ٣٦٧ .

(٨٠) غابة المرام: ٤/ ٥٨، وبصائر الدرجات: ٢١٢ ح١ .

(٨١) غاية المرام: ٤/ ٥٨، وبصائر الدرجات: ٢١٢ ح٢ .

(٨٢) غاية المرام: ٤/ ٥٨، وبصائر الدرجات: ٢١٥ ح١٣ .

(٨٣) غاية المرام: ٤/ ٥٨، وبصائر الدرجات: ٢١٥ ح١٤ .

(٨٤) غاية المرام:٤/٥٨، وبصائر الدرجات:٢١٦ح٢٠ .
(٨٥) غاية المرام:٤/٥٩، وبصائر الدرجات:٢١٤ح١١ .
(٨٦) غاية المرام:٤/٥٩، وبصائر الدرجات:٢١٦ح١٨ .
(٨٧) غاية المرام:٤/٥٩، وبصائر الدرجات:٢١٦ح١٨ .
(٨٨) غاية المرام:٤/٥٩، وبصائر الدرجات:٢١٦ح١٨، وأمالي الصَّدوق:٦٥٩ح٨٩٨ .
(٨٩) غاية المرام:٤/٥٩، وتفسير العياشي:٢/٢٢٠ح٧٦ .
(٩٠) غاية المرام:٤/٦٠، وتفسير العياشي:٢/٢٢٢ح٧٧ .
(٩١) غاية لمرام:٤/٦٠، وتفسير العياشي:٢/٢٢٢ح٧٧ .
(٩٢) غاية المرام:٤/٦٠، وتفسير العياشي:٢/٢٢٢ح٧٧ .
(٩٣) غاية المرام:٤/٦٠، وروضة الواعظين:١٠٥ .
(٩٤) غاية المرام:٤/٦٠، والإحتجاج:٢/١٣٩ .
(٩٥) تفسير القمّي:٢/٣٧، وتفسير الصافي: ٣/٢٥٢ح٦٧ .
(٩٦) تفسير القمّي:٢/٣٦، وتفسير الصافي: ٣/٢٤٨ .
(٩٧) بصائر الدرجات:١/٣١ح١ .
(٩٨) بصائر الدرجات:١/٣٢ح٣ .
(٩٩) أصول الكافي:١/٢٦١ح٢ .
(١٠٠) أصول الكافي:١/٢٦٢ح٦ .
(١٠١) أصول الكافي:١/٢٦٢ح٥ .
(١٠٢) بصائر الدرجات::١/٣٢ح١ .
(١٠٣) أصول الكافي:١/٢٦٠ح١ .
(١٠٤) أصول الكافي:١/٢٦١ح٣ .
(١٠٥) أصول الكافي:١/٢٦١ح٤ .
(١٠٦) أصول الكافي:١/١٩٨ح١ .
(١٠٧) أصول الكافي:١/٢٢١ح١ .
(١٠٨) أصول الكافي:١/٢٢١ح٣ .
(١٠٩) بصائر الدرجات:٢/٧٦ .
(١١٠) بصائر الدرجات:٢/٧٦ح١ .
(١١١) بصائر الدرجات:٢/٧٦ح٢ .
(١١٢) بصائر الدرجات:٢/٧٦ح٣ .
(١١٣) بصائر الدرجات:٢/٧٦ح٤ .

(١١٤) بصائر الدرجات:٢/٧٦ح٥ .

(١١٥) بصائر الدرجات:٢/٧٦ح٦ .

(١١٦) بصائر الدرجات:٢/٧٦ح٧ .

(١١٧) بصائر الدرجات:٢/٧٦ح٨ .

(١١٨) بصائر الدرجات:٢/٧٦ح٩ .

(١١٩) بصائر الدرجات:٢/٧٨ .

(١٢٠) أصول الكافي:١/٢١٣ .

(١٢١) أصول الكافي:١/٢٢٣ .

(١٢٢) أصول الكافي:١/١٩٨ح١ .

(١٢٣) أصول الكافي:١/٢٠٣ح٢ .

(١٢٤) بحار الأنوار:٢٥/١٣٣ح٥ .

(١٢٥) بحار الأنوار:٢٥/١٣٤ح٦ .

(١٢٦) بحار الأنوار:٢٥/١٣٨ح٩ .

(١٢٧) بحار الأنوار:٢٥/١٣٩ح١٠ .

(١٢٨) بحار الأنوار:٢٥/١٣٩ح١١، وبقيّة الأحاديث في نفس الباب .

(١٢٩) بحار الأنوار:٢٥/١٦٩ح٣٨ .

(١٣٠) بصائر الدرجات:٥/٢٤٥ح١ .

(١٣١) بصائر الدرجات:٥/٢٤٦ح٢ .

(١٣٢) بصائر الدرجات:٥/٢٤٦ح٤ .

(١٣٣) بصائر الدرجات:٥/٢٤٧ح٥ .

(١٣٤) بصائر الدرجات:٥/٢٤٧ح١ .

(١٣٥) بصائر الدرجات:٢٤٨ح٣ .

(١٣٦) عيون الأخبار:٢/٣٦ح٥٤ .

(١٣٧) بصائر الدرجات:٧/٣٥٧ح١ .

(١٣٨) بصائر الدرجات:٧/٣٥٨ح٣ .

(١٣٩) بصائر الدرجات:٧/٣٦٠ح١ .

(١٤٠) بصائر الدرجات:٧/٣٦١ح١ .

(١٤١) بصائر الدرجات:٧/٣٦٢ح٤ .

(١٤٢) بصائر الدرجات:٧/٣٦٢ح٥ .

(١٤٣) بصائر الدرجات:٧/٣٦٣ح٩ .

(١٤٤) بصائر الدرجات:٣٦٣/٧ح١٢ .

(١٤٥) بصائر الدرجات:٣٦٤/٧ح١٧ .

(١٤٦) بصائر الدرجات:٣٦٨/٧ح٤ .

(١٤٧) أصول الكافي:١٩٠/١ح٢ .

(١٤٨) أصول الكافي:١٩١/١ح٤ .

(١٤٩) بصائر الدرجات:١٠٢/٢ح٣ .

(١٥٠) بصائر الدرجات:١٢٦/٢ح١ .

(١٥١) بصائر الدرجات:١٢٧/٢ح٢ .

(١٥٢) بصائر الدرجات:١٢٧/٢ح٣ .

(١٥٣) بصائر الدرجات:١٢٨/٢ح١١ .

(١٥٤) بصائر الدرجات:١٢٩/٢ح١ .

(١٥٥) بصائر الدرجات:١٢٩/٢ح٢ .

(١٥٦) بصائر الدرجات:١٢٩/٢ح٣ .

(١٥٧) بصائر الدرجات:١٣٢/٢ح١٧ .

(١٥٨) أصول الكافي:٢٢٧/١ح١ .

(١٥٩) أصول الكافي:٢٢٧/١ح٢ .

(١٦٠) بصائر الدرجات:١٣٨/٣ح١ .

(١٦١) أصول الكافي:٢٢٨/١ح١ .

(١٦٢) أصول الكافي:٢٢٨/١ح٤ .

(١٦٣) أصول الكافي:٢٢٩/١ح٥ .

(١٦٤) أصول الكافي:٢٢٩/١ح٦ .

(١٦٥) بصائر الدرجات:٤١/١+٤٢+٤٣+٤٦+٤٨+٤٩ .

(١٦٦) بصائر الدرجات:٨١/٢ح١ .

(١٦٧) بصائر الدرجات:٨١/٢ح٢ .

(١٦٨) بصائر الدرجات:٨١/٢ح٣ .

(١٦٩) بصائر الدرجات:٨١/٢ح٤ .

(١٧٠) بصائر الدرجات:٨١/٢ح٧ .

(١٧١) أصول الكافي:١٩٣/١ح٢ .

(١٧٢) بصائر الدرجات:٨٥/٢ح٣ .

(١٧٣) بصائر الدرجات:٨٥/٢ح٤ .

(١٧٤) أصول الكافي:١/١٩٤ح١ .

(١٧٥) أصول الكافي:١/١٩٤ح٢ .

(١٧٦) أصول الكافي:١/١٩٤ح٣ .

(١٧٧) أصول الكافي:١/١٩٥ح٤ .

(١٧٨) أصول الكافي:١/١٩٥ح٥ .

(١٧٩) أصول الكافي:١/٣٨٩ح١ .

(١٨٠) أصول الكافي:١/٣٨٩ح٢ .

(١٨١) أصول الكافي:١/٣٩٠ح٤ .

(١٨٢) أصول الكافي:١/١٩٦ح١ .

(١٨٣) أصول الكافي:١/١٩٧ح٣ .

(١٨٤) بصائر الدرجات:٤/٢٢٢ح٥ .

(١٨٥) أصول الكافي:١/٢٣٠ح١ .

(١٨٦) أصول الكافي:١/١/٢٣٠ح٢ .

(١٨٧) أصول الكافي :١/٢٣٠ح٣، وبصائر الدرجات :٤/٢٢٨ح٣ وصفحة :٢٣٠ح١، وصفحة : ٢٣٢ح١+٢ .

(١٨٨) أصول الكافي:١/٢٣٨ح١ .

(١٨٩) أصول الكافي:١/٢٤٠ح٢ .

(١٩٠) أصول الكافي:١/٢٤٠ح٣ .

(١٩١) أصول الكافي:١/٢٤١ح٥ .

(١٩٢) أصول الكافي:١/٢٤٢ح٨ .

(١٩٣) بصائر الدرجات:٧/٣٤٤ح١ .

(١٩٤) بصائر الدرجات:٧/٣٤٥ح٢+٤+٥+٦+٧ .

(١٩٥) بصائر الدرجات:٨/٤٢٨ح١ .

(١٩٦) بصائر الدرجات:٨/٤٢٨ح٢ .

(١٩٧) بصائر الدرجات:٨/٤٢٨ح٣ .

(١٩٨) بصائر الدرجات:٨/٤٢٨ح٤ .

(١٩٩) بصائر الدرجات:٨/١٢٣ح١+٢+٣+٤...وغيرها فراجع .

(٢٠٠) بحار الانوار:٢٥/١٤١ .

(٢٠١) بصائر الدرجات:٢/١٢٩ح٣ .

(٢٠٢) بصائر الدرجات:٢/١٣٢ح١٧ .

(٢٠٣) بصائر الدرجات:١/٤٣ح١١ .
(٢٠٤) بصائر الدرجات:١/٤٣ح١٢ .
(٢٠٥) بصائر الدرجات:١/٤٨ح٢+٣ .
(٢٠٦) بصائر الدرجات:١/٤١ح٥ .
(٢٠٧) بصائر الدرجات:١/٤٣ح١٢ .
(٢٠٨) بصائر الدرجات:١/٤٤ح١٦ .
(٢٠٩) بصائر الدرجات:١/٤٢ح٩ .
(٢١٠) الكوثر في أحوال مولاتنا فاطمة:٤/٣٠٦ح٢٦٨١ .
(٢١١) مولاتنا فاطمة بهجة قلب المصطفى:١/١٧٧ح٩، ودلائل الطبري:٢٩-٣٠ .
(٢١٢) بحار الأنوار:٢٦/٤٣ح٧٥ .
(٢١٣) بحار الأنوار:٢٦/٤٢ح٧٣ .
(٢١٤) بحار الأنوار:٢٦/١٥٦ح٤ .
(٢١٥) بحار الأنوار:٢٦/١٥٥ح٢ .
(٢١٦) أصول الكافي:١/٢٣٩ح١ .
(٢١٧) أصول الكافي:١/٢٤٠ح٢ .
(٢١٨) أصول الكافي:١/٢٤٠ح٣ .
(٢١٩) أصول الكافي:١/٢٤١ح٥ .
(٢٢٠) أصول الكافي:١/٢٤١ح٦ .
(٢٢١) أصول الكافي:١/٢٤٢ح٧ .
(٢٢٢) أصول الكافي:١/٢٤٢ح٨ .
(٢٢٣) دلائل الإمامة:٢٩ .
(٢٢٤) بصائر الدرجات:٣/١٦٩ح١٥ .
(٢٢٥) بصائر الدرجات:٤/١٩١ح٢ .
(٢٢٦) بحار الأنوار:٢٦/١٨ح١ .
(٢٢٧) بحار الأنوار:٣٥/٣٢٣ح٢٢ .
(٢٢٨) بحار الأنوار:٢٥/٢٥٩ح٢٠ .
(٢٢٩) بحار الأنوار:٣٧/١٧٦ح٦٣ .
(٢٣٠) بحار الأنوار:٤٧/٢٦ .
(٢٣١) بحار الانوار:٤٧/٣٢ .
(٢٣٢) بصائر الدرجات: ٣/١٧١ح٢ .

(٢٣٣) بصائر الدرجات: ١٧٣/٣ح٥ .
(٢٣٤) بصائر الدرجات: ١٧٤/٣ح٨ .
(٢٣٥) بصائر الدرجات: ١٧٤/٣ح٩ .
(٢٣٦) بصائر الدرجات: ١٧٥/٣ح١٤ .
(٢٣٧) بصائر الدرجات: ١٧٦/٣ح١٥ .
(٢٣٨) بصائر الدرجات: ١٧٦/٣ح١٧ .
(٢٣٩) بصائر الدرجات: ١٧٧/٣ح١٩ .
(٢٤٠) بصائر الدرجات: ١٧٨/٣ح٢١ .
(٢٤١) بصائر الدرجات: ١٧٨/٣ح٢٣ .
(٢٤٢) بصائر الدرجات: ١٧٩/٣ح٢٧ .
(٢٤٣) بصائر الدرجات: ١٨٠/٣ح٣٠ .
(٢٤٤) بصائر الدرجات: ١٨١/٣ح٣٢ .
(٢٤٥) بصائر الدرجات: ١٨١/٣ح ٣٣.
(٢٤٦) بصائر الدرجات: ١٨٩/٤ح٢ .
(٢٤٧) بصائر الدرجات: ١٨٩/٤ح٣ .
(٢٤٨) بصائر الدرجات: ١٨٩/٤ح٤ .
(٢٤٩) بصائر الدرجات: ١٨٩/٤ح٥ .
(٢٥٠) بصائر الدرجات: ١٨٩/٤ح٧ .
(٢٥١) بصائر الدرجات:١٩٠/٤ح١ .
(٢٥٢) بصائر الدرجات:١٩١/٤ح٢ .
(٢٥٣) بصائر الدرجات:١٩١/٤ح٣ .
(٢٥٤) بصائر الدرجات:١٩١/٤ح٥ .
(٢٥٥) بصائر الدرجات:١٩١/٤ح٧ .
(٢٥٦) بصائر الدرجات:١٩١/٤ح١٠ .
(٢٥٧) بصائر الدرجات:٢٠٦/٤ح٤٧ .
(٢٥٨) أصول الكافي:٢٥٧/١ح٣ .
(٢٥٩) أصول الكافي:٢٣٩/١ح١ .
(٢٦٠) وسائل الشيعة:١٠٦٩/٢ح٢، وفروع الكافي:٤٥/٣ح١٥ .
(٢٦١) وسائل الشيعة:١١٩/١٢/ باب٣٥ح٢ .
(٢٦٢) تفسير نور الثقلين:٤٤٢/٥ح٤٨ .

(٢٦٣) تفسير القمّي:٤١١/٢، ونور الثقلين:٥/٤٤٤ح٥٩و٦٠، وأصول الكافي:١/٢٥٦ح٢ .
(٢٦٤) مدينة المعاجز:٥/١٢٨ح١٥١٣ .
(٢٦٥) بحار الأنوار:٤٦/٢٥٥ح٥٤ .
(٢٦٦) بصائر الدرجات: ٣/١٤٢ح٢ .
(٢٦٧) بصائر الدرجات: ٣/١٤٢ح١ .
(٢٦٨) السنن الكبرى:٢/٤٧٣ح٣٨١٦/ باب سجود السهو .
(٢٦٩) السنن الكبرى:٢/٤٨١ح٣٨٣٨٠/ باب مَن سها فصلّى خمساً .
(٢٧٠) السنن الكبرى:٢/٤٧٤ح٣٨١٨ .
(٢٧١) مَن لا يحضره الفقيه:١/٢٣٣ .
(٢٧٢) التهذيب:٢/٣٢٥ح١٤٣٨ .
(٢٧٣) التهذيب:٢/٣٢٧ح١٤٤٩ .
(٢٧٤) التهذيب:٢/٣٢٣ح١٤٣٣، والإستبصار:١/٣٧٧ح٥ .
(٢٧٥) الإستبصار:١/٤٣٣ح٥ .
(٢٧٦) عيون الأخبار:٢/٢١٩ح٥ .
(٢٧٧) وسائل الشيعة:٥/٣٧٤ج١/ الباب الثالث والثلاثون .
(٢٧٨) التهذيب:٢/٣٢٨/ هامش حديث رقم١٤٥٤ .
(٢٧٩) الإستبصار:١/٤٣٣/ هامش حديث رقم٥ .
(٢٨٠) السنن الكبرى:٢/٢٠٦ح٣١٧٢ .
(٢٨١) السنن الكبرى:٢/٣٠٧ح٣١٧٤ .
(٢٨٢) السنن الكبرى:٢/٣٠٨ح٣١٧٦ .
(٢٨٣) السنن الكبرى:٢/٣١٠ح٣١٨٢ .
(٢٨٤) السنن الكبرى:٢/٣٠٦ح٣١٧١ .
(٢٨٥) مَن لا يحضره الفقيه:١/٢٣٣ح٤٨ .
(٢٨٦) مَن لا يحضره الفقيه:١/٢٣٤ .
(٢٨٧) بحار الأنوار:١٧/١٠٧ بعد حديث رقم: ١٧ .
(٢٨٨) بحار الأنوار:١٧/١٠٧ .
(٢٨٩) بحار الأنوار:١٧/١٠٨ .
(٢٩٠) فروع الكافي:٣/٢٩٤ح٨ .
(٢٩١) فروع الكافي:٣/٢٩٤ح٩ .
(٢٩٢) بحار الأنوار:١٧/١٢٧ نقلاً عن رسالة للشيخ المفيد رحمه الله .

(٢٩٣) بصائر الدرجات:٧/٣٣٥ح١ .

(٢٩٤) بصائر الدرجات:٧/٣٣٥ح٢ .

(٢٩٥) بصائر الدرجات:٧/٣٣٥ح٤ .

(٢٩٦) بصائر الدرجات:٧/٣٣٥ح٥ .

(٢٩٧) راجع أصول الكافي:١/٢٥٨/ باب أنّ الأئمّة عليهم السَّلام إذا شاؤوا أنْ يعلَموا علِموا .

(٢٩٨) تفسير العياشي:١/٣٧٩ح٢٣١ .

(٢٩٩) وسائل الشيعة:١٨/٨٢ح٢٢، والإحتجاج:٢/١٩٢، وعيون الأخبار:١/٢٩٠ح٣٩/ باب:٢٨ .

(٣٠٠) بحار الأنوار:٢٦/١٠٩ح١/ باب:٦ .

(٣٠١) بحار الأنوار:٢٦/١٠٩/ باب:٦ .

(٣٠٢) بصائر الدرجات:٨/٤٢٨/ الباب الرابع عشر .

(٣٠٣) بصائر الدرجات:٨/٤٢٨/الباب الرابع عشر .

(٣٠٤) بحار الأنوار:٢٦/١١٠/ الباب السادس .

(٣٠٥) بحار الأنوار:٢٦/١٠٨ح١٤ .

(٣٠٦) بصائر الدرجات:٢/٩٠ح١ .

(٣٠٧) بصائر الدرجات:٢/٩٠ح٢ .

(٣٠٨) بصائر الدرجات:٢/٩١ح٥ .

(٣٠٩) بصائر الدرجات:٢/٩١ح٦ .

(٣١٠) بصائر الدرجات:٢/٩١ح٧ .

(٣١١) بصائر الدرجات:٢/٩٢ح٨ .

(٣١٢) بصائر الدرجات:٢/٩٢ح١ .

(٣١٣) . بصائر الدرجات:٢/٩٢ح٢ .

(٣١٤) بصائر الدرجات:٢/٩٢ح٣ .

(٣١٥) بصائر الدرجات:٢/٩٢ح٤ .

(٣١٦) بصائر الدرجات:٢/٩٢ح٥ .

(٣١٧) بصائر الدرجات:٢/٩٢ح٩ .

(٣١٨) بصائر الدرجات:٢/٩٤ح١ .

(٣١٩) بصائر الدرجات:٢/٩٤ح٢ .

(٣٢٠) للمزيد من الإطّلاع: راجع أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد:١/١٣٩ .

(٣٢١) بصائر الدرجات:١/٥٨ح١ .

(٣٢٢) بصائر الدرجات:١/٥٨ح٢ .

(٣٢٣) بصائر الدرجات:١/٥٨ح٣ .

(٣٢٤) بصائر الدرجات:١/٥٩ح٤ .

(٣٢٥) بصائر الدرجات:١/٥٩ح٥ .

(٣٢٦) بصائر الدرجات:١/٥٩ح٧ .

(٣٢٧) بصائر الدرجات:١/٦٣ح١ .

(٣٢٨) بصائر الدرجات:١/١/٦٣ح٢ .

(٣٢٩) بصائر الدرجات:١/٦٤ح٣ .

(٣٣٠) بصائر الدرجات:١/٦٤ح٤ .

(٣٣١) بصائر الدرجات:١/٦٤ح٥ .

(٣٣٢) أصول الكافي:١/٢٥٦ح١ .

(٣٣٣) أصول الكافي:١/٢٥٤ح٢ .

(٣٣٤) أصول الكافي:١/٢٥٤ح١ .

(٣٣٥) أصول الكافي:١/٢٥٣ح١ .

(٣٣٦) بحار الأنوار:٢/١٩٩ح٥٨ .

(٣٣٧) بحار الأنوار:٢/١٩٨ح٥٦ .

(٣٣٨) بحار الأنوار:٢٠/٢٢٩ .

(٣٣٩) وسائل الشيعة:١٨/٨٤ح٢٧ .

(٣٤٠) مَن لا يحضره الفقيه:١/٢٣٣.٢٣٤ .

(٣٤١) الفوائد البهيّة في شرح عقائد الإماميّة:١/ بحث العصمة .

(٣٤٢) الفوائد البهيّة في شرح عقائد الإماميّة:١/٤٦١/ الطبعة الثانية .

(٣٤٣) بحار الأنوار:١٧/١٢٧ .

(٣٤٤) الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة:٣٨١ .

(٣٤٥) بحار الأنوار:٢٦/٣٤١وج:٤٣/٢٤٤وحديث رقم:٤٤ صفحة:١٨٢، والجزء ٥٠/ صفحة:٦٦، والجزء ٩٨/صفحة:٣٦٧ .

(٣٤٦) تفسير مجمع البيان:١٠/٣٠٢، وتفسير الرازي:٣١/٢٠٨/ سورة الضحى .

(٣٤٧) الفوائد البهيّة في شرح عقائد الإماميّة:١/٣٥٥ .

(٣٤٨) أصول الكافي:١/١٩٨ح١ .

(٣٤٩) تفسير الصافي:١/٣١ .

(٣٥٠) نهج البلاغة: الخطبة رقم:٢٢٢ .

(٣٥١) نهج البلاغة:٤٩٦ح١٤٧/ شرح صبحي الصالح .

(٣٥٢) نهج البلاغة:١١٨/ الخطبة السابعة والثمانون/ شرح صبحي الصالح .

(٣٥٣) نهج البلاغة:٣٣٧/ الخطبة الثانية والعشرون/ شرح صبحي الصالح .

المصادر والمراجع

. ألف .

الأصول من الكافي: أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني؛ ط . دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران ـ ١٣٨٨هـ .

إعلام الورى بأعلام الهدى: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي؛ ط . دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٤٩٩ هـ .

الأغاني: أبو الفرج عليّ بن الحسين الأصبهاني؛ ط . دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ .

إحقاق الحق وإزهاق الباطل: القاضي الشهيد نور الدين المرعشي التستري؛ توزيع دار الكتاب الإسلامي ـ بيروت ـ بدون تاريخ .

أرجح المطالب: الآمر تسري؛ ط. دار لاهور .

أسماء المغتالين: البغدادي؛ ط. القاهرة .

الأسفار العقليّة الأربعة "الحكمة المتعالية ": صدر الدين محمّد الشيرازي؛ ط. دار إحيار التراث العربي -بيروت - ١٩٨١م .

الأمالي : أبو القاسم عليّ بن الطاهر أبو أحمد الحسين المعروف بالسيّد "المرتضى"؛ منشورات مكتبة المرعشي النجفي -قم -١٤٠٣هـ .

الإحتجاج: أبو منصور أحمد بن عليّ الطبرسي؛ ط. مطبعة النعمان -النجف -١٣٨٦هـ .

أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد: محمّد جميل حمود؛ منشورات مركز العترة للدراسات والبحوث، ومؤسسة الأعلمي - بيروت - ١٤٢٣هـ .

إكمال الدين وتمام النعمة: أبو جعفر محمّد بن بابويه القمي الصَّدوق؛ ط. دار الكتب الإسلاميّة -طهران - ١٣٩٥هـ .

أوائل المقالات : أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان بن المعلم العكبري الملقَّب بـ "المفيد"؛ ط. دار المفيد -بيروت-١٤١٤هـ .

الأمالي: أبو جعفر محمّد بن بابويه القمّي الصَّدوق؛ ط. دار الأعلمي - بيروت - ١٤٠٠هـ .

الإستبصار فيما اختلف من الأخبار: أبو جعفر محمّد بن الحسن الطّوسي؛ ط. دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران ـ ١٣٩٠هـ .

الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة: محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن الحسين الحرّ العاملي المشغري؛ ط. مطبعة نكارش ـ قم ـ ١٤٢٢هـ .

أجوبة المسائل المهنائية: جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الشهير بـ "العلامة الحلّي"؛ ط. مطبعة الخيام ـ قم ـ ١٤٠١هـ .

أسد الغابة في معرفة الصحابة: إبن الأثير أبو الحسن عليّ بن محمّد الجزري؛ ط. دار الكتب العلميّة ـ بيروت ـ ١٤١٥هـ .

الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة : جواد بن عباس الكربلائي؛ ط . دار الحديث ـ إيران ـ بدون تاريخ .

ـ باء ـ

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار: محمّد باقر المجلسي؛ ط . مؤسّسة الوفاء ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ .

بصا ئر الدرجات : أبو جعفر محمّد بن الحسن فرّوخ الصفّا ر؛ منشورات الأعلمي ـ طهران ـ ١٤٠٤هـ .

البداية والنهاية : أبو الفداء إبن كثير الدمشقي؛ ط . دار الكتب العلميّة ـ بيروت ـ ١٤١٥هـ .

البدء والتاريخ : إبن زيد أحمد بن سهل المطهر بن ظاهر المقدسي ـ بيروت ـ ١٩٨٨م .

ـ تاء ـ

تفسير نور الثقلين: عبد عليّ بن جمعة العروسي الحويزي؛ ط. المطبعة العلميّة ـ قم ـ ١٣٨٣هـ .

تفسير مجمع البيان: أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي؛ ط . دار الكتب العلميّة ـ بيروت ـ ١٤١٨هـ .

التوحيد: ابو جعفر إبن بابويه القمّي الصَّدوق؛ ط . قم، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة بقم، بدون تاريخ .

تفسير الميزان: محمّد حسين الطباطبائي؛ ط . مؤسّسة الأعلمي - بيروت - ١٣٩٤هـ .

تصحيح إعتقادات الصَّدوق : محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد، ط . دار المفيد - بيروت - ١٤١٤هـ .

تفسير البرهان : السيد هاشم البحراني؛ ط . دار الهادي - بيروت - ١٤١٢هـ.

تفسير القمّي: أبو الحسن عليّ بن إبراهيم القمّي؛ ط. دار السّرور - بيروت - ١٤١١هـ .

تفسير الصافي: محمّد محسن بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود المعروف بـ "الفيض الكاشاني"؛ ط. مؤسسة الأعلمي - بيروت - من دون تاريخ .

تفسير العياشي: ابو النصر محمّد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي؛ ط. مؤسسة الأعلمي - بيروت - ١٤١١هـ .

تهذيب الأحكام في شرح المقنعة: ابو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي؛ ط . دار الأضواء - بيروت - ١٤١٣هـ .

التفسير الكبير: فخر الدين الرازي؛ ط. المطبعة البهيّة ـ مصر ـ ١٣٠٢هـ .

ـ جيم ـ

جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: محمّد حسن النجفي؛ ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة السابعة .

ـ خاء ـ

الخرايج والجرايح : قطب الدين الراوندي؛ ط. مؤسسة النور ـ بيروت ـ ١٤١١هـ .

الخصال: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه الصَّدوق؛ ط . مركز المنشورات الإسلاميّة ـ قم ـ ١٤٠٣هـ .

الخصائص الحسينيّة : جعفر التستري؛ ط . المطبعة الحيدريّة ـ النجف ـ ١٣٧٥هـ .

ـ دال ـ

دلائل الإمامة : أبو جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبري؛ ط . مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ ١٤٠٨هـ .

الدليل على موضوعات نهج البلاغة : عليّ أنصاريان؛ إنتشارات المفيد ـ طهران ـ ١٣٩٨هـ .

ـ ذال ـ

ذخائر العقبى : أحمد بن عبد الله الطبري؛ ط . دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٩٧٤م .

ـ سين ـ

سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار : عباس القمي؛ ط . دار المرتضى ـ بيروت ـ من دون تاريخ .

السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي؛ ط . دار المعرفة ـ بيروت ـ .

ـ شين ـ

شرح المقاصد : مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بـ "سعد الدين التفتازاني"؛ ط. عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٤٠٩هـ .

شواهد التنزيل لقواعد التفضيل : عبيد الله بن عبد الله الشهير بـ "الحاكم الحسكاني"؛ ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ ١٣٩٣هـ .

شرح نهج البلاغة: صبحي الصالح؛ منشورات دار الهجرة ـ قم ـ بدون تاريخ.

ـ صاد ـ

الصواعق المحرقة في الرّدّ على أهل البِدَع والزندقة : أحمد بن حجر الهيثمي المكي؛ ط. شركة الطباعة الفنية المتحدة ـ القاهرة ـ ١٣٨٥هـ .

صحيح مسلم: أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري؛ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤١٥هـ .

ـ طاء ـ

الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمّد بن سعد بن منيع البصري؛ ط . مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ ١٤٠٨هـ .

ـ عين ـ

عيون أخبار الإمام الرّضا عليه السلام: أبو جعفر الصَّدوق؛ ط. مؤسسة الأعلمي - بيروت - ١٤٠٤هـ .

العمدة : يحيى بن الحسن الأسدي الحلّي المعروف بـ "إبن بطريق "؛ ط. مؤسسة النشر الإسلامي - قم - ١٤٠٧هـ .

- غين -

غرر الحِكَم ودرر الكلم: عبد الواحد الآمدي التميمي؛ ط. مؤسسة الأعلمي - بيروت - ١٤٠٧هـ .

الغَيْبَة: محمّد بن إبراهيم النعماني؛ ط. مؤسسة الأعلمي - بيروت - ١٤٠٣هـ.

غاية المرام وحجّة الخصام : السيد هاشم البحراني الموسوي التّوبلي؛ ط . مؤسسة التاريخ العربي - بيروت - ١٤٢٢هـ .

- فاء -

الفوائد البهيّة في شرح عقائد الإماميّة : محمّد جميل حمّود؛ طبعة ثانية، مؤسسة الأعلمي - بيروت - ١٤٢١هـ .

الفروع من الكافي : محمّد بن يعقوب الكليني؛ ط . دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران ـ .

ـ كاف ـ

الكنى والأسماء: الدولابي؛ ط. دار حيدر آباد ـ باكستان ـ .

الكامل في التاريخ: عزّ الدين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بـ "إبن الأثير"؛ ط. دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٨٥هـ .

كيف نفهم الثورة الحسينية؟ : علي الأمين؛ ط. بيروت عام١٤١٨هـ بإشراف مكتب .

كامل الزيارات: أبوالقاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القمّي؛ ط. دار السّرور ـ بيروت ـ ١٤١٧هـ .

كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين عليّ المتقي بن حسام الدين الهندي؛ ط. دار الكتب العلميّة ـ بيروت ـ ١٤١٩هـ .

كشف الغمّة في معرفة الأئمّة : أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي؛ ط. دار الكتاب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٤٠١هـ .

كنز الفوائد : أبو الفتح محمّد بن عليّ الكراجكي؛ ط . دار الأضواء ـ بيروت ـ .

ـ لام ـ

اللهوف على قتلى الطفوف : رضي الدين أبي القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن طاووس؛ ط. مطبعة أسوة ـ إيران ـ ١٤١٤هـ .

ـ ميم ـ

المسائل العكبرية: محمّد بن محمّد بن النعمان إبن المعلّم أبي عبد الله العكبري البغدادي المفيد؛ ط. دار المفيد ـ بيروت ـ ١٤١٤هـ .

مقتل الإمام الحسين عليه السلام: عبد الرزاق الموسوي المقرَّم؛ منشورات مكتبة بصيرتي ـ قم ـ ١٣٩٤هـ .

مهج الدعوات ومنهج العبادات: رضي الدين أبي القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس الحسني الحسيني؛ ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ .

مدينة معاجز الأئمّة الإثني عشر ودلائل الحجج على البشر: السيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد بن عليّ بن سليمان بن السيد ناصر الحسيني البحراني التوبلي الكتكاني؛ ط. مطبعة بهمن ـ قم ـ ١٤١٣ هـ .

منتهى الآمال في تواريخ النبيّ والآل: عباس القمي؛ ط . مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم ـ ١٤١٥ هـ .

مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: محمّد باقر المجلسي؛ ط. دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران ـ ١٤٠٥هـ .

مسند الطيالسي: سليمان بن داوود بن الجارود البصري؛ ط . الهند عام ١٣٢١هـ .

مقتل الإمام الحسين عليه السلام: أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد المكي الخوارزمي؛ ط . مكتبة المفيد ـ قم ـ من دون تاريخ .

مَن لا يحضره الفقيه : أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق؛ ط. دار الكتب الإسلامية ـ طهران ـ ١٣٩٠هـ .

مقتل الإمام الحسين عليه السلام: لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سالم الأزدي الغامدي؛ ط. مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ .

المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء: محمّد بن المرتضى الشهير بـ "المولى محسن الكاشاني"؛ ط. دفتر انتشارات إسلامي ـ قم ـ من دون تاريخ .

المحاسن : أبو جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقي؛ توزيع دار الكتاب الإسلامي ـ بيروت ـ من دون تاريخ .

مفاتيح الجنان: عباس القمي؛ ط. دار الملاك ـ بيروت ـ ١٤١٥هـ .

مسند أحمد بن حنبل: أبو عبد الله الشيباني؛ ط. دار إحيار التراث العربي ـ بيروت ـ ١٤١٥هـ .

مجمع الزوائد : عليّ بن أبي بكر الهيثمي؛ نشر دار الكتاب ـ بيروت ـ ١٩٦٧م.

- واو -

وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة : محمّد بن الحسن الحرّ العاملي؛ ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩١هـ .

- ياء -

ينابيع المودّة: سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي؛ ط. المطبعة الحيدريّة - النجف - ١٣٨٤هـ .





المُحتَوَيات

الجُزءُ الثّاني

الفَصْلُ الرَّابِعُ

المُحتَويات

العلم الحضوري عند أئمّة آل البيت عليهم السَّلام